وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2 " أبو القاسم سعد اللّه"

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

أوضـاع الدّولـة العثمانية الداخلية وعلاقـاتها الخارجية في عهد بايزيد الأوّل (1389م – 1402م)

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

(الدّولة العثمانية والمشرق العربي)

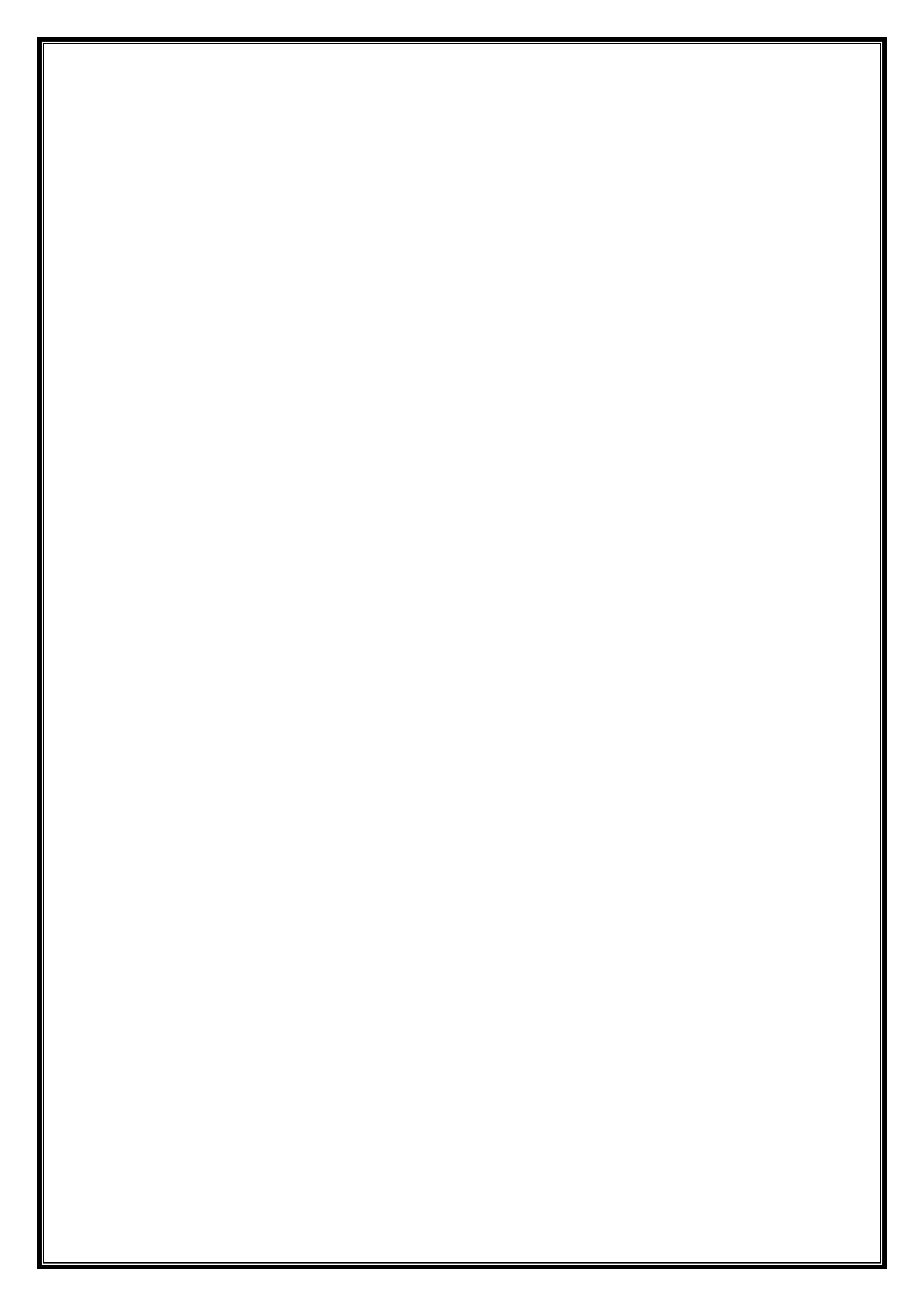
إعداد الطالب:
محمود تركية

إشراف الدكتور:
محمّد درّاج

أعضاء اللّجنة المناقشة

- أ.د. مختار حساني رئيسًا
- د. محمّد درّاج مقرراً
- أ.د.شكيب بن حفري عضواً
- د. توفيق دحماني عضواً

السنة الجامعية : 2014 / 2015



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2 " أبو القاسم سعد اللّٰه"

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

أوضـاع الدّولـة العثمانيـة الداخلية وعلاقـاتها الخـارجية في عهد بايزيد الأوّل (1389م – 1402م)

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

(الدّولة العثمانية والمشرق العربي)

إعداد الطالب: محمود تركية

إشراف الدكتور: محمّد درّاج

أعضاء اللّجنة المناقشة

- أ.د. مختار حساني رئيسًا
- د. محمّد درّاج مقرراً
- أ.د.شكيب بن حفري عضواً
- د. توفيق دحماني عضواً

السنة الجامعية : 2014 / 2015


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح والدي رحمه الله وجعل قبره روضة من رياض الجنّة،

إلى والدتي أطال الله في عمرها وقدّرني الله على طاعتها والإحسان إليها، إلى من قال الله في حقّهما "**وقُل ربّي ارحمهما كما ربّياني صغيراً**"سورة الإسراء، الآية 24.

إلى شقّي الثاني زوجتي الكريمة، إلى قُرّتا عيناي ولداي، عبد القادر وخير الدّين حفظهما الله، إلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد في تربيتي وتكويني، إلى كل من سار على در ب العلم والعلماء.

شكر وتقدير

نحمد الله تعالى على توفيقه لنا على انجاز هذا البحث المتواضع، وبهذه المناسبة يشرّفني أن أتقدم بالغ الشكر والامتنان لأستاذي **الدكتور محمّد دراج** الذي كان له الفضل الأكبر في انجاز هذه المذكرة ولم يبخل علي لا بالرأي ولا بالنّصائح السّديدة.

كما أتقدم كذلك بشكري وامتناني للأساتذة الذين تشرفت بالدراسة على أيديهم في السنة النّظرية من الدراسة فيما بعد التّدرج وعلى رأسهم أُستاذنا الفاضل أبو القاسم سعد الله، تغمّده الله برحمته واسكنه فسيح جنانه، كما أتقدم بامتناني إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة الذين شرفوني بقبولهم المشاركة في انجاز هذا العمل، وهذا بتوجيهاتهم و انتقاداتهم التي تعتبر أساس نجاح أي بحث علمي . كما أتوجّه بشكري الجزيل لكل من ساهم من بعيد أو من قريب في انجاز هذا العمل المتواضع.

تقديري وإمتناني لكم جميعا .

قائمة المختصرات

الرمز	المدلول
ص	صفحة.
ص ص	صفحات
ج	الجزء.
ط	الطبعة.
ع	عدد
م	مجلد
T	Tome
V	volume
P	صفحة(باللغتين الفرنسية والانجليزية).
p p	صفحات(باللغتين الفرنسية والانجليزية).
Op.cit	المصدر السابق(باللغتين الفرنسية والانجليزية).
Ibid	المصدر نفسه (باللغتين الفرنسية والانجليزية).
Id-idem	الصفحة نفسها(باللغتين الفرنسية والانجليزية)
s.d.t	بدون تاريخ (باللغة الفرنسية)
S	Saifa الصفحة (بالغة التركية)
ROMM	مجلة الغرب العالم الإسلامي


المقدمة

إحتلّ تاريخ الدّولة العثمانية حيّزاً كبيرا من تاريخ العصور الحديثة، إذ كان لها دور محوري في العلاقات الدّولية خاصة عند بلوغها مرحلة العالمية . لهذا كثر دارسوها والباحثون في تاريخها، فبرزت بذلك دراسات مختلفة عكست توجّهات أصحابها، والتي تمحورت حول فترات حكم السلاطين العظام، وحول مراحل الضّعف والانحطاط وهذا قصد الوقوف على أسباب ذلك.

والملفت للانتباه هو قلّة الدّراسات والكتابات التي تناولت المرحلة الأولى من تاريخ الدّولة العثمانية مقارنة بالدّراسات التي تناولت المراحل اللّاحقة من تاريخ هذه الدّولة، وبالتّحديد فترة حكم السلطان بايزيد الأوّل (1389 – 1402م) القصيرة في مُدّتها، الثرية بإحداثها وبانجازاتها والمهمّة بمتغيّراتها، إذ يعتبر السلطان بايزيد يلدرم كما تسميه المصادر العثمانية، أوّل أمير عثماني حاول توحيد الأناضول في حكومة مركزية ثابة على غرار الممالك الإسلامية المعاصرة لفترة حكمه أو التي سبقته، قاضيًا بذلك على استقلال إمارات الأناضول ومتخليًا عن سياسة أسلافه القائمة على اللامركزية. كما يعتبر أوّل سلطان عثماني تبنى أوّل مُحاولة جدّية لفتح القسطنطينية عاصمة بيزنطا، إذ انّه لو لا ظهور المغول فجأة وتهديدهم لحدود الدّولة الشرقية لفتح القسطنطينية ولارتبط اسمه بأهمّ معالم التاريخ الحديث.

وقد تمكن عام 1396م من سحق اكبر تحالف أوروبي صليبي قادته مملكة المجر وشاركت فيه معظم الدّول الأوروبية العظمى آنذاك، قصد القضاء على الدّولة العثمانية و إستعادة بيت المقدس. وعلى اثر هذا أصبح يُعرف بسلطان الروم واكتسب بذلك احترام المسلمين في كلّ مكان إذ أصبح مثالا للسلطان المجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله، كما أصبح مجرد ذكر اسمه (يلدرم) يثير الرّعب في نفوس الأوروبيين المسيحيين .

الإشكالية

أصبحت الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الأوّل من أهمّ القوى الإسلامية والأوروبية على حدّ السواء آنذاك. وإذا بهذه الدّولة العظيمة تنهار بين عشية وضحاها بعد معركة أنقرة 1402م أمام المغول بقيادة تيمورلنك، ويقع السّلطان نفسه أسيرا ويدخل أبناؤه في صراع طاحن على الحكم والكل يدّعي أحقيته في ذلك.

فما هي إذاً العوامل التي جعلت الدّولة العثمانية تصل إلى هذه المرتبة ،و ما هي أهم الانجازات و الإضافات التي ارتبطت بفترة حكم عهد السلطان بايزيد الأول ؟

هذه الإشكالية تقودنا بدورها إلى جملة من الإشكاليات الفرعية الأخرى، لعلّ أوّلها كيف كانت أوضاع الدّولة العثمانية الداخلية وعلاقاتها الخارجية قبل وصول السلطان بايزيد الأوّل إلى الحكم؟ وكيف تعامل مع أمراء الأناضول وأمراء ممالك البلقان بعد وصوله إلى سدّة الحكم ؟ وما هي أهم الانجازات التي تحققت في عهده؟ وكيف كانت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عهده؟ وبماذا تميّزت علاقات الدّولة العثمانية الخارجية في عهده، مع دول الجوار خاصة مع المماليك والبيزنطيين والمغول وماذا كان مصير الدّولة العثمانية بعد معركة أنقرة عام 1402 ؟
ومن خلال دراستي هذه حاولت الإجابة على هذه الإشكاليات المطروحة.

سبب اختيار الموضوع

تُعتبر الفترة القيد الدّراسة من أهم فترات التاريخ العثمانية في مرحلته الأولى لما عرفته من تطوّرات واحدثا هامة، فقد توسّعت الدّولة خلالها صوب الأناضول والبلقان ولم يبقى لها إلاّ القليل للاستيلاء على القسطنطينية.
و قد عرفت فترة حكمه حدثين آخرين هامين يتمثل الأول في سحق العثماني للجيش المسيحي الصّليبي في معركة نيقوبوليس عام 1396م، وعلى إثرها طلب من الخليفة العباسي تسميته بسلطان الروم ، والثاني في هزيمة الجيش العثماني في معركة أنقرة عام 1402م أمام الجيش المغولي بقيادة تيمورلنك. ورغم جسامة هذه الهزيمة إلّا أنّها لم تغير من المجرى العام للدولتين، لكن رغم هذا كانت كارثية بالنسبة للعثمانيين. كما أنّ هذه الفترة كانت قصيرة لكنها غنية بالأحداث المهمة داخليا وخارجياً.لذلك كانت هذه الفترة جديرة بالدّراسة والتحليل، وهذا للوقوف على ايجابياتها وسلبياتها، وتقديم دراسة تاريخية تحليلية عنها.

من خلال الدّراسات والرّسائل الجامعية التي تعرّضت لها خلال انجاز هذا البحث، تبيّن لي أنّ هناك عدّة دراسات تعرّت إلى بعض جوانب الموضوع قيد الدّراسة، ومن جوانب مختلفة، سواء من جامعات داخل الوطن أو خارجه، نذكر منها رسالة ماجستير للطالب زرقوق محمد، بعنوان **مملكة أرمينيا الصغرى بين المماليك و المغول بين 1226م و 1375م**، تحت إشراف الأستاذة بشاري، من جامعة الجزائر 02 ، تناول خلالها دور مملكة أرمينيا الصغرى في تهديد امن الأناضول واستقراره، ليس لقوّتها وإنّما لمؤامراتها ودسائس حكامها، كما تعرّض لممالك مسيحية أخرى عرفتها المنطقة آنذاك.

أمّا الدراسات الجامعية على مستوى الوطن العربي، نذكر رسالة ماجستير للطالبة فائقة محمد حمزة عبد الصّمد بحري، تحت عنوان **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا**، تحت إشراف الدكتور يوسف رابع الثقفي من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تناولت فيها توسعات العثمانيين في البلقان وكيفية تعاملهم مع سكانه، وهذا ما كان سبباً في اعتناق الكثير منهم للإسلام.

وهناك رسالة دكتوراه أخرى للطالب رائد سامي حميد موسى الدّوري، تحت عنوان **الدولة العثمانية في عهد السلطان مراد الأوّل(1359-1389م)**، تحت إشراف الدكتور يوسف عبد الكريم طه مكي الرديني، من جامعة الكويت، تناول فيها بالتفصيل لأوضاع الدولة العثمانية قبل تولي السلطان بايزيد الأوّل الحكم أي فترة حكم والده السلطان مراد الأوّل. وهناك رسالة ماجستير للطالبة مريم عوض بن لادن، بعنوان **دور ابن تيمية في الجهاد ضدّ المغول الإيلخانيين**، تحت إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم علي شموط من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تناولت حكم الإيلخانيين للعراق وللأناضول وللمقاومة التي تلقوها في البلاد العربية والأناضول.

المصاعب

إن الموضوع قيد الدّراسة يتناول مرحلة متقدّمة من تاريخ الدّولة العثمانية، وهذا ما يطرح صعوبة الوصول إلى المصادر التي تناولت هذه الفترة، خاصة و أنّ للموضوع خصوصية تتمثل في اشتراكه بين مصادر متنوعة، عثمانية، عربية وحتى بيزنطية وبما انه يتناول البلقان فحتى المصادر المكتوبة بلغات شعوب البلقان هي مهمة للموضوع. و لعدم تمكني من هذه اللغات المذكورة حال دون تمكني من الإطّلاع على هذه المصادر، وحتّى أنّني عثرت على البعض منها بالغة العثمانية إلاّ أنني لم أتمكن من استغلالها للسّبب المذكور سابقاً، لهذا أتمنى أن يتدارك الدّارسون من بعدي هذا، وسأجتهد لأكون واحداً منهم . لهذا فالموضوع يفتقر للمصادر الأصلية خاصة منها العثمانية.

الدراسات السابقة

اعتمدت في انجاز هذا البحث على مصادر متنوعة، كان لها الفضل في إثرائه بمعلومات مهمة أسهمت في انجازه بصورة تليق بالبحث العلمي التاريخي منها الكتب العثمانية المدوّنة باللغة العربية، والعثمانية المترجمة إلى العربية،والعربية التي عاصرت الفترة لمدروسة،و التي تضمنت معلومات بسيطة ومتكررة، بالإضافة إلى مصادر مدوّنة بلغات أجنبية مترجمة إلى اللغة الفرنسية. ومجموعة من الرسائل الجامعية و المقالات من مجلات مختلفة. وكان لكتاب ابن بطوطة **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الآثار**، الجزء الأوّل منه أهمية كبيرة خاصة وانه عاصر السلطان العثماني أورخان وطاف ببلاد الأناضول

وزار أهم مدنها كما زار البلقان وأُعجب كثيرا بتنظيمات الآخيان وكتب عنها بالتّفصيل. بالإضافة إلى كتاب ابن خلدون **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر وعاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** الذي يتألف من مقدمة وسبعة أجزاء، أفادني في جزءه السابع، خاصة وأنه كان يتولى منصب قاضي قضاة المالكية في مصر، وقدتمّ تكليفه بالخروج لمقابلة ملك المغول تيمورلنك، بعد محاصرته لدمشق. وكتاب أحمد بن عرب شاه، **عجائب المقدور في أخبار تيمور**، وهو عبارة عن مخطوط بدون تاريخ طبع، هذا الأخير كان مُرافقاً للملك المغولي تيمورلنك ، وتعرض في كتابه لغزو تيمورلنك لسمرقند ولبلاد الهند وللعراق ولبلاد الشام، كما تتبع الأزمة التي حدثت بين العاهلين المغولي تيمورلنك والعثماني بايزيد الأوّل، ونشر في كتابه الرسائل التي تبادلها الطّرفين والشتائم والصّخرية اللّتين عاملا بها يعظهما البعض. بالإضافة إلى مصادر أخرى إن لم استفد من بعضها الكثير فقد استفدت القليل أذكر من بينها كتاب، **شرفنامة في تاريخ الدّولة العثمانية** ، لمؤلفه شرف خان البدليسي، والذي تألف من جزئين ، خصّ الجزء الأوّل لتاريخ الأكراد والثاني لتاريخ الدولة العثمانية تعرّض فيه لأهم الأحداث التي عرفتها الدولة العثمانية في عصره وقبله وخاصة فترة حكم السلطان بايزيد الأوّل ن وكتاب، **بدائع الزّهور في وقائع الدّهور** لمؤلفه ابن إياس، الذي تناول فيه الأحداث على طريقة الحوليات، فدوّن الأحداث التي سبقته (قبل فتح العثمانيين لمصر1517م) شهرا فشهر، أما التي عاصرته فقد دوّنها يوماً فيوم، افتقدت كتاباته للتفاصيل، لكن رغم هذا أفادتني في الفصل الأوّل. وكتاب **تاج التواريخ** لمؤلفه منجم باشي (1299م- 1481م) و الذي يعتبر من أشهر المؤرخين العثمانيين في التاريخ العام، وألّف كتابه هذا بالغة العربية، قسّمه إلى ثلاثة أجزاء، خصّ الجزء الثالث منه للأسر الإسلامية الحاكمة والفصل الأخير من هذا الجز للسلالة العثمانية التي تعرّض لها بالتّفصيل، وقد أفادني في الفصلين الثاني والثالث.

ومن المراجع العربية التي اعتمدت عليها كذلك ،كتاب الدّكتور احمد عبد الرحيم مصطفى تحت عنوان **في أصول التاريخ العثماني** وهو من المراجع العربية التي لا يمكن لأي باحث في التاريخ الاستغناء عنه، لاحتوائه على معلومات قيّمة حول الفترة من المتقدمة من الدولة العثمانية، كما أنّ صاحبه يردّ على الافتراءات التي حاول بعض المؤرخون الأوروبيون إلصاقها بالدولة العثمانية ،على اعتبار أنّها كانت السبب في تخلّف شعوب البلقان والعرب، كما بيّن بان وجود الدولة العثماني خلال القرنين الرابع عشر و الخامس عشر ، أوقف الزّحف الأوروبي نحو شرق البحر الأبيض المتوسط ، كما كان لها دور في تشكيل كيانات جنوب شرق أوروبا وبلاد المغرب العربي . بالإضافة إلى كتاب حسن الضيقة بعنوان **السلطة والثقافة والمجتمع في الدولة العثمانية** ، ومن خلالها يعطينا المؤلف نظرة عن فلسفة الحكم

العثماني، و علاقات مؤسسات يبعضها البعض، و علاقات هذه المؤسسات بالرّعية ، وقد أفادني كثيرا في بحثي خاصة في الفصلين الأوّلين. أحمد فؤاد متولي و هويدا محمّد فهمي بعنوان **تاريخ الدّولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذّهبي**،فقد أفادني كثيرا خاصة في الفصلين الثاني والثالث خاصة في ما تعلّق بعلاقات الدولة العثمانية بإمارات الأناضول وبالمماليك وبالبيزنطيين.وكتاب عبد الفتاح حسن أبو علية بعنوان الدولة العثمانية و الوطن العربي الكبير ، الذي أفادني كثيراً خاصة في الفصل الأول، إذ تعرض إلى تشكل أمارات الطوائف التركمان بالأناضول ،وإلى تشكل الدولة العثمانية، ومختلف مؤسساتها خاصة منها الجيش الانكشاري.

كما اعتمدت كذلك على كتاب خليل إينالجيك، بعنوان **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، ترجمة محمد الأرنؤوط، وكناب آخر لمؤلفته ثرايا فاروقي مع مجموعة من المؤرخين الأتراك بعنوان **التّاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدّولة العثمانية** ترجمة قاسم عبده قاسم، استفدت خاصة من المجلّد الأوّل(1300م- 1600م)،خاصة فيما تعلق بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية للدولة العثمانية. وكتاب روبيرت مونتران تحت عنوان **تاريخ الدّولة العثمانية**، ترجمة بشير السّباعي،استقيت عدّة معلومات قيّمة خاصة من جزئه الأوّل.وكتاب قيّم آخر بعنوان **المجتمع الإسلامي والغرب** اشتركا في تأليفه المؤرخين هاملتون جب وهارولد بون، ترجمة عبد الرّحيم مصطفى، الذي يتألف من جزئين استفدت من الجزء الأوّل الذي تضمن معلومات قيمة عن التنظيمات العسكرية والاقتصادية للدولة العثمانية . و كتاب برنارد لويس،بعنوان **اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية**، وهو من أروع الكتب التي تناولت تاريخ القسطنطينية أثناء و بعد فتحها، و قام بترجمته إلى العربية سيد رضوان علي، الذي وجّه عدّة انتقادات لمؤلف الكتاب و علّق على بعض القضايا التي تشوّه التاريخ العثماني.

أما المراجع الأجنبية فهي كثيرة منها الفرنسية والانجليزية، وأهمها كتاب Standford Shaw ، بعنوان ***History of the Ottoman Empire and modern Turkey***، الذي تضمن جزءه الأوّل معلومات قيّمة عن التعليم والقضاء ومختلف التشكيلات العسكرية وتطوّرها في الدولة العثمانية. كما كان لكتاب المؤرخ النمساوي J. Hammer, بعنوان ***Histoire de l'Empire Ottoman, depuis son origine jusqu'à nos jours***, أهمية كبيرة ، وهو يقع في 12 جزءاً ، أفادني الجزء الأوّل منه كثيرا، في مختلف جوانب المذكرة ،خاصة وانه ينقل المعلومات بصورة دقيقة، رغم هذا تميزت كتاباته ،بالانحياز الكبير لبلده النمسا وعدائه للدولة العثمانية ، لهذا كان يجب اخذ الحذر في الاقتباس عنه و عدم التّأثر بمواقفه.

بالإضافة إلى عدّة مقالات مُستمدة من أعداد مختلفة من ***Revue de l'Ocident et du Monde Musulman et de la Méditerranée*** وأعداد أخرى من مجلة ***Revues des Etudes Byzantiques***.

ورسائل جامعية نذكر من بينها، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، للطالبة فائقة محمد حمزة عبد الصّمد بحري، بعنوان **أثر الدّولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا**، بإشراف الأستاذ الدّكتور يوسف رابع الثّقفي، جامعة أمّ القرى، مكة المكرمة، تضمنت معلومات عن بداية توجه العثمانيين نحو أوروبا الشرقية، واهم مشاريعها هناك فيما يخص عمليات الاستيطان العثماني هناك.

منهج البحث

لمعالجة هذا الموضوع وللإجابة على الإشكالية المطرحة، وما تطرحه من إشكاليات فرعية، اعتمدت على المنهج التاريخي الذي يقوم على تحقيق المصادر و تحليلها والمقارنة بينها ، هذا ما رأيته مناسباً، وهذا نظراً لطبيعة الموضوع ،ولطبيعة القضايا المطروحة من خلاله.

خطّة البحث

بعد اطّلاعي على الموضوع من مختلف جوانبه، وضعت تصوّراً لكيفية معالجة الإشكالية المطروحة وهذا من خلال الخطة التي تناولت فيها مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

بيّنت في البداية الإشكالية المطروحة وسبب اختيار الموضوع، ومختلف الدّراسات التي تناولته و المصاعب التي واجهتها أثناء انجازه، مع إبراز المنهج المتّبع لذلك.

أمّا في الفصل الأول فقد تناولت الأوضاع العامة للدولة العثمانية منذ تأسيسها، حتى استشهاد السلطان مراد الأول في معركة كوسوفو 1389م، وقسّمته إلى ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول الظروف المحيطة بالدولة العثمانية عند ظهورها والتحديات التي واجهتها في الأناضول. وفي المبحث الثاني تناولت كيفية نشوء الدولة العثمانية . أمّا في المبحث الثالث فقد تناولت ،أوضاع الدولة العثمانية منذ نشوئها حتى استشهاد السلطان مراد في 1389م ، ومن خلاله تعرّضت لنظم الدولة العثمانية السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية والدينية وتطوّرها. وعلاقاتها مع دول الجوار، خاصة المماليك والإيلخانيين والبيزنطيين وممالك البلقان، التي انتهت بانتصار العثمانيين على التحالف الصليبي في معركة كوسوفو 1389م.

أمّا الفصل الثّاني فقد خصّصته لدراسة التنظيمات الداخلية الدولة العثمانية الداخلية خلال فترة حكم السلطان العثماني بايزيد الأول، الذي قسمته إلى أربعة مباحث، و بما أنّ الموضوع يختص بدراسة الدولة العثمانية في عهد السلطان المذكور تناولت في المبحث الأول، السيرة الذاتية للسلطان بايزيد الأول

،وأهم المحطات في حياته كسلطان،ولافتقار المكتبات العربية إلى معلومات عن حياته، جاءت هذه المعلومات منتاثرة في مختلف المصادر والمراجع، لهذا حاولت جاهداً جمعها تحت عنوان خاص.

وفي المبحثين الثاني والثالث تناولت فلسفة الحكم العثماني وأهم التحولات التي عرفها هذا الحكم خاصة في كيفية تعامله مع إمارات الأناضول . وفي المبحث الرابع الذي كان تحت عنوان"السلطة والمجتمع "تطرقت لمختلف النّظم السياسية والاقتصادية –والاجتماعية للدولة العثمانية، و التي جعلت منها مصدر قوة و ذات ثقل سياسي في العالم فيما بعد.

وخصّصت الفصل الثالث لعلاقات الدولة العثمانية الخارجية خلال نفس الفترة، فقد تعرّضت في المبحث الأول لعلاقاتها مع المماليك التي تأرجحت بين الودية تارة والعداوة تارة أخرى، وفي المبحث الثاني تناولت علاقتها ببيزنطة التي تميزت بالعداوة بسبب أطماع السلطان العثماني في ممتلكاتها وسعيه لفتح على القسطنطينية. وفي المبحث الثالث تناولت علاقات الدولة العثمانية بممالك البلقان، على اعتبار أنّ العديد منها كانت خاضعة للدولة العثمانية وبعضها الآخر لم تكن كذلك بل كانت تريد طرد العثمانيين من أوروبا من خلال تحالفها مع دول أوروبا الغربية، ولو أنّ العديد من شعوب البلقان رحّبت بانضمامها للعثمانيين مفضلة حكمهم على حكم أبناء جلدتهم.

أمّا المبحثين الرابع والخامس فقد خصصته للعلاقات العثمانية الفارسية التي لم ترق إلى المستوى العلاقات مع الدول المذكورة سابقاً والعلاقات مع جنوة والبندقية التي تراوحت بين الودّ والعداوة وتحكمت فيها المصالح الاقتصادية للامارتين. وخصصت المبحث السادس لعلاقات الدولة العثمانية بالمغول التي غلب عليها طابع التّحدي خاصة وأنّ العالم الإسلامي كان قد حاول مواجهة الاجتياح المغولى لكن دون جدوى، علماً أنّ احتلال تيمورلنك لم يكن وارداً في مشروعه التّوسعي، لكن الظّروف أدّت إلى تصادم الدّولتين في معركة أنقرة في 1402م.

أمّا الخاتمة فقد عرضت فيها أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها من خلال دراستي لموضوع أوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الأوّل ، و التي كانت عبارة توجّهات وقرارات كان قد اتّخذها السلطان العثماني أثناء فترة حكمه للدولة العثمانية ،رأيتها من الأسباب التي أدّت إلى هزيمة العثمانيين أمام المغول في معركة أنقرة في 1402م ، خاصة بعدما انحاز الأمراء التركمان و جيوشهم إلى جيوش تيمورلنك بعد اندلاع المعركة .

وفي آخر هذه المقدّمة لا أُفوّت الفرصة بان أتوجّه بشكري وامتناني لأستاذي الدّكتور الفاضل محمد دراج، على قبوله الإشراف على هذه المذكرة، رغم تواجده خارج الوطن وانشغاله كعادته بأبحاثه، كما اشكره على توجيهاته القيّمة، وتشجيعه لي دوماً هذا ما زرع في نفسي الثقة بعدما كنت قد انقطعت عن مقاعد الدّراسة طيلة عشرين سنة، فأصبحت أتطلّع إلى تحقيق مشاريع علمية أسمى واكبر، وأشكر أعضاء اللّجنة المناقشة، على صبرها ومجهودها في لتمام هذا العمل، بالصورة العلمية المشرفة. كما اشكر الزملاء أعضاء الفوج في السنة النظرية الذين بدورهم أفادوني بنصائحهم وبالمصادر والمراجع التي زوّدوني بها.

الفصل الأوّل: أوضاع الدّولة العثمانية قبل فترة حكم السلطان بايزيد الأوّل

المبحث الأوّل: نظرة عامة على الأوضاع الدولية المحيطة بالدولة العثمانية عند قيامها

1 - أوضاع الأناضول

2- أوضاع بيزنطة وشبه جزيرة البلقان

المبحث الثاني : *نشوء الدولة العثمانية*

المبحث الثالث : *أوضاع الدّولة العثمانية قبل 1389م.*

أولا – الأوضاع الداخلية في الدّولة العثمانية

1 - تنظيم السلطة.

ا – القضاء

ب – التنظيمات العسكرية

ج – الأوضاع الاقتصادية

2 – العلماء والمؤسسات التعليمية

3 – الطرق الصوفية

ثانيا – العلاقات الخارجية للدّولة العثمانية 1389قبل م .

1 – علاقات الدولة العثمانية مع الممالك التركمانية في الأناضول

2 – علاقات الدولة العثمانية مع المماليك

3 – علاقات الدولة العثمانية مع بيزنطة والممالك البلقانية

المبحث الأوّل: نظرة عامّة على الأوضاع الدّوليّة المحيطة بالدّولة العثمانيّة عند قيامها

أوّلاً: أوضاع الأناضول

بدأ ظهور الأتراك في العالم الإسلاميّ منذ العصر العبّاسيّ، وذلك عندما استعان بهم العبّاسيّون كجنود مقاتلين ثمّ كقادة عسكريّين. وزاد نفوذهم بشكل واضح في عهد السّلاجقة، بعد أن برزوا كقوّة سنّيّة في غرب آسيا[1]. ومع زيادة ضعف الدّولة العبّاسيّة في بغداد، تمكّن الأتراك السّلاجقة خلال القرن 05هـ/11م، من إقامة دولة قويّة لأنفسهم في الأناضول وعاصمتها **قونيّة konya**[2]، ثمّ أخذوا في التّوسع[3].

وبعد اجتياح المغول للعالم الإسلاميّ وسيطرتهم على بغداد عام657هـ/1258م، لجأ بقايا العباسيّين إلى القاهرة الّتي كانت عاصمة دولة المماليك[4] النّاشئة، وبسط بذلك المماليك حمايتهم على العبّاسيّين وتمكّنوا من الوقوف في وجه زحف المغول وألحقوا بهم هزيمة ساحقة في معركة عين جالوت سنة 658هـ/1259م[5]. أمّا في بلاد ما **وراء النّهر**[6] و**خراسان**[7] فقد تعرّضت القبائل التّركمانيّة

1- أحمد عبد الرّحيم مصطفى، **في أصول التّاريخ العثمانيّ** ط2، دار الشّروق بيروت 1993، ص11.

2- **قونية**:مدينة عريقة في وسط غرب تركيا ،كانت عاصمة الدولة السلجوقية . شهدت معركة كبرى بين الجيشين العثماني و المصري عام 1834م حيث انتصر الجيش المصري. بها الكثير من الآثار الإسلامية العريقة. أنظر: عبد الحكيم العفيقي ، **موسوعة 1000مدينة إسلامية** ، ط1، أوراق شرقية للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان1421هـ/2000م ، ص 375.

3- سيار جميل ، **تكوين العرب الحديث**، ط1 ،دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، 1997م، ص46.

4- **المماليك**: أصلهم عبيد من الشّراكسة جاء بهم السّلطان الصّالح إلى مصر في أواسط ق 13م، كان في البداية يشتريهم من الملك جينكزخان، ويبيعهم لابن الملك الصّالح المدعو طوران شاه. استولوا على الحكم في مصر عام 1254م، على عهد نور الدّين وانتصروا على المغول في معركة عين جالوت. في 1287م انتصر المماليك البرجيّة على المماليك البحريّة (لأنّهم كانوا يربّون في جزيرة في النّيل)، امتدّ سلطانهم فيما بين 1382م و1517م حتّى الشّام والحجاز، وأوّل من تولّى الحكم منهم الظّاهر برقوق عام 1398م. قضى السّلطان العثمانيّ سليم الأوّل على دولتهم في مصر بعد معركة الرّيدانيّة عام 940هـ/1516م . أنظر :سليمان أفندي خليل الجاويش، **السّنيّة في تاريخ القسطنطينيّة**، مرجع سابق،ص184؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التّاريخيّة**،ط01 ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1416هـ/1996م،ص408م.

5- ابن إياس، **بدائع الزّهور في وقائع الدّهور**، ج01، مطابع الشّعب، القاهرة، 1960م، ص80.

6- **ما وراء النّهر**: هي المنطقة الممتدّة وراء نهر جيحون بخراسان، وما كان غربه فهو خراسان.انظر: شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ الرّوميّ البغداديّ، **معجم البلدان**، م2، دار صادر ،بيروت، 1397هـ/1977م، ص 45.

7- **خراسان**: يحدّها غربا العراق وشرقاً الهند، فتحها المسلمون على عهد الخليفة عثمان بن عفّان رضي الله عنه عام 31هـ، وهناك عدّة روايات تتحدّث عن سبب تسميتها كذلك، من أشهرها أنّ مصدرها فارسيّ وهي مركّبة من "خُر" ومعناها: سهل و"أسان" ومعناها: كلّ، وإليها ينسب أبو مسلم الخراسانيّ .أنظر:ياقوت الحموي، نفسه، ص350.

إلى بطش جيوش المغول بقيادة جنكيزخان، هذا ما أجبرها على النّزوح غربا في اتّجاه آسيا الصّغرى أو ما كان يعرف عند المؤرّخين العرب **ببلاد الرّوم**[1]، الّتي كانت خاضعة في معظمها لدولة السّلاجقة[2] والّتي بدورها دخلت مرحلة الضّعف والانهيار نتيجة انغماس سلاطينها في اللّهو والتّرف وتخلّيهم عن واجباتهم العسكريّة[3]. ومع ضعف قبضة الدّولة السّلجوقيّة على مقاليد الأمور العسكريّة والسّياسيّة، بدأت القوى المحلّيّة المتمثّلة في الأمراء والأعيان تتدخّل في أمور البلاد، ممّا أدّى إلى شيوع الظّلم والاستبداد، هذا ما ساعد على انفتاح الأناضول على نشاطات الطّرق الصّوفيّة و**الدّراويش**[4] الّتي سدّت إلى حدّ ما هذا الفراغ السّياسيّ[5].

تمكّن المغول بعد اجتياحهم للعراق وأجزاء من الأناضول، من أن يُلحقوا بالسّلاجقة هزيمة ساحقة في معركة **كوسة داغ**[6]، على إثر ذلك أُلحقت الدّولة السّلجوقيّة با**لإيلخانيّين**[7] في بلاد فارس[1]، وأصبح قادة الجيش المغوليّ هم الحكام الحقيقيّون للأناضول. فأُثقلت الرّعيّة بالضّرائب وأُهملت مصالحهم، وظهرت الفتن بين أمراء السّلاجقة حتّى أصبح الواحد منهم يستنجد بالمغول ضدّ أبناء

1- **بلاد الروم**: هي البلاد المنحصرة بين بحري القرم والخليج القسطنيطينيّ، وتمتدّ جنوبا حتّى بحر الأرمن، وهي بلاد واسعة ومتفرّقة إلى إمارات متنازعة، أكبرها إمارة كرميان وإمارة آل عثمان ببروصة والمقصود بها الأقاليم التّابعة للدّولة العثمانيّة في أوروبّا والأناضول، وهذا تمييزا لسلاطين الدّولة العثمانيّة عن سلاطين بلاد فارس ومصر. أنظر: أبو العبّاس القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، القاهرة، ج8، المطبعة الأميريّة، 1334هـ/1915م، ص12؛ منجم باشي لطف اللّه، **جامع الدّول** (التّاريخ العثمانيّ 1299م–1481م)، حقّقه وعلّق عليه وترجمه إلى التّركية أحمد اغير اقجه، انسان يانلري، اسطنبول 1995م، ص 76.

2- شرف خان البدليسي، **شرفنامة في تاريخ الدّولة العثمانيّة**، ج2، ترجمة محمّد علي العوني، دار الزّمان للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق 2006م، ص15.

3- Laffont Robert, ***Histoire du développement culturel et scientifique de l'humanité***, imprimé et relié en Italie sur les presses de vaccarie à Milan, UNESCO 1968, v 4, (1300 – 1775), T 01, P 192.

4- **درويش**: كلمة فارسيّة معناها فقير أو مسكين، أطلق في اللّغة العربيّة على الزّهّاد والشّحاذين، ثمّ تطوّر معناه وأصبح له علاقة بالتّصوّف، وأصبح الدّراويش طبقة معروفة تميل إلى الطّرق الصّوفيّة، كما أصبح لهم تكايا يقيمون فيها وأوقاف تنفق عليهم، وتحوّلت أفكار التّصوّف عندهم من السّموّ الرّوحيّ إلى الشّعوذة والخرافات الّتي لا أصل لها في العقيدة الإسلاميّة. أنظر: عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق، ص180.

5- برنارد لويس، **اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلاميّة**، تعريب وتعليق سيّد رمضان علي، ط2 ،الدّار السّعوديّة للنّشر والتّوزيع، 1402هـ/1984م، ص34.

6- معركة كوسة داغ: دارت بين الجيشين المغولي و السلجوقي عام 624هـ/1243م ، حيث تلقى الجيش السلجوقي هزيمة كبرى ، على اثرها اخذت الدولة السلجوقية في الانهيار ، انظر: أحمد عبد الرّحيم مصطفى، مرجع سابق ،ص 23

7- **الإيلخان**: هو لفظ فارسيّ تركيّ معناه رئيس القبيلة أو العشيرة، أصبح فيما بعد يطلق على أمراء المغول في إيران الّذين أسّسوا الدّولة الإيلخانيّة الّتي سقطت عام 1335م . أنظر : عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق، ص 59.

جلدته من الأتراك. وأمام كلّ هذه التّطورات الّتي عرفها الأناضول كان المماليك في مصر يراقبون الأوضاع عن كثب. ويُرجّح الكثير من المؤرّخين أن معظم الثّورات الّتي عرفها الأناضول ضدّ الإيلخانيّين كان وراءها المماليك[2].

ومع مطلع القرن 14م، بدأت الدولة الإيلخانية في الانهيار، وبدأت تتشكل الإمارات التركمانية ودخلت المنطقة بذلك في عصر الطوائف[3]، وأضحى الأناضول يفتقر لوحدة سياسيّة تجمع شتات هذه الإمارات المتنازعة فيما بينها والمتضاربة مصالحها[4]، وبالتّالي كانت الفرصة مواتية لأيّة إمارة قويّة ناشئة أن تلعب دورها في توحيده [5]. وقد اختلف المؤرّخون في عدد هذه الإمارات فمنهم من يقدّره بـ10 وآخرون بـ14 إمارة[6]، بل وحتّى من قدّرها بـ16 إمارة، من أشهرها والّتي كان لها دور في صناعة مستقبل الأناضول السّياسيّ نذكر:

1-إمارة أبناء كرمان: karamen ogullari **(1250–1487م)** كانت تعتبر أكبر الإمارات التّركمانيّة في الأناضول[7]، والّتي استغلّ حكامها الفوضى الّتي عرفتها المنطقة بعد عام 1288م واتّخذوا من قونية عاصمة لهم ، وادّعوا أنّهم ورثة السّلاجقة[8]. اعتبرها حكامها مملكة وليست إمارة، وسوف نرى لاحقا أنّهم كانوا من أشدّ المناوئين للعثمانيّين، أثناء محاولتهم توحيد الأناضول بل وتحالفوا مع مسيحيّي البلقان والبيزنطيّين ضدّهم.

1- خليل إينالجيك، **تاريخ الدّولة العثمانيّة من النّشوء إلى الانحدار**، ط01، ترجمة محمّد الأرنؤوط دار المدار الإسلاميّ، 2002م، ص13.

2- محمّد فؤاد كوبرلي، **قيام الدّولة العثمانيّة**، ترجمة أحمد سعيد سليمان، تقديم أحمد عزّت عبد الكريم، دار الكتاب العربيّ للطّباعة والنّشر، ص ص 57- 71.

3 - متعب حسين القتامي ، **آسيا الصغرى خلال العهد المغولي** (641-736هـ/1273-1336م)، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة 2005م، ص 18.

4- القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، مصدر سابق، ص12.

5- عبد العزيز نوار، **تاريخ الشّعوب الإسلاميّة**، دار الفكر العربيّ، القاهرة،د خ ش، ص 36.

6- لويس، مرجع سابق، ص 32.

7- القلقشنديّ، ص 12.

8- محمد بن محمود الحلبي، **العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك**، ط1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر دمشق ، سوريا ، 1406هـ/ 1986م، ص27.

2- إمارة أبناء كرميان Germiyan ogullari: (1260–1429م) كانت عند تأسيسها من أقوى الإمارات في الأناضول بعد قرمان، كانت عاصمتها كوتاهية[1]، نالت استقلالها عن الإيلخانيّين عام 751هـ/1335م. وقد أُعتبر الجيرميان سادة التّركمان، وتمكّنوا من فتح العديد من الأراضي البيزنطيّة وتتريكها[2].

3- إمارة أبناء آيدن Aydin ogullari: (1300–1425م) تمكّن حكّامها من فتح غرب الأناضول وسواحل بحر إيجه، كانت عاصمتهم مدينة آيدن، وبمهاجمتهم سواحل اليونان تكون آيدن قد سبقت العثمانيّين في الإغارة على البلقان.

4– إمارة أبناء صاروخان Saruhan ogullari: (1300 –1410 م)، هي من إمارات غرب الأناضول، كانت عاصمتها مانيسيا[3]، وبعد 1410 م انضمّت للدّولة العثمانية.

5 – إمارة أبناء ذو القادر: (1337–1522م) نظرا لموقعها كانت تنازعها الدّولة العثمانيّة والمماليك، كانت عاصمتها ألبستان الّتي دمّرها الشّاه إسماعيل الصّفويّ عام 1507م.

6– إمارة أبناء منتشه:Muntase ogullari (1300–1426م) كانت محصورة في الرّكن الجنوبيّ الغربيّ للأناضول، وكانت ذات أصول بحريّة، لهذا كان لها دور كبير في عمليّة القرصنة البحريّة في سواحل بحر إيجه[4].

7- أبناء رمضان Ramadan ogullari: تنسب إلى أسرة تركمانية، و قد تشكلت في أدنة عام 780هـ . وقف معظم أمرائها إلى جانب المماليك إلى أن قويت شوكة العثمانيين ، فانحازوا إلى جانبهم[5].

8 – أبناء شرف خان: Saraf han ogullari (1220م–1670م)، هم أشهر سادة الأكراد، وقد تبعوا الإلخانيّين والجلائريّين والتّيموريّين والقراقويون والآقفويّون(Aka koyn – kara koyn

---

1- ابن فضل الله العمريّ شهاب الدّين أحمد بن يحي، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق كامل سلمان الجبوريّ، ج3، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان 2010م، ص244.

2- يلماز أوزتونا، **المدخل إلى التّاريخ التّركيّ**، ترجمة أرشد الهرمزيّ، ط01، 1426هـ/2005م، الدّار العربيّة للموسوعات، بيروت، لبنان ،ص390.

3- كوبرلي، مرجع سابق، ص ص66 -67.

4- أوزتونا، ، ص392.

5- محمد بن محمود الحلبي، مرجع سابق، ص27 .

وبعد 1514م سيطر عليهم العثمانيّون، كانت عاصمتهم بيتليس، ولما أخرجوا منها لجؤوا إلى الجبال، ومن أشرافهم شرف خان البدليسيّ[1].

9- الجنداريون (1291م- 1491م) : سُمّيوا بأبناء أسفنديارAsfandyar ogullarكانت عاصمتهم قسطموني ، انظمّوا الى إمارة كرميان عام 1368م ثمّ خضعوا للدولة العثمانية عام 1383م ثمّ استقلت عنها عام 1402م ، ثمّ ضُمّت اليها عام 1413م.

10- أبناء أرتانا: Artana ogullari (1326م-1380م) ورثت مملكة أرتانا معظم أراضي الإيلخانيّين، في الأناضول بعد سقوط دولتهم، وكانت عند ظهورها شاسعة المساحة، ورغم هذا لم تكن لها شعبيّة.

11- الحميديون: Hamid ogullari كان للحميديون إمارتين ، تُعرف الأولى بحميدلي وعاصمتها إسبرطة ، احقها السلطان بايزيد الاول بالدولة العثمانية عام 1391م ، وامارة تكه التي أُلحقت بالدولة العثمانية عام 1424م.

12- إمارة آخي في أنقرة: (1290م – 1354م) كانت عبارة عن جمهورية صوفية تابعة للإلخانيين ، ثم لأبناء أرتنا ثمّ للقرامنيين ، وفي عام 1354م استولى عليها العثمانيون[2].

13- القاضي برهان الدّين: (1380م–1396م) أطاح القاضي برهان الدين، بسلطان إمارة أبناء أرتانا محمّد الثّاني، وأعلن نفسه سلطاناً عليها ، وبقي الوضع على حاله، إلى أن أطاح به السلطان بايزيد الأول وقتله وضُمّت الإمارة للدولة العثمانية [3].

14- إمارة آل عثمان: (1299م-1923م) تنسب إلى مؤسّسها عثمان[4]بن أرطغرل، وقد اتّخذت في البداية من **يني شهر**(**yeni sehir**) عاصمة لها، وبحكم موقعها كانت في مواجهة دائمة مع البيزنطيّين.

[1]- أوزتونا، **المدخل إلى التّاريخ التركيّ** ،المرجع السابق، ص396.

[2]- نفسه، ص ص 394، 395،396

[3]- نفســــه، ص 383.

[4]- **عثمان غازي**: يعتبر أوّل سلاطين بني عثمان ولد عام 656هـ/1258م. تولّى الحكم بعد وفاة والده أرطغرل عام 697هـ/1280م. وبعد سقوط الدّولة الإيلخانيّة أعلن تحويل قبيلته إلى إمارة مستقلّة عام 699هـ/1299م، واتّخذ من مدينة قارة حصار عاصمة له. توفّي عام 726هـ/1360م عن عمر ناهز 70 سنة، ودامت فترة حكمه 27 سنة. أنظر:حضرة عزتلو يوسف بك آصاف، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أوّل نشأتهم حتّى الآن**، القاهرة،.د.ن، د.خ.ش، ص ص 34- 35.

كانت هذه الإمارات عبارة عن قوى محلّيّة تتّسم مجتمعاتها بالتّسامح، ويغلب عليها الثّقافة الشّعبيّة المستمدّة من الطّرق الصّوفيّة، استفادت من سقوط الدّولة السّلجوقيّة ومن ضعف الإيلخانيّين[1]، وقد أثّرت كلّ منها في الأناضول حسب موقعها الجغرافيّ من جهة، وحسب قوّة أمرائها من جهة أخرى. لكن يبدو أنّ الإمارات الحدوديّة كانت أوفر حظّا من عوامل التّطوّر من الإمارات الدّاخليّة، على غرار إمارة كرميان[2] وإمارة آل عثمان، اللّتين كانتا الأقوى والأنسب لخلافة الدّولة السّلجوقيّة، لأنّهما كانتا الأقرب للعدوّ البيزنطيّ وكانتا دوما متحضّرتين للهجوم وللدّفاع[3].

عرفت الفترة كذلك سقوط وانهيارا تامّا للدّولة السّلجوقيّة أمام الإيلخانيّين أحفاد هولاكو، الّذين حكموا إيران وعراق العرب وعراق العجم، وبسطوا سيطرتهم على معظم أرجاء الأناضول وأذربجان[4] وخراسان وحتّى الدّولة العثمانيّة عند ظهورها[5].

وبعد فترة وجيزة دامت نصف قرن، عرفت دولة الإيلخانيّين بدورها الضّعف والاضمحلال[6]، واستمرّت على هذا الحال إلى أن سقطت عام 1335م، وتفكّكت إلى دويلات، بعد وفاة أبي السّعيد الّذي يعتبر آخر إيلخان. وكانت أهم هذه الدّويلات دولة كرت وعاصمتها هراة، ودولة السّربداريّين وعاصمتها سيزاوا، والدّولة المظفريّة وعاصمتها شيراز الّتي كانت تحكم العراق العجميّ والعراق العربيّ وديار بكر وبعض الأجزاء من الولايات الرّوميّة في آسيا الصّغرى، والدّولة الجلائريّة وعاصمتها بغداد ثمّ

---

1 – **الدّولة الإيلخانيّة:** تعتبر إحدى فروع إمبراطوريّة جينكزخان الأربعة، أنشأها هولاكو في بلاد فارس، وامتدّت من نهر جيحون إلى المحيط الهنديّ، ومن السّند إلى الفرات، مع جزء كبير من الأناضول وبعض الأجزاء من القوقاز. حمل حكّام إيران من أحفاد هولاكو لقب إيلخان وهذا دلالة على تبعيّتهم للخاقان في بكّين. وبحلول عام 1295م اعتنق حكّام إيران الإسلام ، لكن رغم ذلك بقوا يحملون= لقب إيلخان ودولتهم تسمّى بالإلخانيّة. انظر:عبد السّلام عبد العزيز فهمي، **تاريخ الدّولة المغوليّة في إيران**، دار المعارف، القاهرة، 1981م، ص ص 253- 254.

2 – إينالجيك ،مرجع سابق، ص16.

3 – وجيه كوثراني، **السّلطة والمجتمع والعمل السّياسيّ من تاريخ الدّولة الولاية العثمانيّة في بلاد الشّام**، ط1، بيروت، أكتوبر 1988م، ص42.

4 – **أذربجان**: اسمها القديم (أتروباتان)، إقليم يقع في الجزء الجنوبيّ الغربيّ لبحر قزوين، يحدّه شمالا إقليم داغستان وإقليم جورجيا، ومن الغرب والجنوب الغربيّ أرمينيا. انظر: عبد الرّحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**، ج 7، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 142هـ/2000م، ص726.

5 – ابن فضل الله العمريّ، مصدر سابق، ص215.

6 – يلماز أوزوتونا، **المدخل إلى التاريخ التركي** ،مرجع سابق، ص369 ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي ؛ **تاريخ الدولة المغولية في إيران**، دار المعارف ، القاهرة ، 1981م، ص 242- 244- 247- 248.

تبريز، الّتي اعتبر حكّامها دولتهم استمرارا للدّولة الإيلخانيّة، نظرًا لصلة القرابة والنّسب الّتي كانت تربطهما[1]. وبهذا خلف الجلائريّون الإيلخانيّين في حكم بلاد فارس والعراق لكن نفوذهم لم يكن في مستوى الإيلخانيّين، بحيث لم يتعدّ شرق الأناضول، بينما أضحى الشّرق الأدنى تحت سيطرة المماليك[2]. بالإضافة إلى ذلك عرف الأناضول وجود إمارات قارة قوينلو(kara koyunlar)في ديار بكر، وأقاقوينلو (Aka koyunlular) [3]الّتي أسّسها قارة عثمان، وكانت حليفة للعثمانيّين في حروبهم، خاصّة على عهد السّلطان بايزيد الأول . بالإضافة إلى ذي القدر في مرعش، وبني رمضان في أدنة[4]، مع وجود إمارات مسيحيّة أخرى كان من أهمّها، إمارة طرابزون المسيحيّة الّتي تقلّص وجودها واقتصر على السّواحل الشّرقيّة للبحر الأسود، بينما كانت بيزنطة [5] تتمسّك بصعوبة بسواحل بحر مرمرة[6].

أمّا إمارة أرمينيا فرغم صغر مساحتها، شكّلت محورا أساسيّا في موازين القوى بالمنطقة، خلال القرنين 13م و14م، ليس لقوّتها العسكريّة وإنّما لتحالفها مع المغول وقبولها الخضوع لهم. لهذا بقيت كشوكة مؤملة في حلق المسلمين، وبعد انهيار دولة الإيلخانيّين، واعتناق المغول للإسلام رفضو التّحالف معهم، وعجز الأوروبيّون عن تقديم المساعدة لهم، لهذا تمكّن المماليك من القضاء على دولتهم في

---

[1]- شعبان طرطو، **الدّولة الجلائريّة**، دار الهداية للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1407هـ/1987م، ص5.

[2]- أوزوتونا، **المدخل إلى التاريخ التركي** ،مرجع سابق ،ص ص 380- 383.

[3]- **قارة قوينلو**: هي قبيلة تركمانية شيعية المذهب حكمت مناطق من العراق وأذربجان بين (1380 إلى 1468م) عرفت بهذه التّسمية لأنّها كانت تضع رسم خروف أسود اللّون على علمها. أمّا **الآققوينلو**: هي قبيلة تركمانية سنية حكمت مناطق ديار بكر وشرق الأناضول و أذربجان بين (1338م إلى 1580م) سمّيت بذلك لأنّها كانت تضع رسم خروف ذي لون أبيض على علمها، كما كانت تعرف كذلك بالنّعجة السّوداء.انظر: سيار الجميل،مرجع سابق، ص70.

[4]- Hammer, J, **H*istoire de l'empire ottoman depuis son origine jusqu'à nos jours***, traduit de l'Allemand par J.J. Helert ,T 01 (1300-1400), imprimerie de Renri dupuy, Paris, p p 249 -309.

[5]- **بيزنطة**: هي دولة تنسب إلى المكان الذي أقيمت عليه (بيزنطيوم) أسّسها الإمبراطور قسطنطين الأوّل عام 330م، واتّخذ القسطنطينيّة عاصمة لها منذ 337م، تعرف كذلك بالإمبراطوريّة الرّومانيّة الشّرقيّة، عاشت حوالي 11 قرنا ونصفا، سقطت على يد محمّد الفاتح عام 1453م. انظر: عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق، ص ص 94- 95.

[6]- أوزوتونا، **المدخل إلى التاريخ التركي**، ص 380.

1375م. وإلى جانب مملكة أرمينيا كانت هناك مملكة الكرج المسيحيّة والّتي تحالفت هي الأخرى مع المغول، وشاركت الأرمن تقريبا نفس الأحداث[1].

أمّا بلاد الشّام فقد كانت تابعة للمماليك بمصر، وبدورها كانت مقسّمة إلى ممالك تعرف بالممالك الشّاميّة، الّتي كان يحكم كلّا منها وال [2]. أمّا الحجاز بما فيها مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة فكانت تابعة للمماليك، يدير شؤونها الأشراف من بني الحسن بن عليّ رضي الله عنهما، وكانت المدينة المنوّرة تابعة إداريّا لمكّة المكرّمة[3].

***ثانياً:* أوضاع بيزنطة وشبه جزيرة البلقان**

كانت معظم أوروبا الشّرقيّة بما فيها البلقان ومعظم أجزاء الأناضول خاضعة للإمبراطوريّة البيزنطيّة منذ القرن 11م. لكن بعد هزيمة البيزنطيّين أمام السّلاجقة في معركة **ملاذكرد** (Malazgirt) في عام 464هـ/1071م، بدأت هذه الإمبراطوريّة في التّفكّك والانهيار[4]، فقد تحرّر شرق الأناضول وظهرت دويلات مستقلّة، كان أبرزها دويلة **أرمينيا**[5]، وإمبراطوريّتي **طرابزون**[6]ونيقية. استغلّت الدّولة السّلجوقيّة هذه الأوضاع وعملت على تهجير المزيد من القبائل التّركمانيّة إلى الأناضول[7].

1- للمزيد انظر: زرقوق محمّد، **مملكة أرمينيا الصّغرى، بين المغول والمماليك بين سنتي 623-776هـ/1266-1375م**، تحت إشراف الأستاذة بشاري، جامعة الجزائر ، ص ص 197- 202 -205.

2- القلقشنديّ، مصدر سابق، ج 8، ص13 .

3- نفسه ، ج 10، ص233.

4- أحمد فؤاد متولي وهويلا محمّد فهمي، **تاريخ الدّولة العثمانيّة منذ نشأتها حتّى نهاية العصر الذّهبيّ**، ط01، انتراك للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ص 22.

5-**أرمينيا** : أطلق المسلمون اسم أرمينيا على المنطقة الممتدة من بحر قزوين و أذربجان شرقاً الى القوقاز شمالاً إلى الشام جنوباً، بما فيها جورجيا ، سكانها مسيحيون انفصلت عن بيزنطا وتأسست لها مملكة عام 1198م.أنظر:زرقوق محمد، مرجع سابق ،ص 40.

6- **طرابزون**: هي في الأصل ميناء كانت تجلب إليه السّلع من القسطنطينيّة، ثمّ تُحمل منه إلى البلاد الإسلاميّة، حتّى أطلق على البحر الأسود في وقت من الأوقات بحر طرابزون.انظر:كي لسترنج، **بلدان الخلافة الشّرقيّة**، ترجمة بشير فرنسيس نوكوركيس غوار،ط2 مؤسّسة الرّسالة ، بيروت 1985م، ص168.

7- للمزيد انظر: عبد الفتّاح أبو عليه، **الدّولة العثمانيّة والوطن العربيّ الكبير**، دار المريخ للنّشر، مصر، 1429هـ/2008م، ص34.

وبعد الحملة الصّليبيّة الرّابعة 1204م خضعت **القسطنطينيّة**[1] لسيطرة اللاّتين، وبهذا تكون أوروبّا الغربيّة قد سيطرت على أوروبّا الشّرقيّة[2]، وأصبح بذلك من المستحيل قيام تحالف بين شطري أوروبّا. وحتّى بعد استعادة البيزنطيّين لعاصمتهم في1261م، فقد زادت أوضاع البلاد تدهورا على جميع الأصعدة ، ممّا أدّى بالكثير من البيزنطيّين إلى التّعاطف مع العثمانيّين منذ القرن 14م، على اعتبار أنّ حكمهم أفضل لهم بكثير من حكم أبناء جلدتهم[3]. ونتيجة لهذا، فقدت بيزنطة معظم ممتلكاتها في الجهات الغربيّة من الأناضول، ولم يبق لها سوى بعض المناطق المحيطة ب**البوسفور**[4] **والدّردنيل**[5] على طول سواحل **بحر مرمرة**[6].

استغلّ أهالي البلقان هذه الظّروف وأنشؤوا بدورهم ممالك مستقلّة، سرعان ما ظهر التّنافس والصّراع بينها[7]، وتحوّل إلى صراع دينيّ مذهبيّ بين **الأرثوذكس**[8] **والكاثوليك**[9]. وهكذا أصبح اللاّتين باسم الكاثوليكية يماطلون في تقديم المساعدات للأرثوذكس، وباسم الأرثوذكسيّة كان البيزنطيّون يرفضون تدخّل اللاّتين في شؤونهم الدّاخليّة، ويستعينون في بعض الأحيان بالعثمانيّين ويقدّمون لهم

1- **القسطنطينيّة**: مدينة أسسها الإمبراطور الرّومانيّ قسطنطين الأوّل عام 337م، وأطلق عليها اسمه، ونقل كرسيّ العرش الرّومانيّ من روما على ضفاف نهر التّبر إلى روما الجديدة الّتي شيّدت على ضفاف البوسفور. تعرف بتحصيناتها الكبيرة، حيث تحيط بها المياه من ثلاث جهات، من الشّمال مياه القرن الذّهبيّ، ومن الشّرق مياه البوسفور، ومن الجنوب بحر مرمرة، حاول المسلمون مرارا فتحها منذ عهد معاوية بن أبي سفيان لكن دون جدوى وبلغت عدد المحاولات 29 مرّة، استشهد الصّحابي الجليل أبو زيد الأنصاري عند أسوارها .انظر: فائقة محمّد حمزة، مرجع سابق، ص 22.

2 –***R***. Janine, ***«Les sanctuaires de Byzance sous la domination latine »***, in Etudes Byzantines, T0 2, 1944, p 135.

3- للمزيد انظر: عمر كمال توفيق، **تاريخ الدّولة البيزنطيّة**، تقديم محمّد سعيد رضوان، دار المعرفة الإسلاميّة للطّبع والنّشر والتّوزيع، الإسكندريّة،د.خ.ش، ص227.

4- **مضيق البوسفور**: هو المضيق الفاصل بين البحر الأسود وبحر مرمرة.

5- **مضيق الدردنيل**: هو المضيق الفاصل بين بحري مرمرة والأبيض المتوسّط.

6- **بحر مرمرة**: كان يعرف قديما بالخليج القسطنطينيّ ويصل بين البحر الأسود (بنطس) والبحر الأبيض المتوسّط (البحر الرّوميّ).انظر: ابن فضل الله العمريّ، مصدر سابق، ص213.

7- ***S***tephane yerasinos , " ***L'Eglise Orthodoxe pépinière des états balkaniques "***, in Revue du monde musulman et de la méditerranée, №66 , 1992, p 147.

8- **الأرثوذكسيّة**: هو مذهب ديني مسيحي يسود في وأوروبّا الشّرقيّة وروسيا وغرب آسيا. ظهر خلال القرن 09م بعد الشّقاق بين الكاثوليك والأرثوذكس بسبب الاختلاف حول روح القدس وطبيعة المسيح ومحاولة الكنيسة الغربيّة السّيطرة على نظيرتها الشّرقيّة. وبحلول عام 1054م ظهر جلياً الخلاف والعداء بين الطّرفين .انظر:أحمد مهدي محمّد الشّويحات ومجموعة من العلماء، **الموسوعة العربيّة العالميّة**، غ.م.

9- **الكاثوليكيّة**: مذهب ديني مسيحي يسود في أوروبا الغربية ، ومعظم ارجاء العالم ، يقوده البابا في الفاتكان، كان له تأثيرات كبيرة في تاريخ أوروبّا السّياسيّ والثّقافيّ والأدبيّ، أظهر عداء كبير لنظيره الأرثوذكسيّ في شرق أوروبّا. ونتيجة لتسلّط رجال دينها ظهرت عدّة دعوات لإصلاحها، انتهت بحركة مارتن لوثر 1483-1546م . انظر:أحمد مهدي، مرجع سابق، غ.م.

الولاء [1]. وبذلك أصبحت القوى السّياسيّة المسيحيّة في شرق أوروبّا والبلقان تعيش مرحلة الاحتضار ولم تعد هناك قوّة بإمكانها الوقوف في وجه طموحات العثمانيّين[2].

إذًا فظهور العثمانيّين وتوسّعهم في القسم الغربيّ من الأناضول، ووصولهم حتّى الدّردنيل، حدث دون انتباه الأوروبيّين، ولا حتّى البيزنطيّين الّذين كانوا يظنّون أنّ الخطر الإسلاميّ ربّما يأتيهم من الإمارات التّركيّة المسلمة المطلّة على **بحر إيجه**[3] خاصّة صاروخان لا من قبل العثمانيّين[4].

[1]- كمال توفيق، مرجع سابق، ص229.

[2]- هريدي، مرجع سابق، ص 50.

[3]- **بحر إيجة**: هو ذراع من البحر الأبيض المتوسّط، يمتدّ بين اليونان وتركيا، طوله 760كلم وعرضه 320كلم. يضمّ مجموعات من الجزر. انظر: حسين محمد نصّار وآخرون، **الموسوعة العربيّة الميسّرة**، ط3،،المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان،1431هـ /2010 م، ص 544.

[4]- أحمد فؤاد متولي، **تاريخ الدّولة العثمانية**، مرجع سابق، ص41.

المبحث الثّاني: نشوء الدّولة العثمانيّة

يكتنف موضوع تاريخ نشأة إمارة آل عثمان، وأصل العثمانيّين الكثير من الغموض، لأنّه يقترب في الكثير من أحداثه إلى الأساطير والخرافات[1]، كما تدلّ على ذلك الرّوايات الّتي ذكرها السّلاطين أنفسهم فيما بعد، والّتي يغلب عليها طابع الإعجاب والقداسة الدّينيّة والسّموّ[2]، رغم أنّ الموضوع المشار إليه لم تكن أحداثه متوغّلة في التّاريخ. وهذا أمر طبيعيّ، لأنّه عادة لا يهتمّ المؤرّخون بميلاد دولة جديدة، إلاّ بعد أن يكتب لها البقاء وتفرض نفسها على مسرح الأحداث، هنا يشرع المؤرّخون في تدوين أحداث هذه الدّولة النّاشئة. وكلّما تأخّروا في تدوين أحداثها، كانت تلك الكتابات بعيدة عن الحقيقة، يغلب عليها الخرافات والرّوايات المتواترة غير المحقّقة، وهذا لسدّ بعض الفراغات[3].

لهذا اختلفت آراء المؤرّخين الأتراك والأوروبيّين على حدّ السّواء حول نشأة الدّولة العثمانيّة، فالبعض منهم اعتمد على هذه الأساطير والرّوايات كما وردت، بعد فحصها وتمحيصها، والبعض الآخر رفضها جملة وتفصيلا، لعدم تطابقها مع العقل ومع المنطق. لهذا حدث فيما بينهم الكثير من التّضارب، هذا ما يزيد من شهيّة البحث عن الحقيقة، إذ تعتبر هذه القضيّة من أهمّ الإشكالات في التّاريخ العثمانيّ والّتي لم يولها المختصّون اهتماما إلّا مؤخّرا، أي خلال النّصف الثّاني من القرن العشرين[4].

رغم هذا هناك شبه إجماع بينهم على أنّ ظهور إمارة آل عثمان يعود إلى أواخر القرن الثّامن الهجريّ الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي[5]، وكان هذا بعد غارات المغول المدمّرة[6]بقيادة زعيمهم جينكزخان[7]، الّتي أدّت إلى تدفّق المزيد من المهاجرين الأتراك من أواسط آسيا نحو الأناضول واحتلالهم لعدّة مناطق منه[8]، وتشكّلت منهم عدّة إمارات استغلّت الظّروف وأعادت بعث فكرة

1- إيفانوف، مرجع سابق، ص20.

2- سيار جميل، مرجع سابق، ص48.

3- فؤاد متولي، **تاريخ الدّولة العثمانية**، مرجع سابق، ص27.

4- حسن أبو علية، مرجع سابق، ص56.

5- *H*ammer, op.cit., p 55.

6- البدليسيّ، مصدر سابق، ص17.

7- **جينكزخان**: معناها ملك ملوك المغول والتّتار، وُلد عام 1160م وتوفّي عام 1227م، يعتبر من أهمّ الملوك السّفّاكين للدّماء والفاتحين عبر التّاريخ .انظر:سليمان أفندي خليل الجاويش، مصدر سابق، ص 92.

8- خليل إينالجيك ، مرجع سابق، ص14.

الجهاد المقدّس ضدّ البيزنطيّين. ومن هذه الإمارات إمارة آل عثمان، الّتي اختلف المؤرّخون في نسبها، لكنّهم أجمعوا على أنّ جدّ آل عثمان الأوّل هو سليمان شاه.

كما تتّفق الرّوايات العثمانيّة القديمة على أنّ أصل العثمانيّين يعود إلى قبيلة قايي الّتي هي فرع من الأتراك الأوغز (الغزّ أو التّركمان)، وكان عثمان غازي ووالده **أرطغرل**[1] على رأس عشيرة من عشائر قايي هاجرت إلى الأناضول، ودخلت في خدمة دولة السّلاجقة[2]. وفي عام 1280م توفّي أرطغرل، وخلفه على رأس الإمارة ابنه عثمان غازي الّذي أكّد هو الآخر ولاءه للسّلاجقة مقابل اعتراف سلطان قونية بسلطته على إمارته[3]. وفي عام 1299م، احتلّ المغول قونية، وتفسّخت بذلك الدّولة السّلجوقيّة، وظهرت على أنقاضها مجموعة من الإمارات التّركمانيّة المتناحرة، ومنها إمارة آل عثمان[4]، الّتي اتّخذت من يكي شهر[5] عاصمة لإمارتها الفتيّة[6]. ولإعطاء هذه الإمارة هويّةً، أعطى عثمان غازي اسمه لجنوده الّذين خرجوا معه من بلاد ما وراء النّهر تاركا اسم التّرك لبقيّة الأتراك. وتحدّد في عهده الوضع الدّينيّ والعسكريّ والسّياسيّ للأتراك العثمانيّين[7]. وفي هذا يقول الشّيخ الشّاعر عبد الغنيّ النّابلسيّ في منظومته، "الطّلعة البهيّة في تاريخ ملوك الدّولة العثمانيّة":

وَاعْلَـــم بِـــأَنَّ أَوَّلَ المُلُـــوكِ   مِـــنْ آلِ عُثْمَـــانَ ذَوِي السُّـــلُوكِ
عُثْمَـــان بِـــك بِـــنُ الأَمِـــيرِ أُرْطُغْـــرُلْ   وَجَـــدُّهُ شَـــاه إسْمَاعِيـــل الأَجَـــلْ
وَأَقْبَلَـــت لَـــهُ وُجُـــوهُ النَّـــاسِ   مِـــنْ سَـــائِرِ الأَجْنَـــادِ وَالأَجْنَـــاسِ

1– **أرطغرل** : هو أرطغرل والد عثمان غازي وابن كندر ألب بن قايا ألب بن كوك ألب بن صارقوق ألب بن قايي ألب ، ويصل نسبه إلى يافث بن سيّدنا نوح عليه السلام .و للمزيد حول نسب أرطغرل انظر: منجم باشي أحمد بن لطف اللّه، **جامع الدّول (التاريخ العثماني 1299 – 1481م)**، حقّقه وعلّق عليه وترجمه إلى التّركية أحمد أغير اقجه، إنسان يانلري، اسطنبول 1995م، ص08؛ أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدّمشقي القرماني، **أخبار الدّول و آثار الأول**، مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"،د.خ.ش، د.ن.م، ص 295.

2 – حضرة عزتلو يوسف بك أصاف، مرجع سابق، ص29.

3– محمّد حرب، **العثمانيّون في التّاريخ والحضارة**، المركز المصريّ للدّراسات العثمانيّة وبحوث العالم التّركيّ،القاهرة 414هـ/1994م، ص10.

4- Hammer, op.cit., p 80.

5– **يكي شهر:** تُلفظ الكاف نون في العثمانية ، وبالتالي تنطق يني تشهر أي المدينة الجديدة ، يكتبها الأتراك yenişehir، تقع شمال شرق مدينة بورصة.انظر: فائقة محمد حمزة عبد الصّمد بحري، **أثر الدّولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا**، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث،غير منشورة، ، جامعة أمّ القرى، مكة المكرمة، ، 1409 هـ/1989م،ص 12

6 – منجم باشي ، مصدر سابق، ص 28.

7 – القرمانيّ، مصدر سابق، ص ص 296-297.

وَأَصْــــــبَحَ المُلْـــــــكُ إِلَى عُثْمَــــــــانِ   وَباسْمِـــــه دَعَـــــتْ كِبْـــــارُ الشَّــــانِ[1]

بعد هذا شرع العثمانيّون في توسيع دولتهم على حساب ممتلكات الدّولة السّلجوقيّة المنهارة[2] والإمبراطوريّة البيزنطيّة، واستولوا على العديد من ممتلكاتها في آسيا الصّغرى منتهجين سياسة فرّق تسد بين زعماء مدنها وقلاعها[3]. والسّؤال الّذي يطرح نفسه بقوّة، هو كيف برزت إمارة آل عثمان العثمانيّة من بين هذا العدد الهائل من الإمارات، رغم أنّها كانت من أكثرها تواضعا، وكيف تحوّلت هذه الإمارة الصّغيرة إلى دولة بكلّ مقوّماتها، بينما لم يعد للإمارات الأخرى وجود؟

فبحكم قرب إمارة آل عثمان من بيزنطة، جُعل بقاؤها مقرونا بقوّتها العسكريّة[4]. لهذا تعتبر القوّة العسكريّة والتّنظيم والقانون والتّسامح من أهمّ الأسس الّتي قامت عليها[5]، كما أنّ الأمراء الأوائل للدّولة، كان الواحد منهم يفوق من سبقه في التّنظيم والتّخطيط[6]، وبحكم متاخمتها للإمبراطوريّة البيزنطيّة الآخذة في الزّوال، أصبحت لها أهداف كبرى وفرص عظمى للبروز كقوّة في المنطقة، لهذا توافد عليها المتطوّعون والدّراويش من مختلف أرجاء الأناضول[7].وجّه عثمان غازي[8] جهوده في اتّجاه الغرب، وقد أدّت سياسته التّوسعيّة إلى أن انظمّ إليه المتطوعون والعلماء والفقهاء والدراويش و**الآخيان**[9]، وحتى لجنود التّابعين للإمارات المجاورة ، وتمكّن عثمان غازي بفضل حكمته

---

[1]- محمود حمزة، **البرهان على بقاء ملك آل عثمان إلى آخر الزّمان**، مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة، تمّوز 1204هـ، العدد 440، غ.م.

[2]- **C**hevalier. H et L. todier, ***précis d'histoire de l'Europe (de 1270 a 1610)***, 5°édition, PARIS 1874, P 244.

[3]- Shaw Standford, **History** ***of the Ottoman empire and modern Turkey***, v 01 (1280- 1808) Cambridge University, press 1976, reprinted and band bound by Vaile- Ballou, Press Inc, Binghamton, New York , p4.

[4]- إينالجيك ، المرجع السابق، ص15.

[5]- حسن أبو علية،مرجع سابق، ص49.

[6]- أوزوتونا، **المدخل إلى التّاريخ التّركي** ، مرجع سابق، ص89.

[7]- لويس، مرجع سابق، ص35.

[8]- **الغازي**: معناها في اللغة العربية، محارب أو مقاتل، لكن في اللغات الإسلامية الأخرى كالفارسية والتركية وحتى الأردية، معناه المجاهد في سبيل الله، وهذا الاستعمال ناشئ عن غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وكان هذا أسمى ما يلقب به الفاتحون المسلمون. لهذا كان السلاطين العثمانيون الأوائل يعتزون هذا الاسم .انظر: لويس، مرجع سابق،ص 59.

[9]- **الآخيان**: مركبة من الكلمة العربية "آخي" والكلمة الفارسية "ان" وهي علامة الجمع، ظهرت في الأناضول على غرار منظمة الفتوة، وأوّل من كتب عليها الرحالة ابن بطوطة الذي نزل ضيفا على العديد منها أثناء زيارته لآسيا الصغرى خلال القرن 14م. والتي يعرفها ابن بطوطة كالآتي: الآخي هو رجل يجمع أهل صناعته وغيرهم من الشبان العزاب والمتفرغين لهذه المهمة ويقدمونه على أنفسهم، وتلك =

من تأطير وقيادة أتباعه [1].

خلف **أورخان غازي**[2] والده عثمان غازي بعد وفاته عام 1326م[3] على رأس الإمارة العثمانيّة بعد أن تمكّن من فتح بورصة عام 1326م، الّتي اتّخذها عاصمة لإمارته بدل يكي شهر[4]. وبنى فيها مدارس ومعاهد وزوايا[5]. ويشير الرّحّالة ابن بطّوطة إلى أنّ عثمان كان لا زال على قيد الحياة عند فتح بورصة [6]، وتمكّن من توسيع إمارته على حساب جيرانه، بل ونقل نشاطه حتّى إلى البلقان بعد فتحه **لغاليبولي**[7]، وبهذا بدأ التّواجد العثمانيّ بالبلقان وأخذ في التّوسّع، بالموازاة مع التّوسّع في الأناضول[8]. ففيما بين 1360و1361م استولوا على معظم المناطق الإستراتيجيّة في الأناضول وبهذا ضاعت هيبة بيزنطة وأصبحت نهايتها واضحة للعيان[9].

هي الفتوة كذلك ويسمون بالفتياني ويسمى مقدمهم بالآخي. انظر: لويس، ص186؛ ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج 1، ط1، المطبعة الخيرية، 1322هـ/ 1986م ،ص214.

1- روبيرت مونتران، **تاريخ الدّولة العثمانية**، ترجمة بشير السباعي، ج1، ط1، دار الفكر للدراسات والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1993م، ص22.

2- **أورخان**: ولد أورخان غازي ابن عثمان غازي عام 680هـ/1281م، تولى السلطة بعد وفاة والده عام 760هـ/1359م، نقل عاصمة الدولة إلى بورصة بعد فتحها ووضع نظم وقوانين للدولة. توفي حزنا على وفاة ابنه سليمان عام 761هـ/ 1360م، دام حكمه 35 سنة. انظر: عزتلو يوسف بك آصاف، مرجع سابق ص ص 35 -36.

3- منجم باشي ، مصدر سابق، ص32.

4- Hammer, op.cit., p 102.

5- Chevalier. H et Rodier L, Op. Cit. ,P 244.

6- ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 233.

7- *Y*erasimos Stephane, op.cit ,№66 1992, p147

8- Panzac Daniel,Editoriale « ***Balkans , l'empreinte ottoman*** » ,***inROMM***, № 66 ,p 6.

9- محمّد فؤاد كوبرلي، مرجع سابق، ص ص180- 182.

المبحث الثّالث: أوضاع الدّولة العثمانيّة قبل 1389م.

أوّلاً: الأوضاع الدّاخليّة في الدّولة العثمانيّة

بعد وفاة عثمان غازي عام 1326م، تولّى الحكم ابنه أورخان ثاني أمراء الدّولة العثمانيّة[1]، الّذي اتّخذ من بورصة عاصمة لدولته، وضرب السّكّة باسمه[2]، وكان أوّل من تزيّن بزيّ الملوك والسّلاطين من سلاطين بني عثمان[3].

تمكّن أورخان غازي من بناء الدّولة العثمانيّة على أسس متينة، فقد حوّلها من مجرّد إمارة غزو حدوديّة، إلى دولة ذات مؤسّسات. وأعلن نفسه الوريث الشّرعيّ للعرش السّلجوقيّ، هذا ما عارضته بعض الإمارات وعلى رأسها بطبيعة الحال إمارة قارمان أوغلو، الّتي كانت تدّعي نفس الادّعاء، كما أيّدته إمارات أخرى الّتي كانت تخشى من قوّة العثمانيّين المتنامية[4]، وأبقى على ولائه للإلخانيّين حتّى عام1335م[5]، ومع مرور الزّمن زادت الدّولة العثمانيّة توسّعا كما زادت ثرواتها وزاد عدد سكّانها بشكل كبير وهذا بزيادة موجات الهجرات التّركيّة نحو الأناضول وانضمام العديد من المسيحيّين إليها، وباختلاط هؤلاء بالأتراك، بدأت تتشكّل بذلك التركيبة الديموغرافية العثمانيّة[6].

إلاّ أنّ بعض المؤرّخين على غرار كوبرلي يرى أنّ كلمة عثمانيّ هي اصطلاح سياسيّ وتعني رجال الحكومة والإدارة الّذين يعملون في خدمة الدّولة[7]. وحسب المؤرّخ الرّوسيّ إيفانوف الّذي يرى أنّ الأمّة العثمانيّة تشكّلت من عناصر مختلفة الأعراق والأديان، تعايشت بفضل سياسة التّسامح الدّينيّ التي طبّقتها الدّولة العثمانيّة، وهي تشبه إلى حدّ كبير – في تكوينها الدّيموغرافيّ وتعايش مختلف الملل

1- M.Grassi, ***la charte turque***, T01 , librerie universelle, 1825 op.cit, p 179.
2- Hammer, op . cit., p 82.
3– منجم بن باشي، مصدر سابق، ص 38.
4– أوزوتونا، **المدخل إلى التّاريخ التّركي**، مرجع سابق، ص93.
5– بوفاة آخر إيلخان أبي السّعيد في 1335م، انهارت الدّولة الإيلخانيّة وانقسمت إلى ممالك وطوائف، فكان أن ظهرت الدّولة الجلائريّة في العراق والمظفريّة في فارس وأصفهان وخراسان. للمزيد انظر: أحمد مختار العبادي ، إبراهيم محمد علي مرجونة، **المغول والحضارة الاسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،2010 م، ص 167- 168.
6– ايفا نوف، مرجع مسابق، ص21.
7– نفسه ، ص55.

بداخلها – الولايات المتّحدة الأمريكيّة وكندا اليوم[1] . ومهما يكن من أمر فإنّ اصطلاح عثمانيّ ليس له مدلول قوميّ إيثنيّ وإنّما يرتبط بأسرة حاكمة تماما مثل العبّاسيّين والأمويّين[2]. فخلال 06 قرون ارتبطت الدّولة العثمانيّة بأسرة آل عثمان، فبدونها لم يكن بالإمكان بقاء الدّولة العثمانيّة[3]، عكس بريطانيا آنذاك الّتي لم يكن فيها ارتباط الدّولة بالأسرة الحاكمة بهذا الشّكل.

طبّق العثمانيّون مبدأ التّسامح الدّينيّ على أوسع نطاق، بحيث لم يفرضوا على رعاياهم المسيحيّين اعتناق الإسلام، بل قاموا بحماية ملايين المسيحيّين الأرثوذكس وكنائسهم ولم يتدخّلوا في شؤونهم الشّخصيّة لأنّهم كانوا يريدون الحصول على انقياد المسيحيّين الطّوعيّ، ويعود هذا إلى موقف الإسلام من أهل الكتاب. ولم يحاول العثمانيّون فرض لا دينهم ولا مذهبهم على الشّعوب الخاضعة لهم، بالمقابل فرضوا عليهم ضريبة استثنائيّة هي الجزية[4]. لهذا اعتنق العديد من سكان القرى المسيحيّين الإسلام[5]، وهذا ما مكّن الدّولة العثمانيّة أن تصبح دولة كوسموبوليتيّة (متعددة الأعراق والأديان)، تتعامل مع مختلف الأديان والأعراق باعتبارها من مكوّنات أمّتها[6]، وشكّلت الدّولة العثمانيّة بذلك تركيبة اجتماعيّة فريدة من حيث تنوّع أجناسها وتعدّد طوائفها الدّينيّة[7]، تعايشت هذه الطّوائف والأجناس مجتمعة ضمن النّظام الّذي حدّده الإسلام[8].

01 – تنظيم السّلطة

كلّ تكوين سياسيّ هو بحاجة إلى دعامة إيديولوجيّة[9]، وإلى أسس تتوقّف عليها قوّتها وطول أمدها[10]. والدّولة العثمانيّة استنبطت إيديولوجيتها من الشّريعة الإسلاميّة، مقرونة بالتّقاليد العربيّة

[1]– إيفانوف ،مرجع سابق، ص 23.
[2]– عبد الرّحيم مصطفى ،مرجع سابق، ص32.
[3]– إينالجيك ، مرجع سابق، ص96.
[4]– وجيه كوثراني، مرجع سابق، ص68.
[5]– إيفانوف، ص22.
[6]– إينالجيك، ص16.
[7]– إينالجيك، المرجع السابق ، ص26.
[8]– خالد زيادة، **اكتشاف التّقدّم الأوروبّيّ**،ط01، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان ، حزيران1981م، ص11.
[9]– روبيرت مونتران، مرجع سابق، ص36.
[10]- La charte turque, Op. Cit., p25.

والفارسيّة القديمة ونظريّات فلاسفة الإغريق في السّلطة والاستنباطات الّتي توصّل إليها الفقهاء من أهل السّنّة وضروريّات الحكم الفعليّ[1]، إضافة إلى التّأثيرات البيزنطيّة الواضحة[2]، فأنتجت بذلك نموذجا جديدا من الحكم [3].

فإلى غاية عهد أورخان غازي كانت عائلة آل عثمان بكاملها تشترك في الحكم، ولم يكن يقتصر الأمر على الأمير فقط، فالإمارة هي ملك للعائلة، وكلّ فرد منها عليه أن يبذل كلّ ما في استطاعته لخدمتها حتّى وإن كلّفه هذا حياته. وعند اتّخاذ القرارات الهامّة، كاختيار الأمير مثلا، كان كامل أفراد العائلة يجتمعون، ولما يصدر القرار يوقّع عليه الجميع بمن فيهم النّساء في بعض الأحيان. كما أنّ الحكم لم يكن ينتقل بالضّرورة من الأب إلى الابن البكر بل ينتقل إلى أكثر أفراد العائلة قدرة على ذلك [4].

عمل أورخان غازي على تحديث الدّولة العثمانيّة في مراحلها الأولى، إذ نظّم الحكم والإدارة، لكي يتماشيا مع توسّع الدّولة وقد شملت تنظيماته الجديدة مجموعة قوانين لتنظيم المجالات السّياسيّة، الاقتصاديّة والعسكريّة في الدّولة. لهذا يتّفق معظم المؤرّخين على أنّ ظهور أولى المؤسّسات الإداريّة والسّياسيّة العثمانيّة كانت على يد علاء الدّين[5].

أ – القضاء

اعتبر القضاء أحد مستلزمات قيام السّلطة العثمانيّة منذ قيامها وأحد أهم ثلاثة مرتكزات تتولّى إدارة الولايات (الوالي، والقاضي والجهاز العسكريّ)، وللقاضي في الدّولة العثمانيّة مهامّ متشعّبة، فهو يشرف على السّلطة وتنظيم علاقتها بالمجتمع، بل ويراقب كلّ مناحي الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في الدّولة، لهذا كان هو من يضبط ويقنّن دور كلّ من الوالي والقوى العسكريّة والتّيماريّ، بالإضافة إلى صلته المباشرة بمراكز العلم والطّرق والمؤسّسات الوقفيّة[6].

[1]- هاملتون جب، مرجع سابق، ص41.

[2]- Show Standford, Op. Cit., p4.

[3]- خالد زيادة، مرجع سابق، ص 18.

[4]- مونتران، المرجع السابق، ص 33.

[5]- للمزيد انظر : هاملتون جب، ص ص 156-157 ؛ Hammer,op cit., p109,

[6]- للمزيد انظر: هاملتون جب،المرجع السابق، ص ص 133- 135.

ب – التّنظيمات العسكريّة

كان الأتراك الأوائل فرسانا محاربين عرفوا بالشّجاعة والبأس والطّاعة والانتظام وضبط النّفس[1]، ورغم هذا لم يكونوا يفقهون فنون الحرب الحديثة خاصّة حرب الحصون وعمليّات الحصار الّتي اشتهر بها الأتراك العثمانيّون فيما بعد، لهذا كانت الحاجة بمكان إلى إنشاء جيش نظاميّ جاهز في كلّ وقت[2]. وكان هذا الجيش يتألّف من التّشكيلات التّالية:

السّباهيّة: أصحاب التّيمارات ويعرفون بالعثمانيّة (بتيمارلي سباهيلر) وهم من الفرسان الّذين وُهبوا اقتطاعات[3]. وكان لهؤلاء السّباهيّة تيمارات وزعامات، يزرعها أصحابها الأصليّون مسيحيّين أو مسلمين وذلك شرط أن يسكنوا فيها وقت السّلم ويستعدّوا للحرب إذا ما استدعوا لذلك على نفقاتهم[4]، فدفاع التّيماريّ عن دولته هو دفاع عن أرضه وممتلكاته[5]، ولم تكن هذه التّيمارات تورّث، لأنّ ملكيّتها كانت للدّولة[6] فالسّباهيّ كان يتمتّع بحقّ استغلال تيماره وليس له الحقّ في تملّكه[7]. وقد استند السّلاطين الأوائل على تثبيت دعائم دولتهم إلى هذا النّظام المستنبط من النّظم السّلجوقيّة مع تأثّره بالمؤثّرات البيزنطيّة.

الانكشاريّة: بعد التّطورات الّتي عرفتها الدّولة العثمانيّة، كان لا بدّ من استحداث جيش جديد عُرف بالانكشاريّة[8]، واختلف المؤرّخون حول فترة إنشائها، فهناك من يرجعها لأورخان وهناك من يرجعها للسّلطان مراد الأوّل. لكنّها – على الأرجح – ظهرت على عهد السّلطان مراد الأوّل إذ تشير الكتابات التّاريخيّة إلى أنّ **قارة خليل جندرلي**[9] كان قد تقدّم بمشروع للسّلطان مراد في أخذه لخُمس

---

[1] – عبد الرّحيم مصطفى، مرجع سابق، ص 30.

[2] – كارل بروكلمان، مرجع سابق، ص 46.

[3] – هاملتون جب، ص 95.

[4] – نفسه، ص ص 69 – 73.

[5] – M.*Grassi* ,op . Cit., p105.

[6] – محمّد فريد بك، **تاريخ الدّولة العليّة العثمانيّة**،ط1، دار النّفائس، بيروت لبنان ،1401هـ / 1988م ،ص19.

[7] – وجيه كوثرانيّ، مرجع سابق، ص53.

[8] – **الإنكشاريّة:** كلمة تركيّة معناها الجيش الجديد.انظر: (standart sözlük ,Arapca-TurkÇe, baski ve cilt, 2011 ayhane matbaasi, ekim,s 551

[9]- **عائلة جندرلي**: تُنسب إلى قارة خليل جندرلي وهو من عائلة عريقة ومتعلّمة، تتلمذ على يد الشّيخ إيدبالي، وتولّى القضاء على عهد عثمان غازي في أزنيك، وبعد تولّي مراد الأول الحكم عيّنه قاضي عسكر، شارك في معظم الحروب الّتي خاضها السّلطان مراد الأوّل،=

الأسرى المسيحيّين، لتشكيل جيش جديد[1]، يتمّ تربية أفراده على العقيدة الإسلاميّة [2].

وبعد نجاح هذا التّنظيم، فرض العثمانيّون ضريبة الدّم (الدّيفشيرمة) على السّكان المسيحيّين في البلقان[3]، خاصّة منهم سكّان القرى والأرياف، حيث يتمّ جمع الغلمان المسيحيّين الأرثوذكس بانتظام بعد انتزاعهم من أسرهم[4]. ثمّ تتمّ تنشئتهم تنشئة إسلاميّة، على أيدي تنظيمات أبدال روم ونخصّ بالذكر هنا أعضاء الطّريقة **البكتاشيّة**[5]، وهذا لتنشئتهم ثقافيّا وعقائديّا لتحضيرهم للانخراط ضمن فضاء ثقافيّ واجتماعيّ جديد. وكان الحاجي بكتاش قد بارك هذا الجيش ودعا له بالنّصر إذ وضع يده على رأس أحد الجنود الصغار وقال:"إنّ هذا الجيش سيكون أبيضاً و باهراً مثل النهار ، يده ستكون ضاربة ، وسيفه بتّار وسهمه خارقاً وسوف يكون منتصراً في الرواح والمجيء" وأطلق عليه تسمية الجيش الجديد والذي أصبح يعرف في المصادر العربية بالانكشارية [6] .

ومنذ عهد أورخان اهتمّت الدّولة العثمانيّة بتكوين قوّة بحريّة، واتّخذت من غاليبولي مركزا لها وقد اعتمدت الدّولة في ذلك على بحّارة أتراك بالإضافة إلى بعض اليونانيّين والإيطاليّين[7].

ج – الأوضاع الاقتصاديّة

عملت الدّولة العثمانيّة منذ نشأتها على تفكيك الطّبقة الأرستقراطيّة، عن طريق إلغاء الملكيّة

كان قدوة حسنة للدّولة. توفّي في شهر12 عام 1387م، انظر: سونيا محمّد البنا، **فرقة الإنكشاريّة، نشأتها ودورها في الدّولة العثمانيّة**، إيتراك للطّباعة والنّشر 2006، ص13.

[1]– القرماني، مصدر سابق، ص299

[2]-Hammer, op.cit. , p 121.
[3]- show Standford, op.cit., p12.

[4]– هاملتون جب، مرجع سابق،ص 63.

[5]– **البكتاشية** : أكبر واهم طريقة صوفية في الدولة العثمانية ، تنسب إلى مؤسسها ، الحاج بكتاش،احد تلامذة بابا إسحاق الذي قام بثورة 1241م، أصبحت فيما بعد طريقة القوات الانكشارية، لكن من المستبعد أن يكون الحاج بكتاش من بارك الجيش الانكشاري عند إنشائه أول مرّة كما يُشاع. كان لهذه الطريقة دور كبير في نشر الإسلام في البلقان ،فقد كانت تنظر بتسامح لكل الأديان ،كما أنها لم تلحّ على أداء الشعائر الإسلامية ، لهذا رأى فيها سكان البلقان أنها لا تختلف كثيرا عن المسيحية .انظر:خليل إينالجيك، مرجع سابق، ص ص 292 – 293.

[6]- A. de lamartine, ***Histoire de la Turquie***, T 02, librairie du Constitutionnel, Paris 1831,p38م ؛ محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط01،دار النفائس، بيروت لبنان 1401هـ/ 1988م ،ص39

[7]– مونتران، مرجع سابق، ص 191.

الوراثيّة للأرض والنّظم الضريبيّة المرهقة وكانت تهدف من وراء ذلك إلى تطبيق العدالة الاجتماعيّة بين رعاياها، هذه السّياسة ساعدت على سرعة التّوسّع العثمانيّ في الأناضول وحتّى في البلقان [1].

كانت ملكيّة الأرض مقسّمة إلى تايمارات وزعامات وخواصّ. فالتيمارات يمتلكها السّباهيّة والزّعامات يمتلكها الزّعيم، والخواصّ كانت تمتلكها العائلة المالكة، أكبرها كانت ملكا خاصّا للسّلطان وتسمّى خواصّ هاميون. وكانت هناك خواصّ أخرى تخصّص مداخليها للنّفقة على الحاميات ولإعالة حرّاس الحصون تعرف بـ(اليورتلقات) وكان الفلّاحون يعيشون بصفتهم مستأجرين في الإقطاع[2]. وكان هناك نوع آخر من الملكيّة كان منتشرا في الوسط الرّيفيّ وحتّى في المدن وهو الوقف، الّذي يتنازل عنه أصحابه لحساب عمل دينيّ أو منفعة عامّة حيث الهدف منه العمل الخيريّ، ويكون هذا التّنازل إلى الأبد[3]. وكانت هذه الأوقاف في المدن تتمثّل في المحلّات، والطّواحين وبعض المؤسّسات التّعلميّة والاجتماعيّة أمّا في الأرياف فقد تمثّلت في أراضٍ زراعيّة وآبار تعود مداخليها للنّفع العامّ حسب وصيّة مالكيها.

أمّا على صعيد التّجارة الخارجيّة، فرغم أنّ الأناضول كان منطقة عبور القوافل التّجاريّة ، خاصّة منها قوافل الحرير والتّوابل، إلّا أنّه لم يكن للدّولة العثمانيّة دور كبير في التّجارة العالميّة عند ظهورها ، فكان بذلك المماليك والفرس يسيطرون سيطرة كاملة على تجارة الشّرق[4] فقد كانت تبريز وطرابزون أهمّ المراكز التّجاريّة بين وسط آسيا والشّرق الأقصى[5]. لكن خلال منتصف القرن 14م ظهرت بورصة لتزاحم المدينتين السّابقتين وأصبحت منطقة عبور لتجارة الحرير والمنتجات الآسيويّة الأخرى في اتّجاه أوروبا[6].

[1]- حسن الضّيقة، **السّلطة والثّقافة والمجتمع في الدّولة العثمانيّة**،ط01، دار المنتخب العربيّ، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م،ص ص 20 -22.

[2]- هاملتون جب، مرجع سابق، ص ص 69- 73- 70.

[3]- مونتران، مرجع سابق، ص 187.

[4]- إينالجيك، مرجع سابق، ص 63.

[5]- هاملتون ،المرجع السابق، ص65.

[6]- ثوريا فاروقي، وآخرون ، **التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ للدّولة العثمانيّة**،م1 (1300-1600م)، ترجمة قاسم عبده قاسم،ط1، دار المدار الإسلاميّ، يونيو2007م، ص328.

02: العلماء والمؤسّسات التّعليميّة

يبدو أنّه ونظرا لمنشأ الدّولة العثمانيّة الدّينيّ، كانت الحياة الثّقافيّة فيها شديدة الارتباط بهذا المجال[1]، فكان للعلماء والمعلّمين مكانة مرموقة في الدّولة، فمبايعة العالم للأمير الغازي هي بمنزلة إضفاء الشّرعيّة من قبل المجتمع من خلال علمائه، لهذا كان للعلماء نفوذ كبير داخل دواليب السّلطة مسّت الميادين التّشريعيّة والسّياسيّة والإداريّة والقضائيّة والتّعليميّة. وقد غلب عليهم طابع العالم الفقيه، إذ تأثّروا بتيّارات فكريّة استمدّوها من المؤسّسات التّعليميّة (المدارس) والتّعبّديّة (المساجد والزّوايا) والاجتماعيّة (طوائف الحرف) والسّياسيّة (الآخيان والمرابطين والمجاهدين) [2].

وحرصت الدّولة على إقامة المدارس في القرى والمدن وإقامة الكلّيّات لتدريس النّحو والمنطق والهندسة والفلك، كما أولت الدّولة عنايتها بالتّدريب المهنيّ وتكوين الحرفيّين، حيث كانت العربيّة لغة رسميّة للتّدريس، إلى غاية فترة حكما الإيلخانيّين ثمّ حلّت محلّها الفارسيّة، واتّجه الأدباء للكتابة باللّغة الفارسيّة[3].

03 : الطّرق الصّوفيّة

بعد الضّعف الّذي عرفه العالم الإسلاميّ، انتشر الفكر الصّوفيّ في ربوعه، وظهرت عدّة طرق صوفيّة كان من أكبرها وأكثرها انتشارا ببلاد الأناضول ثمّ في الروملي، المولويّة الّتي تنسب إلى مؤسّسها جلال الدّين الرّوميّ بالإضافة إلى النّقشبنديّة والبكتاشيّة. وقد اختلفت هذه الطّرق في حلّ مشاكل العصر آنذاك. لهذا قدّمت هذه الطّرق نفسها على أنّها تمتلك الحلول لإخراج العالم الإسلاميّ من هذا الرّكود الّذي بلغه[4].

وممّا زاد في تعلّق الأتراك العثمانيّين وغير العثمانيّين بهذه الطّرق، ملازمتها للغزاة والمجاهدين وحثّها على الجهاد، لهذا فرغم أنّ الدّولة العثمانيّة كانت سنّيّة حنفيّة المذهب (وهو من أكثر المذاهب الإسلاميّة تحرّرا)[5]، احتضنت هذه الطّرق الصّوفيّة، وحظي الشّيوخ والدّراويش بالاحترام والتّبجيل

1- ***L**affont **R**obert*, op.cit. ,p 389.

2- حسن الضّيقة، مرجع سابق، ص 103 .

3- عبد الرّحيم مصطفى، مرجع سابق، ص 40.

4- ***L**affont **R**obert*, op.cit., p 192.

5- هاملتون جب، مرجع سابق، ص 36.

والتّقديس في بعض الأحيان. كما كان لها دور في توطين الأتراك واستقرارهم في الأراضي الّتي تمّ الاستيلاء عليها، فبعد إنشاء زوايا لهم انبثقت حولها العديد من القرى في غرب الأناضول وحتّى في البلقان[1].

ارتبط بروز الطّرق الصّوفيّة والدّراويش بظهور نظام الآخيّة[2] والفتوّة وهو بمنزلة قانون توجّهه أسس الفضيلة وفق تحديد الإسلام لها، وخلال القرنين 13م و14م كانت كلمة آخي تعني إمّا قائدا أو عضوا في طريقة صوفيّة، ثمّ أصبحت تدلّ على عضو طائفة حرفة، وقد اختلط هذا النّظام في المدن مع طوائف الصّنّاع والحرفيّين وفي الأرياف مع المزارعين. كما انضمّ إليها بعض الفئات من رجال الدّولة ومن القضاة في الأناضول ممّن انتموا إلى مختلف الطّرق الصّوفيّة، وعليه كانت تنظيمات الآخيّات على صلة وثيقة بالطّرق الصّوفيّة. وأصبح هناك ترابط كبير بين نشاط الرّوابط الآخيّة وجهود عناصر الفتوّة وأصبحت بذلك الفتوّة اصطلاحًا مشتركًا بين الصّوفيّة وطوائف الصّنّاع[3]، الّتي كان دورها يتمثّل في النّهي عن المنكر وإنصاف المظلوم بالإضافة إلى أنشطة اجتماعيّة واقتصاديّة[4].

كان لهذه التّنظيمات الكثير من التّكايا والزّوايا في مختلف أرجاء البلاد، وكان مريدوها دائمي التّرحال للقيام بالواجبات الدّينيّة، كما كان لهم دور في نشر الأخبار هنا وهناك، لهذا كان كلّ من يبتغي الوصول إلى أهداف معيّنة عليه التّقرّب منها وكسب ودّها، لأنّ من شأنها الترويجَ له وتجنيد المحاربين وحتّى توفير الامتيازات الاقتصاديّة، فبروز عثمان وسط الأمراء التّركمان يعود إلى ارتباطه بالشّيخ أوده بالي(Edebali)، بل ويقال حتّى أنّه تعلّم إحدى الحرف وأصبح عضوا في رابطة من الرّوابط الآخيّة، وهذا حتّى يجمع بين الصّفتين العسكريّة والرّوحيّة[5].

عمل سلاطين الدّولة العثمانيّة على توظيف إمكانيّات الطّرق الصّوفيّة ودورها الاجتماعيّ والدّينيّ والاقتصاديّ، وهذا عن طريق تكييف أنشطتها على نحو يجعلها خاضعة للسّلطة، وبذلك أصبحت بمنزلة أداة تواصل بين السّلطة والمجتمع، بل وتمكّنت عن طريقها، من امتلاك قنوات تمكّنها من

[1]- عبد الرّحيم مصطفى،مرجع سابق، ص 29.

[2] - للمزيد : أنظر ابن بطوطة ، مصدر سابق ، ص ص214، 215

[3]- كوبرلي،مرجع سابق، ص 61.

[4]- كارل بروكلمان ، مرجع سابق، ص 26.

[5]- بيتر شوجر، أوروبا العثمانية، ترجمة عاصم الدّسوقي،ط01، دار الثّقافة الجديدة، القاهرة ،1998م، ، ص26.

احتراق المجتمع الأهليّ. والطّرق الصّوفيّة نفسها، كانت تدرك وزنها وقدرتها على مغالبة سياسة السّلطة عندما تميل إلى تغليب منطق الاستحواذ والإخضاع[1]

ثانيا- العلاقات الخارجيّة للدّولة العثمانيّة قبل 1389م.

01- علاقات الدّولة العثمانيّة مع الممالك التّركمانيّة في الأناضول

واجه العثمانيّون على عهد أورخان غازي في الأناضول، دويلات الغزاة التّركيّة ولم يكن بوسعهم التّوسّع شرقا بسبب تواجد المغول[2]، لهذا وجّهوا جهودهم العسكريّة نحو **الرّوملي**[3]. وتعاملوا معها عن طريق التّحالفات خاصّة الضّعيفة منها، الّتي كانت تسندها في أغلب الأحيان علاقات المصاهرة، كانوا على ما يبدو يُريدون بواسطتها إضفاء الشّرعيّة على توسّعاتهم، فقد تزوّج يلدرم بن السّلطان مراد الأوّل من ابنة علي بك صاحب كرميان. كما زوّج مراد الأوّل إحدى بناته من بك صاحب قارمان. كما اشترى السّلطان مراد عدّة قلاع من صاحب حميد، وبهذا ضمّ مراد بعض الإمارات عن طريق الشّراء[4]. وقد مسّ هذا النّوع من التّحالفات حتّى الأسر المسيحيّة الحاكمة، بما فيها أسرة باليولوج بالقسطنطينيّة، وهذا ما سمح للدّولة العثمانيّة أن تتدخّل في الشّؤون الدّاخليّة لبيزنطة[5].

وبعد تولّي مراد الأوّل السّلطة في 1362م، واجه خطرين واحدا من الغرب والثّاني من الشّرق، يتمثّل الأوّل في البيزنطيّين والثّاني في إمارة كارمان الّتي كانت تخشى من تنامي قوّة الدّولة العثمانيّة. فقد تحالف أبناء سلطان كارمان مع بقيّة الحكّام النّصارى المجاورين، وهجموا على بورصة وأزنيق فواجههم

1- الضّيقة، مرجع سابق، ص ص95، 97.

2- نفسه، ص 29.

3- **إقليم الرّوملي**: نسبة إلى روما، وهو إقليم ظلّ يدعى بهذا الاسم حتّى بعد انهيار الإمبراطوريّة الرّومانيّة، وحسب التّعبير الإسلاميّ، الرّوم هم البيزنطيّون (روهمايو Rohmaioi) وأصبح يطلق على الأجزاء الشّرقيّة من الإمبراطوريّة الرّومانيّة، أي الجزء الأوروبيّ من الدّولة العثمانيّة. وبعد استيلاء السّلاجقة على آسيا الصّغرى بعد معركة ملاذكر 1071م، أصبح يطلق عليها بلاد الرّوم وعلى سكّانها سلاجقة الرّوم، إذًا فالمقصود بالرّوم هنا هي الأرض وليس السّكّان، فكلمة روميّ آنذاك كانت تدلّ على الأتراك .انظر: برنارد لويس، المرجع السّابق، ص32؛ كي لسترنج، **بلدان الخلافة الشّرقيّة**، ترجمة بشير فرنسيس نو كوركيس غوار،ط02، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1985م، ص 159.

4- منجم باشي، مصدر سابق، ص ص 63 -64.

5- للمزيد انظر: خليل إينالجيك، مرجع سابق، ص 19.

العثمانيّون وهزموهم واستولّوا على قلعة **أنقرة**[1] في 762هـ/1360م[2]. وفقد بذلك أمير قرمان أهمّ مدنه واضطرّ لأن يعقد الصّلح مع السّلطان مراد، ولتعزيز الصّلة معه زوّجه من ابنته. ولما رأى أمراء التّركمان الآخرين استحالة مواجهة الدّولة العثمانيّة، ورغبة منهم في الاحتفاظ باستقلالهم ساروا على نفس سيرة أمير كارمان في المصاهرة السّياسيّة. وفي عام 1377م باع أمير إمارة حميد بعض أجزاء إمارته للعثمانيّين، الّذين تمكّنوا من الاستيلاء على ما تبقّى من الإمارات التّركمانيّة.

ب– علاقات الدّولة العثمانيّة مع المماليك

أمّا العلاقات العثمانيّة المملوكيّة فهي قديمة قدم تاريخ الدّولة العثمانيّة، إذ شكّل العثمانيّون دوما جزءا هامّا من العالم الإسلاميّ[3]، إن لم نقل أهمّ جزء منه في بعض الفترات، كما أنّ هناك تشابها كبيرا بين الدّولتين في عدّة خصائص، فكلاهما دولتان عسكريّتان سنّيّتان، واجهتا تحدّيات خارجيّة جدّ خطيرة، تمثّلت في الخطر الصّليبيّ والاجتياح المغوليّ للبلاد الإسلاميّ، لهذا لم تنشأ بينهما خلافات كبيرة، وإن وجدت فهي تتعلّق ببعض المسائل الحدوديّة البسيطة النّاجمة عن ترسّبات تاريخيّة، أو تلك المتعلّقة بتزعّم العالم الإسلاميّ[4]، لهذا لم يكن بينهما ما يستدعي التّصادم أو تضارب المصالح. إضافة إلى ذلك فلقد كان العثمانيّون منشغلين بمحاربة القوى المسيحيّة المجاورة وخاصّة البيزنطيّين، وممّا زاد في التّقارب بينهما وجود الخطر المغوليّ الّذي كان يهدّدهما كليهما[5].

وقد اعترف الحكّام العثمانيّون الأوائل بأحقيّة المماليك في تزعّم العالم الإسلاميّ، وتبادلوا معهم الهدايا، واكتفوا هم بدور ثانويّ يتمثّل في حماية حدود العالم الإسلاميّ من جهة بيزنطة، بالمقابل كان المماليك ينظرون إلى انتصارات العثمانيّين وفتوحاتهم على أنّها انتصار للمسلمين بصفة عامّة،

---

[1]– **أنقرة** : من أهم مدن الدولة العثمانية في الأناضول ، أصبحت مستقلة بعد سقوط دولة السلاجقة حتى فتحها السلطان مراد الأول، والى جانبها يمتد سهل چبق أباد الذي دارت فيه معركة أنقرة في 1402م بين الجيشين العثماني بقيادة السلطان بايزيد الأول و المغولي بقيادة تيمورلنك. انظر: أ. ي. فننك ، **دائرة المعارف الإسلامية** ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، م1، ط1، مطبعة مصر،1353هـ/ 1934م ، مرجع سابق م3 ، ص70.

[2]– إبراهيم بك حليم، مرجع سابق، ص 39.

[3]– محمّد عبد اللّطيف هريدي، **الحروب الفارسيّة العثمانيّة وأثرها في انحسار المدّ الإسلاميّ عن أوروبّا**، ط1 ،دار الصّحوة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1987م 1408هـ، ص 42.

[4]– إيفانوف، مرجع سابق، ص69.

[5]– أحمد فؤاد متولي، مرجع سابق، ص 13.

وكانوا يطلقون على سلاطين الدّولة العثمانيّة لقب "أمير" أو "**خندكيار**"[1]. لهذا حرص العثمانيّون على توثيق علاقاتهم بدولة المماليك على اعتبار أنّها أقوى دولة إسلاميّة آنذاك، ولتأكيد ذلك زوّد العثمانيّون على عهد السّلطان مراد الأوّل[2] المماليك بمعلومات عن تحرّكات "**تيمورلنك**"**TIMORLENK**[3]. وفي هذا الإطار أرسل السّلطان مراد بعثة للقاهرة قصد إبلاغ المماليك بذلك، قابلها **السّلطان برقوق**[4] بكلّ حفاوة، وبعث معها بهديّة قيّمة للسّلطان العثمانيّ.

ج – علاقات الدّولة العثمانيّة مع بيزنطة والممالك البلقانيّة

لم تتحوّل الإمارة العثمانيّة إلى دولة إلّا على حساب الإمبراطوريّة البيزنطيّة، لهذا تعوّد العثمانيّون على توسيع رقعة دولتهم على حسابها في الأناضول في البداية ثمّ في الرّوملي[5]، الّذي كان

---

[1]– إيفا نوف، المرجع السابق، ص70.

[2]– **السّلطان مراد الأوّل**: ابن أورخان غازي وُلد عام 726هـ/1326م، تولّى السّلطة بعد وفاة والده عام 761هـ/1360م، وعمره لم يتجاوز 35 سنة. نقل عاصمة الدّولة إلى أدرنة بعد فتحها عام 763هـ/1362م. استشهد عام 791هـ/1389م على إثر انتهاء معركة كوسوفو .انظر:عزتلو يوسف بك آصاف، مرجع سابق، ص ص35-36.

[3]– **تيمورلنك**: هو ملك المغول ،ولد بالقرب من مدينة كش في 08 أفريل 1336م، تزعم أسرته أنّها انحدرت من نسل جينكزخان، بالغ ابن عرب شاه في الحطّ من شأنه فيقول أنّه راع ابن راع، قضى حياته على السّلب والنّهب وكلمة تيمور بالتّركيّة تعني الحدّ ولقّب كذلك ب"لنك" أي الأعرج لجرح أصابه وهو يسرق الغنم وتزوّج من بنات الملوك والأمراء حتّى يزيد في نسبه. كان يلقّب "كوركان" أي الذّئب الأعظم، بالإضافة إلى سيد الزمان "ساهت كيوان" وقاهر الكون "جهانكير". وبعد وفاته لُقب ب"جنت مكان" أي ساكن الجنّة. عرف بذكائه وحكمته وشجاعته، اعتلى العرش في 10 أفريل 1370م. قرّب إليه العلماء ورجال الدّين وخاصّة أصحاب الطّريقة النّقشبنديّة الّذين اعترفوا به كحامٍ للإسلام. بعد عام 1361م غزى بلاد فارس والعراق، وبعد عام 1389م سار لفتح الهند، ثمّ استولى الشّام. وفي 1402م ألحق هزيمة كبيرة بالعثمانيّين في معركة أنقرة وأسر السّلطان بايزيد الأوّل. في عام 1404م عاد إلى سمرقند ونظّم حملة كبيرة لغزو الصّين، وفي غضون ذلك توفّي بعد أن أصيب بمرض، عن عمر ناهز 71 سنة بعد أن حكم 36 سنة. انظر: أحمد بن عرب شاه، **عجائب المقدور في أخبار تيمور**،غ.م ؛ أ. ي. فننك، مرجع سابق، ص ص 158- 160-161 ؛ طالب محيبس حسن الوائلي، مجلة كلّيّة التّربية، **هزيمة العثمانيين في أنقرة** 1402م، العدد 4، ص 147".

[4]– **السّلطان برقوق**: هو الملك الظّاهر سيف الدّين اليلبغاويّ سُمي برقوق لنتوء في عينيه كأنه البرقوق، أوّل من تولّى عرش مصر من المماليك البرجيّة بعد بيبرس الثّاني. نودي به سلطانا على مصر عام 784هـ/1372م، ومن شدة خوفه لم يكن يجرأ على مغادرة القاهرة، كانت علاقاته ودّيّة مع السّلطان العثمانيّ مراد الأوّل.اتّخذ موقفا معاديا من تيمورلنك، إذ أقدم على قتل رسله الّتي جاءت إلى القاهرة قصد عقد اتّفاقيّة تجاريّة ودّيّة معه، كما رحّب بالسّلطان أحمد بن أويس الّذي طرده تيمورلنك من بغداد توفّي عام 801هـ /1389 م، ورغم أنّ مصنّفي العرب يمتدحونه إلاّ أنّ حكمه لم يعد بالخير الكبير على البلاد .انظر: أ. ي. فننك،م1 مرجع سابق، ص 558 ؛ محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، ج0، ط1 ، دار ابن الكثير، دمشق، بيروت 1427هـ/2006م، ص196.

[5]– عبد اللّطيف هويدي، مرجع سابق، ص19.

دوما مسرحا للحرب ضدّ المسيحيّين من منطلق فكرة دار الإسلام ودار الحرب[1]، ومنذ البداية وضعوا نصب أعينهم السّيطرة على القسطنطينيّة[2].

ومن خلال دراستنا لتواجد الإسلام بالبلقان، يتّضح لنا أن السّلاجقة وتركمان آيدن كانوا قد سبقوا العثمانيّين إلى هناك، لكن تواجدهم لم يكن منتظما[3]، عكس العثمانيّين الّذين كانوا يسيرون بخطى ثابتة، وكان سعيهم أوّلا تثبيت وجودهم في الأراضي المفتوحة، ثمّ التّوجّه إلى فتح أراض جديدة وهذا ما يفسّر استمراريّة الدّولة العثمانيّة لمدّة زمنيّة طويلة على خلاف الإمبراطوريّات الشّرقيّة قديما وحديثا[4].استغلّ العثمانيّون الظّروف وعبروا البلقان، حيث ثبّتوا وجودهم، وانتهجوا سياسة التّسامح مع المسيحيّين هناك، هذا ما أدّى اعتناق العديد منهم الإسلام طواعية، وأصبح المسلم والمسيحيّ يتعايشان في وئام في الوقت الّذي انتشر في أوروبّا الاضطهاد الدّينيّ.

تولّى السّلطان مراد الأول العرش بعد وفاة والده السّلطان أورخان عام 782هـ/1362م، وقد وجّه اهتمامه صوب البلقان الّذي كان يعرف أوضاعا مضطربة، لكن قبل هذا كان عليه القضاء على خصومه في الأناضول[5] وتوسيع رقعة دولته هناك. فبعد تزويج ابنه بايزيد الأول من ابنة أمير كرميان كما ذكرنا سابقا،استولى على عدّة أجزاء من هذه الإمارة واشترى مقاطعات أخرى من حميد أوغلو[6]، كما استولى على أنقرة وهزم أسرة آل كرمان[7].

واستغلّ العثمانيّون الأوضاع المضطربة في بيزنطة وفي البلقان واستولوا على عدّة مدن، كان أهمّها فيليبيه وعاصمة **تراقيا**[8] **أدرنة**[9]عام 764هـ/1352م والّتي تعتبر ثانية المدن البيزنطيّة بعد القسطنطينيّة،والتي

1- *C*layer *N*athalie, " ***Des agents du pouvoir ottoman dans les Balkans*** " **. in ROMM**,№66 1992, P 21.

2– خالد زيادة، مرجع سابق، ص14.

3- *H*ammer ,op.cit., p 169.

4– عبد الرّحيم مصطفى، مرجع سابق، ص46.

5– كارل بروكلمان، مرجع سابق، ص 416.

6– *H*ummer, op.cit., p 244.

7– محمّد فؤاد كوبرلي، مرجع سابق ،ص 182.

8– القرمانيّ، ،مصدر سابق، ص300.

9– **أدرنة**: اسمها باللاتينية (أدريانا بوليس) أو أدريانوبل نسبة للإمبراطور أدريان (138م) وهي أقوى موقع عسكريّ بيزنطيّ يقع بين القسطنطينيّة ونحر الدّانوب، وتتحكّم في الطّريق بين القسطنطينيّة وجبال البلقان وتتوسّط سهلا خصبا، كما تعتبر مركز النّشاط الحربيّ وإدارة الحكم في البلقان، اتّخذها السّلطان مراد الأوّل عاصمة لدولته بعد فتحها، وبقيت العاصمة الثّانية للدّولة بعد فتح القسطنطينيّة في=

اتّخذها السّلطان مراد عاصمة لدولته[1]حتّى فتح القسطنطينيّة عام 875هـ/1453م[2]. وانتقل بذلك مركز السّلطة من الأناضول إلى الرّوملي، وانطلاقا منها تمكّن العثمانيّون فيما بعد من بسط سيطرتهم على كامل شرق أوروبّا.

وبهذا تمّ قطع الطّريق أمام أيّة إمدادات قد تصل من أوروبّا إلى القسطنطينيّة. كما أراد السّلطان مراد من خلال ذلك، نقل المعركة إلى عقر دار الدّول النّصرانيّة، وبالفعل تمكّن العثمانيّون من تثبيت سيطرتهم على طول بحر إيجه، ووسّعوا دائرة نفوذهم في أوروبا على حساب البيزنطيّين والصّرب. وبعد فشل الإمبراطور البيزنطيّ يوحنا الخامس باليولوغس في رحلته إلى الغرب قصد طلب المساعدة لإنقاذ القسطنطينيّة، اضطرّ أن يوقّع مع العثمانيّين معاهدة في عام 1363م، اعترف من خلالها بسيطرة العثمانيّين على كلّ ما استولوا عليه في البلقان مقابل تعهّد العثمانيّين بعدم مهاجمة القسطنطينيّة وإمدادها بالطّعام، وأصبح البيزنطيّون تحت رحمة العثمانيّين[3] وأصبح الإمبراطور البيزنطيّ مجرّد تابع إقطاعيّ عليه أن يؤدّي التزامات نحو سيّده العثمانيّ[4] وانعكست العلاقات الطّيّبة بين العاهلين البيزنطيّ والعثمانيّ على ولديهما، ساوجي شلبي، وأندرونيكوس اللّذين أصبحت تربطهما علاقات متينة، واتّفقا على اعتلاء الحكم عبر القيام بثورتين ضدّ والديهما. لكنّ محاولتيها باءت بالفشل، إذ نجح السّلطان مراد في إخماد الثّورة وقتل ابنه، كما زجّ الإمبراطور البيزنطيّ بابنه في السّجن، لكنّه تمكّن من الهرب، وطلب المساعدة من السّلطان مراد الّذي تعهّد بمساعدته على الدّخول إلى القسطنطينيّة مقابل بعض التّنازلات. وبعد نجاح محاولته وفرار ولده إلى الخارج، طلب الإمبراطور البيزنطيّ هو الآخر المساعدة من السّلطان العثمانيّ الّذي ساعده مقابل تنازلات قدّمها له وعاد إلى عرشه في عام 1379م. ومن هنا ندرك أنّ السّلطان العثمانيّ مراد الأوّل أصبح الرّقم الأصعب في معادلة التّسوية

1453م، تعتبر مدينة تجاريّة عظيمة ومقرّا للملك والجيش. يسكنها إلى جانب اليونانيّين الّذين يعتبرون سكّانها الأصليّين اليهود الإسبان والأرمن وغيرهم من الأجانب، عندما فتحها العثمانيّون تركوا الكنائس القديمة على ما هي عليه، وبنوا عدّة مساجد وتكايا وزوايا من أقدمها جامع بايزيد ويسمّى (كويه لي جامع). بها العديد من قصور الوزراء والباشاوات، والجسور والخانات والأسواق. أ. ي. فننك وآخرون ، ،مرجع سابق، ج 3، ص ص 537- 538.

1- منجم باشي، مصدر سابق، ص54.

2-*H*ummer, op.cit., p233.

3- متولي، مرجع سابق، ص 52.

4- نيقولو بارباو، **الفتح الإسلاميّ للقسطنطينيّة**، دراسة وترجمة وتعليق حاتم عبد الرّحمن الطّحاويّ، ط01، 2002،م عين للدّراسات البحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، الهرم، ص 23.

السّياسيّة بين العثمانيّين والبيزنطيّين، وأنّ تبعيّة أسرة باليولوغس للعثمانيّين لم تنتهِ إلّا باستشهاد هذا الأخير في معركة كوسوفو في 1389م[1].

وفي محاولة من دول البلقان لاستعادة أدرنة ألحق بهم العثمانيّون هزيمة أخرى قرب نهر مارتزا (Maritza) في معركة **اندحار الصّرب** Roots of the Serbs عام 764هـ/ 1363م [2]. عندها عقد ملك البلغار شيشمان الصّلح معهم، معترفا لهم بما فتحوه، وقبل بدفع الجزية وبزواج السّلطان مراد بأخته ماريا[3].

وعلى اثر ذلك بدأ توافد القناصل الأوروبّيّين إلى العاصمة الجديدة، لغرض الصّداقة ودفع الجزية للدّولة العثمانيّة، وكان كلّما نقض المسيحيّون هذه الاتّفاقيّات تعقبها حرب، وبالتّالي المزيد من التّوسّع وبهذا زاد توسّع العثمانيّين في البلقان[4]، من احتلال كامل المناطق المحيطة بالقسطنطينيّة [5].

تمكّن السّلطان مراد الأوّل أثناء فترة حكمه من تثبيت سيطرته على كامل البلقان، وتوسيع رقعة دولته في الأناضول، إذ استولى على أنقرة وعلى عدّة أجزاء من إمارة كرميان أوغلو وحميد أوغلو وضيّقوا الخناق على كرمان أوغلو[6]، ولم يعد بذلك من قوّة يمكنها مواجهتهم هناك[7].

وفي 15جوان 806هـ/1389م تمكّن الجيش العثمانيّ بقيادة السّلطان مراد نفسه وأبنائه، من هزيمة تحالف القوى المسيحيّة البلقانيّة[8]، بقيادة ملك الصّرب **لازار الأول (Lazar1)** [9]في معركة

1- بارباو، المرجع السابق، ص ص 25- 26.

2- طالب محيبس حسن الوائليّ، مرجع سابق، ص141.

3- أحمد فؤاد متولّي، **تاريخ الدّولة العثمانية،** مرجع سابق، ص 55 - 56.

4- محمّد عبد اللّطيف هويدي، مرجع سابق، ص24.

5- ابن خلدون، مصدر سابق، ص 635.

6- كوبرلي، مرجع سابق، ص186.

7- *L*orgeoux *J*eanny, **Histoire universelle**, volume 05 (la renaissance et l'âge classique), librairie hachette 1967, p 855.

8- M.J^{u}.M^{e}.Jouanine et M.Jules, Vangaver, **L'Univers ou** ***Histoire et description de tout les peuples , la Turquie .*** Firmin didot freres,éditeures ,Paris,.s.d.

9- **لازار هربلجانوفيك**: أمير صربيّ (1329–1389)، خضع للعثمانيّين، ثمّ حاول فيما بعد التّخلّص من سيطرتهم، لكنّه تلقّى هزيمة ساحقة في معركة كوسوفو 1389م، الّتي أعدم على إثرها، وكانت هذه نهاية مملكة صربيا المستقلّة.انظر :

Le grand dictionnaire encyclopédique, imprimé en France, Imprimerie Jean didier, Lizy –sier ourcq libraire Larousse, 1985, T6, p6180.

كوسوفو (Kossovo)[1]، لكن مع نهاية المعركة تمكّن جنديّ صربيّ جريح اسمه **ميلوش كابيلوفيتشMilosch kopilovitch**[2]،من طعن السّلطان بخنجر فقُتل بذلك في ميدان المعركة بتاريخ 15جوان 1389م[3].

ولو أنّ هناك رواية أخرى تتحدّث عن استشهاد السّلطان مراد مفادها أنّ هذا القاتل كان أميرا صربيّا، مثل أمام السّلطان بحجّة أنّ له معلومات يقدّمها له شخصيّا، وعند استقباله له باغته بطعنة خنجر كان يخفيه في كمّه، ولطما تغنّى الشّعراء الصّرب بهذه المعركة، وحاولوا تحويل هذه الهزيمة إلى انتصار معنويّ ونسجوا منها عدّة بطولات وملاحم لا زالوا يتداولونها إلى يومنا هذا [4]، واعتبروا ميلوش بطلا قوميّا. لكن هل فعلا ما قام به كان عملا بطوليّا أم جريمة قتل وغدر[5] في حقّ السّلطان الشّهيد مراد الأوّل؟ ومنذ ذلك الحين أصبح من التّقاليد عند العثمانيّين أنّه عند قدوم الوافد لتقبيل السّلطان أن يمسكه واحد من طرفي كمه وآخر من كمه الآخر[6]. ومهما يكن من أمر فقد أوصى السّلطان قبل وفاته بخلافته لابنه الأصغر يلدرم بايزيد ، الّذي بايعه قادة الجيش في الميدان في 16 جوان1389م[7]. وبعد انتهاء المعركة كان العثمانيّون قد أسروا ملك الصّرب لازار وعددا كبيرا من النّبلاء الصّرب، فصدرت بقتلهم جميعاً في ساحة القتال[8]. وبهذا تمكّن العثمانيّون من تدمير آخر مقاومة منظّمة في البلقان وأصبحت صربيا مثل بلغاريا خاضعة للعثمانيّين[9].

---

1 – **كوسوفو** أو كوسوفا ، وترد في المصادر العربية باسم قوصاوه، وأيضا قوصوه، وهي إقليم أكثر مما هي مدينة، غالبية سكانها من المسلمين ، انتشر بها الإسلام قبل وصول العثمانيين، وشهدت معركة كوسفو في 1396م.انظر:حسان حلاق، **مدن وشعوب إسلامية** ، دار الرّاتب الجامعية، سوفنير، بيروت، لبنان، د.خ.ش، ص362؛ إبراهيم بك حليم، **تاريخ الدّولة العثمانية العلية (التّحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية)**، ط1، مؤسسة الكتب الثّقافية ،بيروت، لبنان، 1408 /هـ 1988م،ص43.

2 – Hummer, op.cit. ,p p, 284 -291.

3–*R.L*oernetz, "***pour l'histoire de Péloponeze au 14°siecle(1382-1404)***" ,in Etudes byzantines , T 01,1943,pp152-196,p170.

4– *L*eVte. de la *j*oquiere, **Histoire universelle**, publiée par société de professeurs et de savants, sous la direction de M .V. Duruy, Tome 01, Histoire de l'Empire ottoman depuis les origines jusqu'à nos jours, imprimerie La hure, rue de fleurus, PARIS, 1914, p75.

5– *A*. de *l*amartine, op.cit., p168.

6– القرمانيّ، المصدر السابق، ص300.

7– *S*how *S*tandford, op. Cit., p 22.

8– الصّلابيّ، **الدّولة العثمانيّة دولة إسلاميّة مفترى عليها**، ج1، ط1، ص ص 606 –607.

9– Show, op. Cit., p p 21 - 22.

ورغم أنّ فترة حكمه كانت قصيرة بالمقارنة مع أسلافه لكنّها عظيمة بإنجازاتها على جميع الأصعدة، وكان من أبرزها أنّه تمكّن من وضع الأسس القويّة والصّحيحة لبناء الدّولة العثمانيّة، كما وفّر الأرضيّة الصّالحة لنموّها وتطوّرها على جميع الأصعدة[1]. وما يمكن استخلاصه من تطوّر الدّولة العثمانيّة العثمانيّة منذ نشأتها حتّى وفاة السّلطان مراد، أنّ عثمان غازي أوجد جيشا وأورخان بنى دولة ومراد أرسى قواعد هذه الدّولة [2].

[1]- رائد سامي حميد موسى الدّوري، **الدّولة العثمانية في عهد السّلطان مراد الأوّل (760-791هـ/1359-1389م)**، جزء من متطلبات نيل شهادة الدّكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث،غير منشورة، جامعة الكويت، 1432هـ/2011م ،غ.م.

[2]- عبد الرّحيم مصطفى، مرجع سابق، ص 49.

الفصل الثاني:**أوضاع الدولة العثمانية الداخلية خلال فترة حكم السلطان بايزيد الأوّل**(1389-1402م)

المبحث الأول: نبذة عن حياة السّلطان بايزيد الأوّل

المبحث الثاني : نظام الحكم

المبحث الثالث : سياسة السلطان بايزيد الأوّل في الأناضول

المبحث الرابع : السلطة والمجتمع

1 – السلطان

2- الديوان (الحكومة)

3 – القضاء

4 - المجال العسكري

5 - التقسيم الإداري

6 - الأوضاع الاقتصادية في الدولة العثمانية

7- الأوضاع *الاجتماعية*

8 - الحياة الدّينية والفكرية

أ - الحياة الدينية

ب – الحياة الفكرية

- *الأدب و الشّعر*

- التعليم و العلماء

- الفنون و العمارة

المبحث الأوّل: نبذة عن حياة السّلطان بايزيد الأوّل

وُلد السّلطان العثمانيّ بايزيد الأوّل بن السّلطان مراد الأوّل في بلدة منيسيا (Manisa)في مطلع عام (741هـ/1340م)[1]، المعروف في المصادر العثمانيّة بيلدرم أي الصّاعقة، أمّه يونانيّة اسمها غولجيجاك خاتون. كان له أخوان هما يعقوب وساوجي الّذي أعدمه والده السّلطان مراد بعد الثّورة الّتي قام بها، وكان بايزيد أقرب إخوته لوالده[2]. وقد أصبح (سنجق بك) أي واليا على إمارة كرميان عام 1381م ثمّ على إمارة حميد (إسبرطة) في عام 1386م، ثمّ على كوتاهية ثمّ أماسية. اشترك مع والده السّلطان مراد في عدّة معارك وكان خلالها يقود الميمنة[3]. بعد تولّيه إمارة كرميان، أثبت جدارة كبيرة في إدارتها، إذ راعى مصالح الدّولة العثمانيّة في جهتها الشّرقية[4]. وسُمّي يلدرم أي الصّاعقة لخفّته ومهارته في الحرب[5]، وسرعة انتقاله بين الأناضول والرّومليّ[6]. تزوّج بايزيد ابنة علي بك بن كرميان دولت خاتون[7]وهي أمّ محمّد الأوّل[8]، الّذي منح السّلطان مراد كوتاهية، و عدّة مقاطعات كجهاز لابنته. وأقام السّلطان لهذا القران حفلا عظيمًا بقصره بمدينة بورصة، استدعى له ملوك وسفراء الإمارات والدّول الإسلاميّة، ومنهم سفراء آيدن و منتشأ و قسطموني وكرمان ومصر[9]، وهذا قصد إبراز الأبّهة والعظمة الّتي أصبحت عليها الدّولة العثمانيّة، ولإغرائهم للانضمام تحت سلطته. كما زوّج إحدى بناته لعلي بك بن كرامان، وكلّ هذا قصد ربط هذه الإمارات بعلاقات مصاهرة[10].

1- البدليسيّ، مصدر سابق، ص 42.

2- *A*. de *L*amartine, ***Histoire de la Turquie***, T2, librairie Constitutionnel, Paris 1831, pp133-137.

3- يلماز أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة** ، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاريّ،م1، ط1، منشورات مؤسّسة فيصل لتمويل تركيا، اسطنبول ، (1988م/1408هـ)، ص103.

4- مونتران، مرجع سابق، ص61.

5- عزتلو يوسف بك أصاف، مرجع سابق، ص 41.

6- *L*eidene E. *j*Brill, ***Encyclopédie de l'Islam***, T01. par un comité de rédaction composé de H.A.R.Gi, J.H Krame, E.Levi provençale, J.Schacht. sous le patronage de l'union académique internationale, Paris édition, G.P, maison neuve, LAROSE 1975, P115.

7- محمّد أحمد محمّد الثّقفيّ، **زواج السّلاطين العثمانيين من الأجنبيّات وأثره في إضعاف الدّولة العثمانيّة**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، ، تحت إشراف د. يوسف علي رابع الثقفي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1431هـ/1432هـ، ص 100.

8- **محمّد الأول**: الملّقب بجلبي وهو المؤسّس الثّاني للدّولة العثمانيّة.

9- Hammer, op.cit.,p 344.

10- منجم باشي، مصدر سابق، ص63.

وعند نهاية معركة كوسوفا في 15 جوان 1389م، الّتي أدّى فيها دورًا كبيرًا ، طلب السّلطان مراد الأوّل وهو في سكرات الموت من مرافقيه مبايعة بايزيد الأول على السّلطة[1]، الّذي كان يحظى بمحبة العسكر[2]ومساندة العناصر المسيحيّة حديثة العهد بالإسلام، في حين كان أعيان التّركمان يساندون يعقوب چلبي[3] لا سيّما عائلة **جندرلي**[4]، وقد ساعد تواجده بساحة المعركة عند وفاة والده الاستيلاء على الحكم، في حين كان يعقوب جلبي متواجدا بالأناضول. وبعد نيله الشّرعية، واستنادًا إلى أنّ السّلطان عثمان كان قد ولّى ابنه الأصغر أورخان الحكم بدل الأكبر علاء الدّين[5]، أقبل على إعدام أخيه خنقا، الّذي كان أولى بالسّلطة منه حسب المصادر التّاريخية[6]، وهذا درءًا للفتنة وحتّى يأمن منازعته له، علما أنّ أخاه الثّاني ساوبحي بك كان قد قتله والده السّلطان مراد من قبل في عام 1385م، على إثر الفتنة الّتي أحدثها كما سبق ذكره[7]. وقد لامه رجال السّلطة على ذلك، فأجابهم أنّ أمير المؤمنين الّذي هو ظلّ اللّه في الأرض يجب أن يكون واحدًا مثلما أنّ اللّه واحد في السّماء[8]، كما استند إلى فتوى شرعيّة مبنيّة على قوله تعالى: {والفتنة أشدّ من القتل}[9]، وحتّى يتفادى ما قام به أخوه ساوبحي على عهد والده السّلطان مراد[10]. وكان بذلك أوّل السّلاطين العثمانيّين من يقتل أخاه[11]، وجرت العادة منذ ذلك الحين أن يقتل أو يسجن السّلطان الجديد من يحتمل أن ينافسه على الملك، وأصبح في عهد محمّد الفاتح قانونا، ولم يتخلّ سلاطين الدّولة العثمانيّة عنه حتّى عهد السّلطان عبد المجيد الأوّل(1839م- 1861م)[12]. كما أراد السّلطان الجديد من خلال عمله هذا أن يبيّن للجيش أنّ سلاطين بني عثمان يمكنهم التّضحية حتّى بأقرب المقرّبين منهم في

---

1 - *L*eidene E.*j*Brill, op.cit., p 115.

2 - *L*amartine, op.cit.,p177.

3- عبد الرّحيم مصطفى، مرجع سابق ،ص 50.

4- **عائلة جندرلي**: تُنسب إلى قارة خليل جندرلي وهو من عائلة عريقة ومتعلّمة، تتلمذ على يد الشّيخ إيدبالي، وتولّى القضاء على عهد عثمان غازي في أزنيك، وبعد تولّي مراد الأول الحكم عيّنه قاضي عسكر، شارك في معظم الحروب الّتي خاضها السّلطان مراد الأوّل، كان قدوة حسنة للدّولة. توفّي في شهر12 عام 1387م، انظر: سونيا محمّد البنا، **فرقة الإنكشاريّة، نشأتها ودورها في الدّولة العثمانيّة**، إيتراك للطّباعة والنّشر 2006، ص13.

5- فؤاد متولّي ، **تاريخ الدولة العثمانية**، مرجع سابق ، ص68.

6 -*H*ammer, op.cit.,p p 282-283.

7- للمزيد انظر: منجم باشي مصدر سابق ص50؛ *H*ammer, op.cit., p 255

8- حضرة عزّتلو، مرجع السّابق ص38.

9- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 191.

10- *H*ammer, op.cit., p 292.

11- البدليسيّ، مصدر سابق، ص60.

12- يوسف بك أصاف، مرجع سابق، ص39.

سبيل وحدة الدّولة العثمانيّة[1]ورغم قساوة هذا القانون إلاّ أنّه ضمن الاستقرار للدّولة العثمانيّة طيلة خمسة قرون[2].

كان السلطان بايزيد الأوّل يتميّز بشخصيّة قويّة، عالي الهمّة ، ذكيّا ،جسوراً ،سريع الحركة، كان متسلّطاً ولا يهتمّ كثيرا بآراء الآخرين [3]. كانت تصرّفاته ومواقفه ومواهبه العسكريّة تفوق بكثير مواهبه السّياسيّة[4]، ويبدو ويبدو أنه كان يريد من وراء أعماله العسكريّة الكثيرة أن يكون سلطاناً قوياً[5].وعلى خلاف من سبقه من السّلاطين، كان يتصرّف كملك وليس كزعيم للغزاة، كما كانت طموحاته كبيرة، فعلى حدّ تعبير بيتر شوجر كان يعتبر نفسه أداة إلاهيّة أُرسلت من السّماء لغزو العالم، من أجل إقرار كلمة الله، وكان يطمح لأن يكون حاكما عالميًّا[6]، لكن يبدو لي أنّ هذا الكلام فيه مبالغة، لأنّه رغم شخصيّة السّلطان يلدرم القويّة وطموحاته وطموحاته الكبيرة وربّما حتّى غروره في بعض الأحيان، إلاّ أنّه كان سلطانا على دولة إسلاميّة حملت لواء الجهاد ضدّ القوى المسيحيّة المتربّصة بالعالم الإسلاميّ آنذاك، وبذلك فمن المستبعد أن يصدر عنه مثل هذا الكلام.

بعد معركة كوسوفا 1389م، أرغم ملك الصّرب الجديد استفان على دفع جزية سنويّة، وعرض هذا الأخير على السّلطان تزويجه أخته أوليفيرا، وقبل السّلطان بذلك[7]، ولهذا نلاحظ تأثّر البلاط بالمؤثّرات المسيحيّة، بحكم أنّ السلطان بايزيد كانت زوجته صربيّة وأمّه يونانيّة، هذا ما كان تأثير كبير على حياته، خاصّة فيما تعلّق بجانب التّرف[8]، إذ أصبح للحزب المسيحيّ تأثير كبير على بلاط السّلطان، ، حتّى لَيُقالُ إنّ السّلطان بايزيد الأوّل هو أوّل أمير عثمانيّ يحتسي الخمر[9]. ومن أهمّ المواقف في حياة السّلطان هو رفض قاضيه مولانا الملاّ شمس الدّين الفناريّ لشهادته في إحدى القضايا لأنّه تارك لصلاة الجماعة، فبنى جامعًا قرب قصره ولم يترك صلاة الجماعة بعد ذلك قطّ، كما يُروى عنه أنّه عندما أتمّ بناء مسجده (أولو جامع)

1- *L*amartine, op.cit.,p174.

2- أحمد عبد الرّحيم، مرجع سابق ،ص50.

3-ا بن عرب شاه، ، مصدر سابق، غ.م.

4- أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة** ، مرجع سابق، ص 109.

5- مونتران، مرجع سابق، ص61.

6- شوجر، مرجع سابق، ص36.

7- الميلاري إسماعيل سرهنك، **تاريخ الدّولة العثمانيّة**، تقديم ومراجعة حسن الزّين،دار الفكر الحديث للطّباعة والنّشر،د.ط، 1408هـ/1988م، 1408هـ/1988م، ص23.

8- Lamartine, op.cit. ,p197.

9- عبد الرّحيم مصطفى،مرجع سابق، ص 58.

ببورصة[1]، زاره رفقة الأمير سعيد وطلب منه السّلطان رأيه في هذا الصّرح، فأجابه الأمير أن يبني أربع حانات حانات كلّ واحدة في ركن من أركان الجامع، يقصدها السّلطان وأصحابه، فأدرك السّلطان المقصود وعمل بالنّصيحة ولم يشرب الخمر بعد هذا قطّ[2] . وبعد إعلان توبته ندم كثيرا عمّا اقترفه من ذنوب وبكى كثيرا[3]. كثيرا[3]. عمل على إقرار الأمن ، حتّى كان الرّجل على عهده يصادف البضائع في الطّريق فلا تسوّل له نفسه التّعرض لها[4].

وعند هزيمة الجيش العثمانيّ في معركة أنقرة في 28 جويلية 1420م، تمّ أسر السّلطان بايزيد الأول من قبل تيمورلنك، ويُقال إنّه عامله معاملة حسنة في بداية الأمر. لكن لما حاول هذا الأخير الفرار تغيّرت معاملة ملك المغول له فوضعه في قفص من حديد[5]. ويشير بعض المؤرّخين أنّه وضعه في **تختروان**[6]، لكنّ المؤرّخين الأوروبّيّين أساؤوا التّرجمة، فترجموا تختروان على أنّه قفص. وبلغ به الأمر أنّه بعد أسر زوجته الصّربيّة أوليفيرا[7] عرضها تقريبا عارية أمام الجند على مرأى منه[8]. وفي أواسط رجب 805 هـ/فيفري 1403م أصيب السّلطان بمرض ضيق التّنفّس .ولما اشتدّ به المرض عيّن له تيمورلنك طبيبه الخاصّين لمعالجته هما: مولانا جلال الدّين العربيّ، وعزّ الدّين مسعود الشّيرازيّ، رغم هذا زادت أوضاعه الصّحّيّة تدهورا، حتّى توفّي في يوم الخميس 14 شعبان 805هـ/09 مارس1403م بمدينة آقشهر عن عمر ناهز 60 سنة[9].

سمح تيمورلنك لابنه موسى جلبي بنقل جثمان والده إلى بورصة حيث دفن بجوار مسجده[10]. دامت مدّة حكمه 13 سنة وخلّف خمسة أولاد ذكور هم (سليمان محمّد **چلبي**[11] عيسى، ومصطفى، وموسى)،

---

1 -أحمد آق كوندر ، مرجع سابق ،ص98.

2 -*L*e V^te de la *j*onquier, op. cit., p 76 .

3 - *L*amartine, op.cit.,p202.

4- إسماعيل سرهنك،مرجع سابق، ص 25.

5- كارل بروكلمان، مرجع سابق، ص422.

6- **تختروان**: هو ترجمة لكلمة بساط، أطلق في العصر المملوكيّ والعثمانيّ على نوع من الأسرّة المتحرّكة شبيهة بالمحامل، انظر : مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التّاريخيّة**، ط1، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، 1416 هـ/1996م.

7- محمّد الثّقفيّ، مرجع سابق، ص103.

8-*G*rassi. *M, **La charte Turque*** ou (Organisation religieuse civile et militaire de l'empire ottoman) T01, librairie universelle de P.Mongie aine 1825, p230.

9 -منجم باشي، مصدر سابق، ص89.

10 – إبراهيم بك حليم، **تاريخ الدولة العثمانية العلية " التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية "**، ط1 ،2004م، مؤسسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ص73 .

11- **چلبي** :بجيم معقود ولام مفتوح وباء موحّدة معناها بالعثمانية السيّد.انظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ص217.

إضافة إلى أرطغرل الّذي قتله جنود تيمورلنك[1]، وقد خلّف آثار خيريّة كثيرة منها مدارس وزوايا ومستشفيات ومستشفيات في أدرنة وفي غيرها[2]. وكانت حادثة أسر وموت بايزيد بالنّسبة للبيزنطيّين كالكابوس الّذي خلّصهم منه تيمورلنك خاصّة وأنّه كان عازما على الاستيلاء على القسطنطينيّة[3].

[1] -منجم باشي ،مصدر سابق، ص76.

[2] - البدليسي، مصدر سابق ،ص63.

[3] - *G*autier *P*aule, "**Action de Grace pour l'anniversaire de la bataille d'Ankara (18 juillet 1402)**",in Revue des Etudes Byzantiques, № 19 Année, 1961, p347.

المبحث الثاني: نظام الحكم

حرص السّلطان بايزيد الأوّل منذ تولّيه السّلطة[1] على إنشاء نظام حكم مركزيّ على النّمط التّقليديّ[2]، على غرار الدّول المركزيّة في الشّرق الأدنى سواء تلك الّتي سبقته أو الّتي عاصرته[3]، متأثّرا في ذلك بتنظيمات الأوروبّيين في البلقان، بسبب وفود عدّة عناصر أوروبّيّة وخاصّة من اليونان للبلاط العثمانيّ كما ذكرنا سابقاً[4].

وللوصول إلى ذلك فرض سيطرته على معظم إمارات الأناضول، وعمل على تصفية الأسر الحاكمة فيها، ووضع بذلك تحت رقابته الأسر المحلّيّة والأمراء التّركمان وأمراء الحدود الّذين كانت قد تعاظمت قوّتهم من قبل وكانوا يتمتّعون بحكم ذاتيّ[5]. وحكمها حكما مباشرا عن طريق موظّفيه العسكريّين والإداريّين (قابو قولارو)، فأفقدها بذلك امتيازاتها، هذا ما اعتبروه خروجا عن التّقاليد العثمانيّة، إذ حوّل إمارة آل عثمان من دولة شبه إقطاعيّة إلى دولة مركزيّة قويّة[6]، تستند إلى الإيديولوجيّة الإسلاميّة، خاصّة بعد حصوله من الخليفة العبّاسيّ في القاهرة على لقب سلطان الرّوم[7]. وبسياسته هذه اكتسب الكثير من الأعداء داخل الارستقراطيّة الارستقراطيّة التّركمانيّة المسلمة[8].أنّ السّلطان بايزيد الأول حينما أعلن نفسه سلطانا للرّوم،كان في الوقت نفسه يثير ذكريات تاريخيّة كثيرة، إذ أنّه لم يكن مجرّد أمير للثّغور، بل حاكما لأعلى دولة إسلاميّة تنتمي للعالم القديم، و وريثا لأمجاد سلاطين السّلاجقة. لم يعجب هذا التّحوّل مجاهدي الثّغور و أمراء الأناضول الّذين قاوموه إلى حدّ ما واستاؤوا من تحوّل قائدهم من أمير إلى ملك قيّد حرّيتهم بسلطان دولته[9].وأصبح يسمّى سلطان الرّوم، والبلاد الّتي يحكمها هي بلاد الرّوم. وهذا ما كان يميّزه عن جيرانه المسلمين، خاصّة منهم سلاطين مصر من المماليك.

1- كانت مساحة الدّولة العثمانيّة عند اعتلاء السّلطان بايزيد السّلطة في 1389م تقدّر بحوالي 500 ألف كلم2، منها 291000 كلم2 في أوروبا، و208000 كلم2 في الأناضول، انظر: فؤاد متولي، **تاريخ الدولة العثمانية** ، مرجع سابق، ص69.

2- لويس، مرجع سابق، ص46.

3- عباس إسماعيل صباغ، **تاريخ العلاقات العثمانيّة الإيرانيّة**، دار النّفائس، بيروت، لبنان، ط02، 1432هـ/2011 م، ص106.

4- سيار جميل ، مرجع سابق، ص55.

5 -Show, op cit., p 32.

6- طالب محبس حسن الوائليّ، **دراسات في مقدّمات الصّدام التّتاريّ العثمانيّ ومجريات الحرب**، مجلّة كلّيّة التّربية، جامعة واسط، ص142.

7- لويس، المرجع السابق ، ص 68.

8- شوجر، مرجع سابق، ص36.

9- نفسه ص ص40 68.

كما حوّل السّلطان يلدرم بايزيد أنظار دولته من البلقان نحو الشّرق متخلّيا بذلك عن تقاليد آبائه وأجداده، ومنذ ذلك الحين أصبح للدّولة العثمانيّة بعدٌ جيوسياسيّ، فقد امتدّت من نهر الدّانوب غربا إلى نهر الفرات شرقا. ولأوّل مرّة أصبحت قوّة فعّالة في الحوض الشّرقيّ للبحر الأبيض المتوسّط، بل وأصبحت إحدى أهمّ المحاور الأساسيّة في السّياسة الدّوليّة[1].

[1] – إسماعيل الصّبّاغ، مرجع سابق ، ص30.

المبحث الثّالث: سياسة السّلطان بايزيد الأوّل في الأناضول

تمكّن السّلطان مراد الأوّل خلال فترة حكمه من التّوسّع في الأناضول على حساب جيرانه من الإمارات التّركمانيّة، وسمح لحكّامها بإدارتها على شكل إقطاعات عسكريّة تارة[1]، وتارة لجؤوا إلى ربطها بعلاقات المصاهرة مع الأسر الحاكمة[2]، وتارة أخرى شراء أراضيهم أو منحهم أراضيَ في البلقان مقابل الأراضي المسلوبة منهم. وتجنّبوا قدر الإمكان مواجهتهم عسكريًا، وهذا لقواعد الجهاد الّتي تقتضي توجيه القوّة العسكريّة ضدّ الأعداء المسيحيّين، ولقوّة هذه الإمارات العسكريّة[3].

لكن يبدو أنّ هذه السّياسة لم تُجْدِ نفعًا، ففي الوقت الّذي كانت الدّولة العثمانيّة تخوض معركة البقاء في معركة كوسوفو 1389م حرّض علاء الدّين أمير كرمان الإمارات التّركيّة بعد انتهاء المعركة على استرجاع أملاكها ونفوذها، مستغلّا استيائها من تأثير العناصر المسيحيّة على السّلطان بايزيد الأوّل [4]. وعلى اعتبار أنّ هذه الإمارة تعتبر من أكبر الإمارات التّركمانيّة في الأناضول بعد الدّولة العثمانيّة[5]، تحالفت معها إمارة القاضي برهان الدّين وإمارات كلّ من صاروخان وآيدن وتكه وكرميان وحميد بزعامته، وشمل هذا التّحالف مساحات واسعة من وسط وجنوب غرب الأناضول. وأعلن علاء الدّين رفضه قيام أيّة وحدة بين الإمارات التّركيّة، رغم أنّه كان فيما قبل من أشدّ المتحمّسين لهذا المشروع، وبهذا عارضت العثمانيّين ورفضت فكرة وحدة الإمارات التّركيّة تحت زعامتهم[6].

وجمع حوله معظم بكاوات الأناضول الّذين استرجعوا معظم الأقاليم الّتي كان السّلطان مراد الأوّل قد استولى عليها من قبل. وامتنعت إمارات أخرى عن دفع الجزية المفروضة عليها للعثمانيّين، وبعضها تحالف مع البيزنطيّين والبعض الآخر استردّ ما كان العثمانيّون قد استولوا عليه من قبل[7].

1- محمّد سهيل طقوش، **تاريخ العثمانيّين من قيام الدّولة إلى الانقلاب على الخلافة**، ط2، دار النّفائس للطّباعة والنّشر، 1429هـ/2008م، ص56.

2- عُرف عن السّلاطين العثمانيّين زواجهم من بنات أباطرة بيزنطا وملوك وأمراء البلقان، وهذا لدوافع سياسيّة بالدّرجة الأولى، والهدف منها تقوية مكانتها من خلال هذه العلاقات وتوسيع مساحة الدّولة .أنظر:محمّد أحمد محمّد الثّقفيّ، مرجع سابق، ص ص101 -102.

3- Shaw *S*tandford, op.cit., p29.

4- طالب محييس حسن الوائليّ، مرجع سابق، ص143.

5 -*H*ammer, op. Cit., p 84 .

6- أوزوتونا،**تاريخ الدولة العثمانية** ،مرجع سابق، ص103.

7- فؤاد متولّي، **تاريخ الدولة العثمانية** ،مرجع سابق، ص70.

واتّضح بذلك – ممّا لا يدعو للشّك – عدم تماسك الدّولة العثمانيّة داخليًّا. فكيف للسّلطان الجديد أن يحصل على القوّة الكافية الّتي تمكّنه من مواجهة هؤلاء الأمراء الّذين طالما تجنّب أجداده مجابهتهم،بسبب تقاليد الجهاد الّتي انتهجوها ولأنّهم كانوا أكثر قوّة منه[1]؟

وبالرّغم من أنّ السّلطان بايزيد الأوّل حاول في بداية الأمر التّفاهم مع هؤلاء الأمراء وعدم الاصطدام بهم، خاصّة أمير كرمان علاء الدّين[2]، لكن دون جدوى. لهذا اخترق القاعدة الّتي سار عليها أجداده، وقرّر مهاجمتهم والقضاء عليهم بدلا مهادنتهم، حتّى يتسّنى له تأسيس دولة مركزيّة بدلا من تلك الّتي كانت تضمّ عدّة تابعة له[3]. وقبل الشّروع في عمله هذا، عقد اتّفاقيّة السّلام مع الصّرب[4]، وأرسل قادته الموجودين على على الحدود في غزوات ضدّ البوسنة وولاشيا، وهذا حتّى لا تغتنم هذه الإمارات فرصة انشغاله بحروبه في الأناضول وتعلن الحرب ضدّ الدّولة العثمانيّة. وبعدها حشد جيشا قويّا ضمّنه فرقا عسكريّة مسيحيّة، صربيّة وبيزنطيّة وتوجّه لتأديب الإمارات المتمرّدة، وعلى إثر هذا سلّمت بعض الإمارات دون قتال، كآيدن وصاروخان ومنتشه وحميدلي ثمّ توجّه نحو بورصة، ومنها شرع في إعادة فتح الأناضول والقضاء على الأمراء المتمرّدين منذ شتاء 1389 -1390م[5].

ضيّق السّلطان بايزيد الأول على هؤلاء الأمراء، وقبل نهاية عام 1390م تمكّن من الاستيلاء على كلّ الإمارات المتمرّدة باستثناء كرميان، الّتي لم يتمكّن العثمانيّون من السّيطرة عليها، بالإضافة إلى فيلادلفيا (آلاشهر)، وهي آخر الممتلكات البيزنطيّة في الأناضول[6]. في عام 1390م سلّم عيسى بك أمير آيدن بلاده بلاده للعثمانيّين مقابل حصوله منهم على أزمير وضواحيها، ولما توفّي استولى العثمانيّون على كامل الإمارة، كما هرب أمير منتشه إلياس بك إلى سينوب وترك بلاده للعثمانيّين، وطلب إسحاق بك أمير صاروخان الأمان من السّلطان مقابل تنازله لجزء من إمارته له، كما تنازل علاء الدّين بك حاكم كارمان على جزء كبير من بلاده للعثمانيّين على أن يسمح له بحكم الجزء المتبقّي.

---

[1] – مونتران،مرجع سابق، ص61.

[2] – طقوش، **تاريخ العثمانيّين**، مرجع سابق ص56.

[3] – إينالجيك ، مرجع سابق، ص 28.

[4] – محمود محمّد الحويريّ، **تاريخ الدّولة العثمانيّة في العصور الوسطى**، ط 01، المكتب المصريّ لتوزيع المطبوعات، 2002 م، ص67.

[5] – مونتران، ص62.

[6] – نفسه، ص ص61، 62.

وفي شتاء 1391م انتهت حملة الأناضول بالنّجاح وبإخضاع إمارة كرميان[1]. رغم كلّ هذا لم يتمكّن العثمانيّون من إخضاع الأناضول نهائيّا، وهذا بسبب تربّص كلّ من القاضِيَيْنِ برهان الدّين وعلاء الدّين القرمانيّ، الّذي التحق بتيمورلنك كما سيفعل بقيّة الأمراء التّركمان الآخرين[2]، وكذلك بسبب التّهديدات المجريّة على نهر الدّانوب، لهذا تخلّى بايزيد عن حملته الأناضوليّة[3].

وأثناء انشغال السّلطان بايزيد الأوّل بمواجهة التّحالف الصّليبيّ في نيكوبوليس 1396م تمرّد أمير كرمان ثانية، فجهّز جيشا عظيما وأعلن العصيان، وحاول استرجاع ما كان قد سلبه منه السّلطان العثمانيّ فهزم القائد العثمانيّ تيمورطاش، وتوجّه للاستيلاء على أنقرة وبورصة. على إثر هذا عاد السّلطان بايزيد مسرعا للأناضول بعد عودته من اليونان في 1397م ، وأسر علاء الدّين بعد معركة آق چاي، وأعدمه استنادا إلى أنّ (موت أمير أهون من فقدان إمارة)، وهذه القاعدة قد سار عليها معظم سلاطين الدّولة العثمانيّة فيما بعد، لتبرير قتلهم لأمراء الأناضول[4]. ودخل قونية وضمّ بذلك الإمارة نهائيّا للدّولة العثمانيّة[5]. وأصبحت الإيّالة الإيّالة الثّالثة بعد إيّالتي الأناضول الرّوملي[6].

وبضمّ إمارة كرمان زالت العقبة الرّئيسية الّتي كانت تقف في وجه توحيد العثمانيّين للأناضول[7]. كما كما استولى السلطان بايزيد الأول على أراضي إمارتي حميد وأولاد تكه وقسطموني الغنيّة بمناجم النّحاس في 1393م، والّتي فرّ أميرها بايزيد ولجأ إلى تيمورلنك[8]، ومملكة القاضي برهان الدّين بعد وفاته في 1398م وتشمل سيواس وقيصرية وطوقات وقير شه[9].

1- منجم باشي ، مصدر سابق،ص77.

2- البكري الصّديقيّ، مرجع سابق، غ.م؛ للمزيد : أنظر، ابراهيم بن عامر العبيدي المالكي، قلائد العقيان في مفاخرة دولة آل عثمان، د.ن.ط، 1326هـ ، ص25.

3- مونتران، مرجع سابق،ص65.

4 - *H*ammer, op. Cit., p,308.

5- محمود فريد بك المحامي، **تاريخ الدّولة العليّة العثمانيّة**، ط 1، دار النّفائس، بيروت، 1401 هـ، ص21.

6- أوزوتونا،**تاريخ الدولة العثمانية**،مرجع سابق، ص 105.

7- مونتران، ص70.

8 - *H*ammer, op. Cit. , p 310

9- فؤاد متولّي، **تاريخ الدولة العثمانية** ، مرجع سابق، ص71.

وفي ربيع 1398م استولى على سواحل البحر الأسود ووصل حتّى مدينة هارشيت، حيث إمارة طرابزون الرّوميّة البيزنطيّة، وفي جوان من نفس السّنة، قَتل القاضي برهان الدّين، وضمّ بذلك جميع ممتلكاته للدّولة العثمانيّة برئاسة وليّ عهده شهزاده سليمان[1].

وبهذا الشّكل لم يبق للبيزنطيّين في الأناضول سوى طرابزون، وللبنادقة سوى أمسوس (قرة سمسون)،وامتدّ السلطان بايزيد في توسّعاته حتّى شرق الفرات مستوليا على قليقيليا من المماليك. لهذا يعتبر بايزيد أوّل سلطان عثمانيّ تمكّن من توحيد الأناضول تحت سلطته إمّا بالإلحاق أو الضّمّ النّهائيّ أو عن طريق التّحالفات[2].

عُرف عن العثمانيّين احترامهم للأسس الإقطاعيّة، فبعد خضوع الحكّام المتمرّدين لهم، كانوا يفرضون عليهم جزية سنويّة، وإرسال الحاكم لابنه كرهينة، أو يأتي العاهل بنفسه مرّة كلّ سنة للبلاط العثمانيّ لتأكيد ولائه، كما كان عليه تقديم فرق عسكريّة للمشاركة في الحملات الّتي يقودها السّلطان، وكان عليه أن يعادي من عادى السّلطان ويصادق من صادقه، مقابل احتفاظه بأراضيه وأيّ إخلال بهذه الشّروط يجعل إمارته تعتبر دار حرب، وبالتّالي عليه تحمّل عواقب تصرّفاته[3]. وبهذا الشّكل تمكّن السّلطان بايزيد من إخضاع ملوك الطّوائف في الأناضول وفرض سيطرته المباشرة على المنطقة محقّقا بذلك وحدة الأناضول، كما استولى على الكثير من بلاد النّصارى في البلقان[4]. لكن وبالرّغم ممّا حقّقه السّلطان بايزيد ميدانيّاً من انجازات، إلاّ أنّ هذه التّدخّلات العسكريّة الّتي قام بها ضدّ الإمارات التّركمانيّة ولّدت الانشقاقات، خاصّة وأنّه استعان في انجازاته تلك بفرق عسكريّة مسيحيّة، وهذا ما سيؤدّي إلى نهاية مفاجئة وحزينة لحكم السّلطان بايزيد مع مطلع القرن 15م[5].

[1]- أوزوتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، مرجع سابق، ص106.

[2] - Show *Standford*, op.cit., p 17.

[3]- إينالجيك، مرجع سابق، ص 23.

3- البكري الصّديقي، مصدر سابق، غ.م.

[5]- عبد الرّحيم مصطفى،مرجع سابق، ص52.

المبحث الرّابع: السّلطة والمجتمع

مرّ تطوّر مؤسّسات الدّولة العثمانيّة خلال القرنين الأوّلين من عمر الدّولة العثمانيّة بثلاث مراحل: مرحلة أمراء الثّغور، ثمّ مرحلة سلطان الرّوم، ثمّ مرحلة باد شاه الإسلام. وما يهمّنا من هذه المراحل المرحلة الثّانية، حيث توسّعت الدّولة العثمانيّة، ولم تعد مجرّد إمارة، بل أصبحت دولة إسلاميّة من الطّراز التّقليديّ[1]، واستمدّت معظم تنظيماتها الإداريّة والعسكريّة وحتّى القضائيّة من الحضارة العربيّة الإسلاميّة (العبّاسيّين والسّلاجقة)، هذه التّنظيمات لا يمكن فصلها عن بعضها البعض نظرا لتداخلها فيما بينها، وعليه لا يمكن دراسة أيّ مجال دون التّعرض للمجالات الأخرى[2]. ارتكزت نشاطات الدّولة الرّئيسيّة حول ثلاثة مجالات رئيسيّة (السّياسيّة والقضائيّة والماليّة). فكانت سلطة الدّولة للسّلطان والوزراء يعملون على المحافظة على سلطة الدّولة، وقاضيا عسكر (الأناضول والروملي) يتولّيان مهمّة القضاء والدّفترداريّة يتولّون مهمّة الماليّة، إلى جانب النّاشنجي الّذي يتولّى مهمّة تدقيق الأوامر السّلطانيّة مع تنظيمات الدّولة[3].

1- السّلطان:

كان على هرم السّلطة وكان عليه إدارة شؤون الدّولة وما يتفرّع عنها من مهامّ ومسؤوليّات، كما كان يتمتّع بصلاحيّات واسعة، لكنّه في آن واحد كان مقيّدا بضوابط وقيود لا يمكنه تجاوزها، يشاركه في ذلك جميع أفراد الأسرة، الّذين كانوا يعتبرون الحكم سلطة سماويّة وراثيّة [4]. وحسب المصادر التّاريخيّة لم يكن للسّلطان بايزيد الحقّ في السّلطة بحيث كان أخوه يعقوب أولى منه، وحتّى يتجنّب منازعته له قام بقتله. وبهذا يعتبر أوّل من قام بقتل أخيه من السّلاطين العثمانيّين، وهذا ما سيُثبَّتُ كقانون، على عهد السّلطان محمّد الفاتح تجنّبا لوقوع الفتنة، وكان العلماء يؤيّدون ذلك، استنادا إلى نصّ شرعيّ {والفتنة أشدّ من القتل}[5].

وقد لُقّب السّلطان بايزيد الأوّل بعد عام 1396م بسلطان الرّوم، تمييزا له عن سلاطين مصر وبلاد فارس والهند، وكانت مساحة سلطته، تشمل بلاد الرّوم، والمقصود بها الأناضول الرّوملي[6].

1- لويس، مرجع سابق، ص60.

2- عبد الصّمد بحري، مرجع سابق، ص70.

3- إينالجيك ، مرجع سابق،ص150.

4- لويس ،ص84.

5- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 191.

6- لويس، ص66.

2 – الدّيوان (الحكومة)

بعد توسّع الدّولة العثمانيّة وتشعّب مهامّ السّلطان، اِستُحدِث جهاز الدّيوان الّذي كانت تناقش فيه الشّؤون العسكريّة والإداريّة للدّولة[1]. وكان يضمّ كبار موظّفي الدّولة ومنهم آغا الجيش، وبايلرباي الرّوملي وبايلرباي الأناضول وقاضي عسكر الأناضول وقاضي عسكر الرّوملي، والدّفتدردار الكبير (مسؤول عن الشّؤون الماليّة)[2] يرأسهم بطبيعة الحال السّلطان نفسه[3]. ومن أهمّ أعضاء الدّيوان:

أ– الوزير الأعظم

نتيجة لتعقّد مهامّ الدّولة وضخامة المسؤوليّات الّتي كان يتحمّلها السّلاطين كان عليهم، الاستعانة بالوزير الأعظم[4]، الّذي أصبح يمثّل أحد أهمّ ركائز السّلطة، ويحظى بمكانة كبيرة وصلاحيّات واسعة منحها إيّاه السّلطان نفسه[5]. بل وكان له تفويض منه في تدبير أمور الدّولة، وعليه أن يطالع السّلطان عن كلّ شؤون شؤون إدارة الدّولة[6]. تعود نشأة هذا المنصب إلى بداية قيام الدّولة العثمانيّة، حيث كان يتولّاه أحد أبناء العائلات التّركيّة الّتي أسهمت في قيام الدّولة، وأحيانا كان يختار من طبقة الأشراف المسلمين، ومن كبار العلماء وخاصّة علماء الحنفيّة، هذا ما سمح له بأداء أدوار أساسيّة في رسم سياسات السّلطة وإدارة شؤونها[7].

شؤونها[7].

وبعد تولّيه الحكم احتفظ السّلطان بايزيد بوزير والده علي باشا من عائلة جندرلي [8]، الّذي كان قد قد منحه خاتم توقيعه[9]. وقد أدّى هذا الأخير دورا كبيرا في بناء الإدارة المركزيّة، بعد أن أنشأ منصب قاضي عسكر ومنصب شيخ الإسلام، وبجمعه بين رئاسة الإدارة وقيادة الجيش يمكن اعتباره أوّل صدر أعظم عرفته

---

1 - Show *Standford*, op. Cit., p p10, 11.

2 –لويس،مرجع سابق، ص124.

3 – نفسه، ص49.

4 - Show *Standford*, op. Cit., p 09.

5 -Grassi. *M*, op. Cit., p271.

6 – أورهان صادق جانبولات، **قوانين الدّولة العثمانيّة وصلتها بالمذهب الحنفيّ**، ط01، 1433هـ/1012م، المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، الإسلاميّ، هرندن، فرجينيا و. م. أ، مكتبة التّوزيع في العالم العربيّ، بيروت، لبنان ص94.

7 – حسن الضّيقة، مرجع سابق، ص87.

8 – منجم باشي،المصدر السابق، ص76.

9 – هاملتون جب، **ال**مرجع السابق، ص161.

الدّولة العثمانيّة، لكنّه لم يحمل هذا اللّقب لأنّه لم يعد رسميّا حتّى عهد السّلطان محمّد الفاتح[1]. لم يكن له مقرّ رسميّ بل كان يستأجر منزلا كبيرا قرب القصر السّلطانيّ، كان يعرف بـ"باشي قابوسي" أي باب الباشا[2]، الباشا[2]، كما كان له دور كبير في تكوين الجيش الإنكشاريّ والخزينة وفي تنظيم دفاتر الدّولة.

ب- المفتي الأعظم (شيخ[3] الإسلام)

كانت مهمّة الإفتاء عند ظهور الدّولة العثمانيّة موكّلة للعلماء المشهورين[4] في الأناضول وبلاد العرب[5]، العرب[5]، إلى أن استحدثت الدّولة منصب المفتي الأكبر، ويتّفق معظم المؤرّخين على أنّ شمس الدّين فناريّ[6] فناريّ[6] (1351م-1451م) قاضي بورصة آنذاك هو أوّل من حمل لقب المفتي الأكبر[7]، أو كما أصبح يعرف فيما بعد بشيخ الإسلام، وعُرف عن هذا الأخير طريقة حياته الشّبيهة بحياة الدّراويش لأنّه نشأ في بيئة صوفيّة ولم يخضع للسّلطة، لهذا عزله السّلطان بايزيد من منصبه، كما أقدم هذا الأخير في وقت لاحق على قتل العالم العارف لطف الله التّوقاتيّ[8].

ونظرا لرفض العلماء الخضوع للسّلطة، سعت هاته الأخيرة إلى استيعاب وتقنين الإفتاء لصالحها، وهذا ما قاومه العلماء رغم ما يوفّره مركز من امتيازات، لهذا لم تتمكّن السّلطة من إنشاء مركزها الإفتائيّ إلاّ عن طريق إحداث تغيير في طبيعة علاقتها بالعلماء. ولم يتسنّ لها ذلك إلّا بعد إخضاعهم لإرادتها ولو على

1- مونتران، المرجع السابق،ص 60 .

2- لويس، مرجع سابق،ص 124.

3- **شيخ**: كلمة تعني في الأساس سيّد القوم أو شيخ القبيلة، ثمّ أطلقت على مشايخ الطّرق الصّوفيّة والأساتذة وزعماء العائلات، أمّا العلماء فكانت تطلق عليهم ألقاب أخرى كحجّة الإسلام وركن الإسلام وشمس الإسلام... رغم هذا حمل الكثير من العلماء لقب شيخ الإسلام خاصّة الّذين عرفوا بإصدار الفتاوى المهمّة.انظر: إسماعيل ياغي مرجع سابق، ص 24 .

4- **الشّهرة**: هي بلوغ العالم مكانة علميّة داخل مؤسّسات العلم المنتشرة في الحواضر الإسلاميّة، ومكانة اجتماعيّة وسياسيّة اكتسبها العالم من خلال جملة من المهامّ الّتي يقوم بها داخل أجهزة الدّولة، وبذلك يمثّل الضّمير الدّينيّ للمجتمع. انظر: الضّيقة، مرجع سابق،ص116.

5- نفسه، ص116.

6- **شمس الدّين فناريّ**: هو العالم العامل مولانا شمس الدّين، محمّد بن حمزة الفناريّ،كان عالما عارفا بالعلوم العربية، وُلد في شهر صفر عام 751هـ، رحل إلى مصر لطلب العلم، وعند عودته وُلي قضاء بورصة. كان يحظى بمكانة خاصّة عند السّلطان بايزيد يلدرم إذ كان بمنزلة الوزير عنده، له مصنّف في أصول الفقه سماه "فصول البدائع في أصول الشّرائع" توفيّ في عام 884هـ.انظر: طاشكبري زاده، **الشّقائق النّعمانيّة في علماء الدّولة العثمانيّة**، غ.م.

7- أكرم كيدو، **شيخ الإسلام**، ترجمة هاشم الأيّوبيّ، ط1 منشورات جروس برس، طرابلس ،لبنان، 1992م. ص ص 116- 119.

8- الضّيقة، ص116.

حساب المكانة الجليلة الّتي كان يتمتّع بها العلماء، الّذين رضخوا في نهاية المطاف – على ما يبدو – للأمر الواقع [1].

ومنه نستنتج أنّ الدّولة كانت حريصة على استيعاب مرجعيّة الإفتاء، رغم أنّها كانت لا تزال تمتلك مرتكزاتها الشّرعيّة الثّابتة على الأقلّ في نظر القوى الاجتماعيّة المختلفة[2].

كان المفتي الأعظم يترأّس الهيئة الإسلاميّة في الدّولة، فكان يُشرف على التّشريع والمحاكم والمدارس الملحقة بالمساجد وممتلكات الأوقاف، والقضاة الشّرعيّين وقضاة العسكر[3]، وإصدار الفتاوى خاصّة أثناء الحروب ضدّ النّصارى[4]. وكان يشرف على عدد كبير من القضاة والمفتّشين، كما كان يشرف على إدارة المساجد والجوامع والقائمين على شؤونها من أئمّة ومدرّسين[5].

وكان يتولّى هذه المهمّة في البداية، قاضي عسكر من الأناضول أو الرّوملي، الّذي كان يرافق الجيش في حروبه، وحول ظهور مشيخة الإسلام في الدّولة العثمانيّة ونشأتها هناك تضارب بين المؤرّخين حولها، إذ يرجعها البعض إلى ما بعد فتح القسطنطينيّة، وآخرون يرجعونها إلى ما قبل ذلك، ومنهم من يذهب إلى أنّ الشّيخ إدبالي (Edbali) الّذي كان أحد أهمّ العلماء الكبار في عصره، هو أوّل من كُلّف بهذه المهمّة من قبل عثمان غازي .

ج– النّيشانجي

هو رئيس الكُتّاب ، ، وكانت مهمّته الأساسيّة هي ختم الأوراق الرّسميّة ب**طغراء**[6] السّلطان، الّتي كانت تُرسم فوق الرّسائل والمراسيم، وكان هذا الموظّف يقوم بختم هذه الأوراق في نهايتها، كما كان يصادق على الصّفة القانونيّة للوثائق قبل ختمها[7]،ونظرا لمكانة هذا الأخير أصبح على قدم المساواة مع المفتي الأعظم

1- نفسه، ص ص 119 -121.

2- الضيقة ، مرجع سابق، ص ص 116 -124.

3- إسماعيل ياغي، مرجع سابق، ص 23.

4 -*G*rassi. *M*, op.cit., p276.

5- لويس، مرجع سابق،ص 180.

6- **الطّغراء**: هي شارة الحكم العثمانيّ، نجدها في أعلى المراسيم السّلطانية والفرمانات وعلى النّقود، وترفق بتوقيع السّلطان أسفل الوثيقة وهو أسلوب إداريّ ورثه العثمانيّون عن السّلاجقة.انظر: هاملتون جب، مرجع سابق، ص ص 168- 177.

7- لويس، ،ص ص 122- 123.

الأعظم ومن هنا اعتبر "مفتيا للقوانين"[1]،وكان يختار من العلماء كما كان عضوًا دائمًا في الدّيوان السّلطانيّ[2]، و يشرف على رواتب وتعيينات الّذين يتولّون الدّفاع عن البلاد

3- القضاء

بما أنّه كان على الرّعيّة في الدّولة العثمانيّة واجبات تُجاهَها، كان على الدّولة بدورها واجبات تُجاه رعاياها، من أهمّها تحقيق العدل بينهم، هذا ما أولته الدّولة أهمّيّة كبيرة منذ نشأتها[3]، وكان القضاء يعتبر حلقة حلقة وصل بين الرّعيّة والسّلطة وعنده تُنظّم جميع العلاقات الاجتماعيّة بين النّاس أو ما يُعرف بالمعاملات[4]. بالمعاملات[4]. وربّما من أسباب صمود الدّولة العثمانيّة لأكثر من ستّة قرون وعدم انهيارها، على غرار دولة السّلاجقة وإمبراطوريّتي جينكزخان وتيمورلنك، هو حرص حكّامها على تطبيق القوانين، والّذي استمرّ جيلا بعد جيل عادة تقليديّة وأمانة قدسيّة في أعناقهم[5].

كانت هذه القوانين تستند في تشريعاتها إلى القرآن والسّنّة، وبذلك كانت صورة من السّياسة الشّرعيّة وضعت لبناء التّشريع الفقهيّ الإسلاميّ "ما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب"[6] لكن ونظرا للتّطوّرات الّتي طرأت على حياة المسلمين ودخول شعوب غير إسلاميّة تحت سلطة الدّولة العثمانيّة، كان لا بدّ من اعتماد تشريع جديد يكون مصدره القرآن والسّنّة ويأخذ في الحسبان مستجدّات العصر، مع الإقرار منذ البداية بالقدرة على التّطوّر[7]، دون الاستغناء عن الجرائد القانونيّة الّتي وجدُوها عند الدّول المحاذية لهم كالإخانيين والمماليك. وبهذا يمكننا القول أنّ الشّرع كان مصدر القضاء بالإضافة إلى الكتب الفقهية [8].

لهذا لم تصدر قوانين الدّولة العثمانيّة دفعة واحدة وإنّما على نحو تدريجيّ حسب الحاجة واقتضاء للمصلحة، وكانت في معظمها تصدر على شكل فرمانات[9] سلطانيّة تتضمّن دائما جملة تفيد أنّها تتناسب

[1]- هاملتون جب، ،ص 178.

[2]- إينالجيك، مرجع سابق،ص ص 160- 161.

[3]- *I*lkay *S*unar, op. Cit., p555.

[4]- وجيه كوثراني، مرجع سابق، ص 55.

[5]- أورهان صادق جانبولات،مرجع سابق، ص 26.

[6]- نفسه، ص50.

[7]- بروكلمان،مرجع سابق، ص 411.

[8]- وجيه كوثراني ، ص51.

[9]- **الفرمانات**: هي أوامر سلطانيّة مكتوبة لتنفيذ أحكام شؤون مختلفة، ما يوازي عندنا اليوم مرسوما رئاسيّا.

مع الشّريعة والقوانين الصّادرة من قبل[1]، وكانت هذه القوانين تنظّم شؤون العسكر والأسرى والغنائم، وبهذا لم تعرف فترة حكم السّلطان بايزيد تدوينا حقيقيّا لمجموعات قانونيّة[2] كتلك الّتي ظهرت على عهد الفاتح الّذي جمعها في قانون نامة[3]، وهذا لانشغال السّلطان بايزيد بالجهاد وإعادة سلطة الدّولة على الإمارات المتمرّدة[4].

رغم هذا تمكّن العثمانيّون من إخراج مختلف الأحكام الشّرعيّة من كتب الفقه والسّياسة الشّرعيّة، ودوّنوها في مجموعات قانونيّة تحت عنوان **"قانون نامة"**[5] أو **"عدالت نامة"**[6] أو**"سياسة نامة"**[7]، وهذا لسدّ حاجات القضاة وتسهيل عملهم. وكان القضاة بحاجة إلى من يساعدهم في تنفيذ أحكامهم، فكانوا يستعينون بموظّف اسمه صوباشي باشا، الّذي كان يساعد القاضي في تنفيذ الأحكام، وهو الآخر كان يمتلك تيمارا، كما كان له مساعد آخر في المدن يسمّى المحتسب أو" احتساب أغاسي"[8].

وكانت الدّولة العثمانيّة مقسّمة قضائيّا إلى أقضية، وكان القاضي يبعث بممثّلين عنه إلى مختلف المناطق[9]، وللقاضي سلطات واسعة في إقليمه، بحيث لا يمكن للبك تنفيذ أيّ قرار إلّا بموافقة القاضي، الّذي الّذي كان على اتّصال مباشر بالسّلطان[10]. كما كان هناك صنفان من القضاة، الصّنف الأول مهمّته النّظر في القضايا الخاصّة بالعسكر (قاضي عسكر) يوجد منهما نوعان، الأوّل يتولّى مهامّه في الأناضول والثّاني في الرّوملّيّ، أمّا الصنف الثاني فهو مدنيّ يحكم بين الرّعيّة.

لم تتدخّل الدّولة العثمانيّة في أعراف ولا قوانين الشّعوب الخاضعة لها، وسمحت لهم بتطبيق قوانينهم إذا لم تتعارض مع الإطار العامّ لقوانين الدّولة العثمانيّة، وكان لهذا التّصرّف دور كبير في إقرار العدل داخل

1- إينالجيك، المرجع السابق،ص 112.

2- جانبولات، المرجع السابق،ص55.

3- جانبولات، المرجع السابق ، ص 121.

4- نفسه، ص 55.

5- **قانون نامة**: هي مجموعة القوانين الّتي أصدرها السّلاطين العثمانيّون.انظر:جانبولات،ص80.

6- **عدالت نامة**: هي نظم قانونيّة يضعها الحاكم لتحقيق الحقّ، عندما يسيء الموظّفون استعمال سلطتهم، ويتصرّفون بشكل مخالف للقانون.

7- **سياسة نامة**: هي مجموعة قوانين تبعث بها الحكومة المركزيّة إلى الحكام والإداريّين لتذكيرهم في حالة حدوث تقصير أو تراخٍ منهم في تطبيق القوانين.

8- للمزيد انظر: هاملتون جب،مرجع سابق، ص ص 218- 219.

9- إينالجيك، المرجع السابق ،ص187.

10- نفسه، ص165.

الدّولة[1]. فقد كان لرعايا الدّولة في البلقان، محاكم خاصّة وكلّ ملّة كانت تستند إلى قضائها الخاصّ، أمّا إذا رفض المتخاصمون اللّجوء إليها فيحقّ لهم التّوجّه إلى محاكم الدّولة العثمانيّة[2].

ويُشاع عن السّلطان يلدرم أنّه في بداية عهده انشغل باللّهو والمجون وساعده على ذلك وزيره علي باشا، لهذا انتشرت الرّشوة والفساد بشكل كبير خاصّة في ميداني الجيش والقضاء فانتشر الظّلم، لكن بعد توبته (798هـ/1396م) عزم على تطهير القضاء من الفساد وتقنينه، ، فقد سلّط عقوبات صارمة على كلّ من يثبت في حقّه من القضاة أدنى الأخطاء[3].

4– المجال العسكريّ

وُجدت الدّولة العثمانيّة منذ نشأتها في ظروف قاسية وصعبة، فقد عُرفت فترة النّصف الثّاني من القرن 14م بالوحشيّة، حيث انعدم فيها الأمن والاستقرار وعمّ الخوف من الأعداء ومن الأصدقاء على حدّ سواء، فقد وجدت بين فكّي كمّاشة البيزنطيّين من الغرب والمغول من الشّرق، إضافة إلى تهديدات الإمارات التّركمانيّة المجاورة. فالصّراع إذًا كان على البقاء (كن أو لا تكن)، لهذا كان على الدّولة العثمانيّة الاهتمام بالجيش، باعتباره الدّعامة الأساسيّة لبقائها[4]. وعليه يلاحظ الدّارس لتاريخ الدّولة العثمانيّة في هذه المرحلة طغيان الطّابع العسكريّ عليها [5]. ومن أهمّ تشكيلات الجيوش العثمانيّة:

أ– طائفة المسلّمين[6]: كانت هي من أولى تشكيلات الجيش العثمانيّ، الّتي كانت تتشكّل أصلا من البدو ومن التّركمان وكانوا في الجيش كخيّالة دون مرتّب لكن مقابل امتيازات، وبهذا كان وضعهم يشبه إلى حدّ كبير وضع السّباهيّة[7].

ب– اليايا والبيادة: كانت تشكّل جيش المشاة غير النّظاميّ[8] منذ عهد السّلطان أورخان وحتّى

---

1 – لويس،مرجع سابق، 177.

2 – عبد الصّمد بحري، مرجع سابق، ص74.

3 - *H*ammer, op .Cit. , p 319.

4 – الضيقة ، مرجع سابق،ص ص 44-46.

5– ايفانوف ، مرجع سابق،ص24.

6– معناها معفى من الضّرائب.

7– هاملتون جب، مرجع سابق،ص 78.

8– شوجر، مرجع سابق،ص55.

السّلطان مراد، تتألّف من فتيان مسيحيّين اعتنقوا الإسلام وكان تجنيدهم يقتصر على الأناضول[1].

بالإضافة إلى أنّه كان يتمّ تجنيد الذّمّيّين الّذين كانوا يقومون ببعض المهامّ العسكريّة مقابل امتيازات، وكانت لهم نفس حقوق المسلمين وكانوُا يعرفون بأسماء المناطق الّتي جاؤوا منها [2].

بالإضافة إلى هاتين التّشكيلتين كان هناك نوعان آخران اقتصرا على الرّوملي وهما "وينوق" وتتشكّل من البلغار كانت مهمّتها الاعتناء بخيول الدّولة، و"الطّوغانجية" أو القنّاصة الّذين كانوا بدورهم من البلغار وكانت مهمّتهم تربية الخيول الّتي يستخدمها السّلطان و أعضاء بلاطه[3].

ج- السّباهيّة: أمّا الفرسان في الجيش العثمانيّ فكانوا يتشكّلون من السّباهيّة[4] أي الخيّالة الإقطاعيّين من ملّاك التّيمارات كانوا يمثّلون أكبر القوّات في الجيش العثمانيّ[5]، وكان عليهم تزويد الجيش بما يحتاجه من فرسان، كلّ واحد منهم كان عليه تسليح فارس تسليحا كاملا ثمّ فارس عن كلّ ثلاثة آلاف أوقجة من قيمة مدخول تيماره، وبهذا الشّكل أقصى ما كان يمكنه تسليحه هو خمسة فرسان، أمّا الزّعيم فكان عليه تجهيز وتسليح فارس عن كلّ خمسة آلاف أوقجة من قيمة مدخول تيماره، وعليه كان عدد أتباعه يصل إلى 18 فارس[6]، وكلّما كان عدد الفرسان الّذين يتمّ تجهيزهم كبيرًا كانت امتيازاته أكبر.

وأثناء الحروب كانوا يخضعون لسلطة حكّام السّناجق التّابعين لها، وبدورهم يخضعون لبكوات الإيّالات الّذين كانوا بدورهم يمتلكون زعامات. وكان على السّباهيّ الخروج إلى الحرب متى دُعي إلى ذلك، وهذا نظير ما يتمتّع به من امتيازات، ولو أنّ الدّولة سمحت لبعضهم بالخدمة مناوبة وكان هذا يسمّى بـ"نوبت". وبهذا الشّكل كان بإمكان الدّولة أثناء الحروب توفير مائتي ألف فارس معظمهم من الأناضول[7].

---

[1]-إيرينا بيتروسيان، **الانكشاريون في الإمبراطورية العثمانية العثمانية،** معهد الدّراسات الشرقية العلمي الروسي، فرع سان بطرس برغ، تقديم ومراجعة،قسم الدراسات والنشر بالمركز، مركز جمعة الماجدة للثقافة والتراث العربي دبي2006م، ص27.

[2]- شوجر،المرجع السابق، ص55.

[3]- هاملتون جب، المرجع السابق،ص 78.

[4]- كانوا يحملون راية حمراء وهو لون الدّم الّذي اتّخذه العثمانيّون رمزا لدولتهم، تميزا لهم عن الأمويّين الّذين كانت لهم راية بيضاء، والعبّاسيّين الّذين الّذين كانوا يحملون راية سوداء، والفاطميّين كانوا يحملون راية خضراء .للمزيد انظر:*T*heophille *L*avalleé, op. cit., p144:

[5]- كوبرلي، مرجع سابق، ص189.

[6]- وجيه كوثرانيّ، **السّلطة والمجتمع والعمل السّياسيّ من تاريخ الولاية العثمانيّة في بلاد الشّام،** ط01، بيروت، أكتوبر 1988م، ص 53. .53

[7]- للمزيد انظر: هاملتون جب، ص ص73 -76 -74.

وكانت الدّولة تعفي واحدا بين 10 من السّباهيّة من الخروج للقتال أثناء الحروب وهذا خوفا من اندلاع التّمرّدات والثّورات الدّاخليّة. وينقسم السّباهيّة إلى نوعين: **سلحتارو**[1] (القبّعات الصّفراء) وكلارو (القبّعات الحمراء) ويكونون في خدمة السّباهيّة[2]. وعند اندلاع الحروب كان السّباهيّة يجتمعون بزعامة السّوباشي تحت راية السّنجق، أمّا بكوات السّناجق فكانوا يجتمعون تحت راية بك البكوات، وأثناء المعارك كانوا يشكّلون فرق الخيّالة ويشغلون أحد الأجنحة على شكل هلال[3].

وبالرّغم من أنّ هذا النّظام قدّم خدمات جليلة للدّولة، لأنّه يوفّر أسباب العيش لفئات مختلفة من الجند وهذا بدل النّفقة عليهم[4]، إلّا أنّ هؤلاء الفرسان لم يكونوا يتلقّون تدريبا منتظما، وأصبحوا فيما بعد أصحاب نفوذ يصعب التّحكّم فيهم[5].

د- الجيش الإنكشاريّ

فكّر السّلاطين العثمانيّون الأوائل في استحداث نخبة عسكريّة لا جذور لها ولا أصول، يكون ولاؤها الوحيد والمطلق للسّلطان وحمايته. لهذا أنشأ السّلطان مراد الأوّل نظام الإنكشاريّة، الّذي كان يقضي في البداية بتجنيد أسرى الحرب على أساس نظام خُمس الغنائم، وبهذا تمّ تحويل أسرى الحروب إلى مؤسّسة عسكريّة وسيّاسيّة مركزيّة داخل السّلطة[6]. واعتبرت الإنكشاريّة عند استحداثها قوّة عسكريّة وسياسيّة لا تدين بالولاء إلاّ للسّلطة، محورها السّلطان نفسه[7]، يُعتبر أفرادها وما يمتلكون ملكا له وتحت تصرّفه، سُمُّوا **(قبو قولرو)** [8].

[8].

---

[1]- **سلحتار:** أُنشئ هذا المنصب على عهد السّلطان بايزيد الأوّل، والكلمة مقسّمة إلى جزئين: سلاح وهي كلمة عربيّة، ودار وهي كلمة فارسيّة معناها ماسك، وبالتّالي يقصد بالسلحدار ماسك السّلاح، ويدعى كبيرهم بسلحدار آغا. انظر: مصطفى بركات، **الألقاب العثمانيّة والوظائف العثمانيّة**، دار الغريب للطّباعة والنّشر، القاهرة، ص 386؛ سهيل صابات، **المعجم الموسوعيّ للمصطلحات العثمانيّة التّاريخيّة**، مكتبة فهد الوطنيّة، الرّياض، 1421هـ/2000م، ص 134.

[2] - Grassi .*M*, op,cit. ,p 94.

[3]- إينالجيك ،مرجع سابق، ص180.

[4]- هاملتون جب،المرجع السابق ص67.

[5]- محمّد شاكر، **التّاريخ الإسلاميّ**، ج8 (التّاريخ العثمانيّ) ط4، 1421هـ/2000، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ص96.

[6]- الضيقة، مرجع سابق،ص 92.

[7]- نفسه، ص97.

[8]- **قابو**: بالتّركيّة معناها الباب و**قول**: معناها العبد، إذاً ف**قابو قولارو** معناها عبيد الباب والمقصود بالباب البلاط الملكيّ، لأنّه كان من عادة السّلاطين العثمانيّين جلوسهم في البوّابة الكبرى للقصر لإقامة العدل، وأطلق هذا المصطلح على قوّات الإنكشاريّة الّتي تتقاضى أجورا مقابل الخدمات الّتي تقدّمها تمييزا لها عن السّباهيّة. انظر: هاملتون جب، ص 46.

وعلى هذا الأساس بدأت تظهر منذ أواخر القرن 14م أولى تشكيلات الإنكشاريّة الّتي عرفت تطوّرا كبيرا على عهد السّلطان بايزيد الأوّل[1]، الّذي حاول التّخلّص من تبعيّته العسكريّة للجيش العثمانيّ القديم وتطوير نظام الإنكشاريّة بحيث يكون أفرادها كحرّاس شخصيّين له، وكجنود وكموظّفين سامين في الدّولة وأحيانا كحكّام على الإمارات التّركيّة في الأناضول بعد إخضاعها[2]، ولو أنّ هذه المؤسّسة لم يكن لها أدوار عسكريّة أو سياسيّة كبرى، واقتصر دورها على المجال العسكريّ الّذي كان محدودًا جدّا[3]. وكان هذا التّجنيد مقتصرا على الأسرى المسيحيّين دون غيرهم، بحيث لم يستطع أيّ مسلم حرّ الولادة الالتحاق بهذه المؤسّسة، وحتّى أبناء رجالات الدّولة لم يكن مسموحا لهم الانضمامُ إليها[4].

عُرفت هذه المؤسّسة بقوانينها الصّارمة والثّابتة الّتي تتمثّل في الطّاعة المطلقة للسّلطان، وعُرف عن أفرادها بساطة العيش والعزوبيّة وعدم ممارسة أيّة مهنة خارج الجنديّة، كما كانوا يخضعون لقضاء خاصّ يتولاّه (قاضي عسكر)، بالمقابل كانوا يحظون بعدّة امتيازات، على رأسها الإعفاء من دفع الضّرائب[5]. ومن هذا التّنظيم تخرّج كبار رجالات الدّولة العثمانيّة العسكريّين والسّياسيّين[6]. ولإيجاد مصدر دائم لتجنيد الإنكشاريّة استحدثت الدّولة نظام الدّفشيرمة.

هـ – ضريبة الدّفشيرمة[7]

لم يعد نظام البيلجي (خُمس الأسرى) يلبي حاجيات الجيش، لهذا لجأت الدّولة العثمانيّة إلى فرض ضريبة تعرف بالدّيفشرمة على رعايا الدّولة العثمانيّة من المسيحيّين الأرثوذكس، الّتي كانت فترة استخدامها في تكوين الجيش الإنكشاريّ لا تزال غير محددة، وأوّل إشارة لذلك تعود إلى عام 1395م، لهذا فالتّجنيد

---

[1]- *M*antrant *R*obert, ***l'Empire ottoman: "une conception pragmatique du pouvoir***", compte rendus ***des séances de l'académie des inscriptions et belle lettres***, lanne1993, volume 137, №03, p 759.

[2] - *S*haw *S*tandford, op.cit., p 30.

[3]- الضّيقة، المرجع السابق، ص 90.

[4]- لويس،مرجع سابق، ص 89.

[5]- الضّيقة، مرجع سابق ص 92.

[6] – *H*ammer ,op. Cit., p 319.

[7]- **دفشرمة**: كلمة فارسيّة، معناها الإسقاط أو السّقوط، وتطلق على المواليد الجدد الّذين تجهض بهم أمّهاتهم، فيخرجون أمواتا، وعلى الّذين تلدهم أمّهاتهم سرّا ثمّ يوضعون على الطّرقات أو أبواب المساجد، ثمّ أطلقت على كلّ طفل لقيط أو متشرّد، وهي مأخوذة من الفعل دفشرمك في التّركيّة ومعناه تسجيل الأسماء. انظر: فائقة محمّد حمزة عبد الصّمد بحري، مرجع سابق، ص17؛ شوجر،مرجع سابق، ص73.

بنظام الدّيفشيرمة ظهر بعد ظهور نظام قبوقولرو(1). وبناء على ذلك يمكن اعتبار السّلطان بايزيد الأوّل هو أوّل من أدخل نظام الدّيفشرمة إلى وظيفتي الإدارة والحرب في الدّولة العثمانيّة (2).

كانت العمليّة تَمَسُّ الغلمان الأرثوذكس الّذين تتراوح أعمارهم بين7 سنوات و10 سنوات(3)، يجمعون مرّة كلّ 03 سنوات أو 04 سنوات(4)، حسب الحاجة. ثمّ تتولّى تنظيمات الصّوفيّة تربية وتربية هؤلاء الصّبية

تربية إسلاميّة(5)، ونخصّ بالذّكر الطّريقة **البكتاشيّة**(6)، ثمّ يمنحون لعائلات عثمانيّة في الأناضول لتركيهم وتعليمهم، ثمّ كانوا يُوجهّون حسب مؤهّلاتهم، فمنهم من يلتحق بالفرق العسكريّة حيث يتلقّون تعليما وتدريبا شديد الصّرامة ويشكّلون فيما بعد فرق الإنكشاريّة(7)، ومنهم من كان يوجّه إلى وظائف إداريّة. أمّا النّخبة منهم فكانت تتلقّى تعليما عاليًا في مدارس القصر في أدرنة، وعند تخرّجهم يمنحون وظائف إداريّة وعسكريّة عالية(8).

كانت هذه العمليّة تتمّ في البداية في الرّوملّي وبعض أرجاء الأناضول، ولم تصل العمليّة إلى الأناضول إلّا في وقت متأخّر، وكان على الملتحق بالجيش الإنكشاريّ من المسيحيّين أن يقطع صلته ببيئته وثقافته، وينضمّ إلى ثقافة جديدة كانت أجنبيّة بالنّسبة إليه. ولم يكن الهدف من هذه الممارسة غسل أدمغة هؤلاء الفتية المسيحيّين بقدر ما كان تربيتهم وتكوينهم كخدم وكعبيد للسّلطان (9)، ولم تكن لهم لا عاطفة أبويّة ولا وطنيّة، وطنيّة، وكان ولاؤهم المطلق للسّلطان(10).

1- هاملتون جب،المرجع السابق، ص87.

2- شوجر، مرجع سابق، ص 74.

3- الضّيقة ،ص92.

4- إينالجيك، مرجع سابق،ص124.

5- بروكلمان،مرجع سابق، ص87.

6- **الطّريقة البكتاشيّة**: هي أهمّ وأكبر طريقة صوفيّة في الدّولة العثمانيّة، تُنسب إلى مؤسّسها الحاجّ بكتاش، أحد تلامذة بابا إسحاق الّذي قام بثورة عام 1241م، وأصبحت فيما بعد طريقة الإنكشاريّة، ظهر ،دراويشها في المناطق الحدوديّة العثمانيّة مع البلقان، وكان لها دور كبير في نشر الإسلام في البلقان، عُرفت بتسامحها، ولم تلحّ على بعض الشّعائر الإسلاميّة، كالصّلاة والصّوم، وقد تأثّرت كثيرا بالوثنيّة والمسيحيّة. انظر: إينالجيك، ص ص 292 -293.

7- للمزيد انظر: روبيرت مونتران،مرجع سابق، ص 73.

8 - *M*antrant, op. Cit., p 760.

9- مونتران، ص73.

10- فائقة محمد حمزة، مرجع سابق ،ص70.

لم تكن الدّولة العثمانيّة تعتبرها استعبادا لرعاياها بل ضريبة استثنائيّة على قرى البلقان، ونظرا للامتيازات الّتي كان يتلقّاها هؤلاء الصّبية وعائلاتهم خاصّة فيما تعلّق بالإعفاء الضّريبيّ، أصبحت العائلات المسيحيّة تتمنّى أن يحظى أطفالها بهذه الفرصة، بل وحتّى العائلات المسلمة أصبحت تتمنّى ذلك. رغم هذا انتشرت ظاهرة إخفاء الأبناء وتنظيم عمليّات الفرار، وحتّى عمّال التّجميع كانوا يلجؤون في بعض الأحيان إلى إخفاء الصّبية لمصالحهم الشّخصيّة من أجل تلقّي الرّشاوي[1]، وهذا ما كان يعاقب عليه القانون العثمانيّ[2]. العثمانيّ[2].

و- البحريّة العثمانيّة:

لم يكن للدّولة العثمانيّة خلال الفترة المدروسة أسطول بحريّ يمكن الإشادة به، ومعظم انجازاتها العسكريّة - سواء الّتي تمّت في الأناضول أو البلقان - قامت بها القوّات البرّيّة [3]. ويعود هذا لامتلاك البيزنطيّين لأسطول قويّ، وامتلاكهم عدّة جزر وموانئ في بحر إيجة، بالإضافة إلى التّواجد الكثيف للبنادقة والجنويّين بالمنطقة، هذا ما شكّل خطرا دائما على العثمانيّين. هذا رغم اهتمام العثمانيّين بالأسطول البحريّ منذ فترة حكم السّلطان أورخان، حيث اعتبرت بورصة على عهده عاصمة بحريّة بحكم موقعها على السّاحل الجنوبيّ الشّرقيّ لبحر مرمرة، ومنها عبر ابنه سليمان إلى البرّ الأوروبيّ عبر مضيق الدّردنيل، واستولى على غاليبولي الّتي أصبحت مهد البحريّة العثمانيّة، وهذا لمينائها الكبير، ولضمّها مقرّ الأمراليّة (**قابودان باشا**)[4].

وبعد تولّي السّلطان مراد الحكم واستيلائه على أدرنة وتحويلها إلى عاصمة للدّولة، أراد ربط شطري السّلطنة الممتدّة بين الأناضول والرّومليّ، ولن يتسنى له ذلك إلّا بوجود أسطول بحريّ قويّ، وهو ما عجز عن تحقيقه[5]. رغم هذا تعتبر فترة حكم السّلطان مراد الأوّل (1360م-1389م) هي البداية الحقيقيّة لنشأة الأسطول العثمانيّ، إذ قام هذا السّلطان ببناء عدّة سفن ونظّم قوّة عسكريّة من البحّارة وأقام دارًا للصّناعات

1- إيرينا بيتروسيان، مرجع سابق، ص33.

2- *M*antrant, op. Cit., p 760.

3- هاملتون جب، المرجع السابق،ص128.

4- **قابودان باشا:** قابودان ، لفض فارسي معناه أمير البحار، و هو قائد الأسطول وكان لقبه قبل ذلك داريا بك، المقتبس من الايطالية ،انظر: ،انظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط01، 1996م ص348،

5- للمزيد انظر: محمّد السّيّد الدّغيم، **أضواء على البحريّة الإسلاميّة العثمانيّة**، الحضارة الإسلاميّة وعالم البحار، (بحوث ودراسات) بحث في تاريخ البحريّة العثمانيّة حتّى نهاية عهد الخليفة العثمانيّ سليم الثّاني، منشورات أنجاد المؤرّخين العرب في القاهرة 1994م/1414هـ، ص 385.

البحريّة في كلّ من أزمير وكلميك، متأثّرا في ذلك بالبنادقة والجنويّين[1]. وأنشأ ثكنات للبحّارة في غاليبولي[2] .
وخلال فترة حكم السّلطان بايزيد زاد اهتمام العثمانيّين بالأسطول البحريّ، خاصّة إذا علمنا أنّ – من أسباب فشلهم في الاستيلاء على القسطنطينيّة بعد حصارهم لها – التّفوّقَ البحريّ لأساطيل جنوة والبندقيّة على القوّة البحريّة العثمانيّة[3]، لهذا سعى العثمانيّون إلى قطع الإمدادات عن القسطنطينيّة عن طريق غاليبولي[4]،رغم ذلك لم يكن بمقدور السفن الحربية العثمانية اعتراض تنقّل ملك المجر سيجسموند على متون السّفن المسيحيّة وقد بعد معركة نيكوبوليس 1396م قاصدا القسطنطينيّة، وهذا لعدم قدرتها على ذلك[5].

استولى العثمانيّون على أكبر الموانئ على بحر إيجه وهي في آيدن ومنتشأ، واستولوا على أسطول إمارة صاروخان. ومن سواحل منتشه نفذوا إلى البحر الأبيض المتوسّط. وأصبح بذلك للعثمانيّين أسطول يتألّف من 60 قطعة بحريّة، استعملوها عند حصارهم للقسطنطينيّة عام 1397م.

وبصفة عامّة يمكن القول إنّ الدّولة العثمانيّة رغم قوّتها العسكريّة إلّا أنّها كانت عاجزة عن السّيطرة على البحار الّتي كانت تسيطر عليها القوى المسيحيّة، الّتي كانت تزوّد القسطنطينيّة بما تحتاجه، وتسدّ المضائق في وجه العثمانيّين، وبهذا تمكّنت من شطر الدّولة العثمانيّة إلى قسمين: أراضي الأناضول وأراضي الرّوملي[6].
وعند اقتراب المواجهة بين العثمانيّين والمغول في أنقرة جهّز السّلطان بايزيد أسطولا متكوّنا من20 سفينة حربيّة، خوفا من التّحالف الّذي شكّلته البندقيّة مع القوى المسيحيّة المحلّيّة[7].

5– التّقسيم الإداريّ

كانت الدّولة العثمانيّة مقسّمة إداريّا إلى مقاطعتين إداريّتين كبيرتين، تعرف كلّ واحدة منهما بالبكلربكيّة أي إمارة الأمراء أو الإيّالة، وكانت أولاهما بكلربكية الرّومليّ الّتي تأسّست على عهد السّلطان مراد الأوّل (1336م–1389م)، ضمّت الممتلكات العثمانيّة في البلقان، كانت عاصمتها أدرنة وتولّى إدارتها،

[1]– هاملتون جب، ص133.
[2]– محمود محمّد الحوير، مرجع سابق، ص64.
3– فؤاد متولّي، **تاريخ الدولة العثمانية**، مرجع سابق، ص77.
[4]- chevalier. *H*, et *L*todier, ***Précis d'histoire de l'Europe*** (1270, 1610), p 248.
[5]- Hammer, op.cit, p 335.
[6]– محمد سهيل طقوش ، **تاريخ العثمانيين** ، مرجع سابق، ص77.
[7]– مونتران ،مرجع سابق ،ص75.

لآلا شاهين. ثمّ ظهرت بكلربكيّة الأناضول على عهد السّلطان بايزيد الأول في عام 1393م[1] وعاصمتها كوتاهية. وفي عام 1397م بعد ضمّ العثمانيّين لإمارة كارمان أصبحت بايلربكيّة ثالثة عاصمتها قونية[2].

يعتبر الباكلركباي أو الميران ميرن الّذي لم يكن بالضّرورة من العائلة الحاكمة، مسؤولا على بكوات السّناجق الّذين كانوا يديرون المدن والولايات بالاشتراك مع القضاة[3]، ولم يكن بإمكانهم تنفيذ أيّ قرار إلّا بموافقة القاضي، وهو بدوره لا يمكنه تنفيذ أيّ قرار يصدره، إلّا بموافقة البلكرباي، لهذا كان العثمانيّون يعتبرون هذا التّقاسم للسّلطة أمرا مهمّا للإدارة العادلة[4]. كما تمّ تقسيم كلّ بكلربكيّة إلى سناجق أو ألويّة، تعتبر الوحدة الإداريّة الأساسيّة في الدّولة العثمانيّة، يديرها أمير سنجق (السّنجق بكي)[5] الّذي كان يحظى بصلاحيّات واسعة منها الإشراف على النّظام الإقطاعيّ في مقاطعته الإداريّة وقيادة الجيوش أثناء الحروب، بل وكان يمكن له القيام ببعض العمليّات العسكريّة مع مجموعته من السّباهيّة[6]. وتبقى إحدى السّناجق تحت إدارة البكلرباي. والسّنجق بدوره مقسّم إلى صوبشيّات، على رأس كلّ واحدة منها صوباشيّ، وحتّى السّنجق كان مقسّما إلى تيمارات على كلّ واحدة سباهيّ، لذلك كان هذا الأخير ملزما بالبقاء في تيماره [7].

وكان هؤلاء الأمراء بغضّ النّظر عن مهامّهم المدنيّة، ضبّاطا من السّباهيّة يمتلكون تيمارات من نوع خاصّ، وكان دخل خاصّ السّنجق بكي لا يقلّ عن عشرين ألف أوقجة، أمّا دخل خاصّ البكاربكيّ فلم يكن يقلّ عن 01 مليون أوقجه. وعليهم من الواجبات ما على أصحاب التّيمارات الأخرى[8]. وقد اختلفت اختلفت صلاحيّات بكوات إيّالات الدّولة العثمانيّة، ففي ما بين السّناجق التّابعة مباشرة للدّولة ودار الحرب، كانت هناك مناطق عازلة يتولّى إدارتها بكوات ينحدرون من أسر عريقة، وكانوا أكثر استقلاليّة من نظرائهم القريبين من العاصمة[9].

1- فاضل البيات، **الدّولة العثمانيّة في المجال العربيّ**، ط 01 مركز الدّراسات الوحدة العربيّة، أفريل 2007 م، بيروت، ص 49.

2- أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانية** مرجع سابق، ص105.

3- مونتران،مرجع سابق، ص 60.

4- إينالجيك، مرجع سابق، ص165.

5- **السّنجق**: كلمة تركيّة معناها: العلم المنصوب على سارية مدينة الرّأس. انظر: فاضل البيات، ص58.

6- هاملتون جب، مرجع سابق، ص ص195 -205 -208 -206.

7- إينالجيك ،ص 186.

8- هاملتون جب ، ص204.

9- نفسه ، ص166.

و كان للبكلرباي ديوان خاص يتألف من الكاخية (النائب) و التذكره جي (أمين السر) و الدفتردار التيمار وكتخدا الدّفتر الّذي كان يعالج كلّ شؤون التّيمار ودفتر دار الخزينة الّذي كان يشرف على الخزينة، وكلّ من هؤلاء كان له ديوان خاصّ به[1]. ولكلّ لواء قانون نامة خاصّ به، يخصّص كلّ لواء دفاتر تحرير خاصّة لتسجيل جميع الأراضي التّابعة للّواء والضّرائب المفروضة على المحاصيل الزّراعيّة وبعض الأحكام المتعلّقة باستفادة العشائر من **اليبالق والقشلاق** [2].

6- الأوضاع الاقتصاديّة في الدّولة العثمانيّة

يصف المؤرّخون الأوروبّيّون الاقتصاد العثمانيّ خلال القرن 14م بأنّه إقطاعيّ، لكنّه في واقع الأمر ليس بمفهوم النّظام الإقطاعيّ الأوروبّيّ خلال نفس الفترة، إذ لم تعرف الدّولة العثمانيّة طبقة النّبلاء ولا الأقنان، وملكيّة الأرض كانت للدّولة،كما كانت الوظائف والامتيازات تُمنح للأكثر علما وكفاءةً وشجاعةً وولاءً [3].

تتمثّل أهمّ الأنشطة الاقتصاديّة الّتي عرفتها الدّولة العثمانيّة في الزّراعة وبخاصّة زراعة الحبوب (القمح والشّعير)، بالإضافة إلى الرّعي الّذي أولاه العثمانيّون اهتماما كبيرا باعتبارهم كانوا يمارسون هذه الحرفة في أوطانهم الأصليّة، وقد أولوا عناية خاصّة بتربية الخيول والأغنام والأبقار[4]. ونظرا للأهمّيّة الّتي كانت تكتسيها الزّراعة، كان لا بدّ من الاهتمام بمصادر المياه لتوفيرها للرّيّ، فكانت كلّ مجموعة تمتلك مصدرا للمياه سواء كانت آبارا أو بحيرات صغيرة، وفي بعض الأحيان كانت تشترك عدّة مجموعات في مصدر واحد، وهو ما كان يثير المشاكل بين هذه المجموعات، لهذا كانوا أحيانا يلجأون إلى المحاكم للفصل في هذه الخلافات[5].

ا- ملكيّة الأراضي

1-هاملتون جب ،المرجع السابق ص 185.

2- **اليبالق والقشلاق:** يُقصد به المرعى والمشتى. للمزيد انظر: فاضل البيات، مرجع سابق، ص 59.

3- *G*rassi. *M*, op. cit., p 39.

4– *B*eldiceanu *I*rène, *s*hteinherr, "***Terres patrimoniales en Anatolie centrale (fin du 15° et début du 16° siècle)***", in *Revue monde musulman et de la méditerranée*, n°79, 80, 1997, pp 115–125.

5- *B*eldiceanu *I*rène, *s*hteinherr, op. Cit., p.117

كان الاقتصاد العثمانيّ – كما ذكرنا آنفا – يعتمد بدرجة كبيرة على الزّراعة، الأمر الّذي أكسب ملكيّة الأراضي مكانة متميّزة بين النّشاطات الاقتصاديّة الأخرى[1].

كانت الأراضي الزّراعية كلّها ملكا للدّولة[2]، وحقّ الانتفاع منها يعود لمن يقدّم خدمات أكثر للدّولة، خاصّة في الميدان العسكريّ. وكان هذا في إطار نظام خاصّ يعرف بالتّيمار[3]. والتّيماريّ له حقّ استغلال الأرض وليس امتلاكها، وحتّى إن ورث السّباهيّ والده فإنه يرث حقّ الانتفاع ليس إلّا، وهذا هو جوهر الخلاف بين الإقطاع في الدّولة العثمانيّة وأوروبا آنذاك [4].لا هذا يعتبر الإقطاع العمود الفقريّ للحياة العسكريّة والماليّة في الدّولة العثمانيّة[5]. فقد ورث العثمانيّون عن من سبقوهم – خاصّة السّلاجقة والبيزنطيّون والبيزنطيّون – مبدأ تقسيم الأراضي الزّراعيّة إلى إقطاعات[6]، كانت تقسّم بدورها إلى ثلاثة أنواع (التّيمار والزّعامات والخاصّ) كلّ حسب مداخيله، وتقسّم بين القادة العسكريّين[7] المعروفين **بالسّباهيّة**[8] الّذين كانوا كانوا يشكّلون غالبيّة الجيش العثمانيّ، وهذا مقابل الخدمات العسكريّة الّتي يقدّمونها[9]، ويمنح أحسنها سواء أكان زعامات أو خاصّا لكبار القادة العسكريّين، الّذين كانوا يمثّلون الدّولة العثمانيّة في مناطق تواجدهم، لأنّ نظام التّيمار ليس نظام إنتاج فقط، بل هو نظام سياسيّ إداريّ يهدف إلى تنظيم المجتمع العثمانيّ في الأرياف، وبالتّالي يصبح مالك التّيمار أو السّباهيّ واسطة بين السّلطة والرّعيّة في الأرياف[10]، وعند اندلاع الحروب يكون مكلّفا بتجهيز مجموعة من الفرسان وجمع المؤونة[11]، ويكون ذلك حسب مساحة تيماره، وحسب ما

---

[1]- نعمان ترك أوغلو، "**الوقف العثمانيّ، حضارة واقتصاد**"، مجلّة حراء، مؤسّسة الأوقاف والاقتصاد العثمانيّ، الأوقاف والخدمات، العدد 31 يوليو، أغسطس 2012، ص 14.

[2]- *B*eldiceanu *I*rène, *s*hteinherr, op. Cit., p 117.

[3]- *I*lkay *S*unar, Anthropologie politique et économique: ***L'Empire ottoman et sa transformation,*** in Annales économies, sociétés, civilisations, v35 № 03, année 1980, p (551-579), p554.

[4]- وجيه كوثرانيّ، مرجع سابق، ص53.

[5]- جانبولات، مرجع سابق، ص195.

[6]- *H*ummer, op.cit., T 02, p235.

[7]-*T*heophille *L*avalleé, op.cit., p 144 .

[8] – **سباهيّة**: من سباه الفارسيّة وتعني الجيش.

[9]- *I*orga(N), ***Histoire des états Balkaniques jusqu'à 1924***, Librairie universitaire, J. GamBER, éditeur, Paris1925, p29.

[10]- *I*lkay *S*unar, op. Cit., p554.

[11]- *I*lkay *S*unar, ibid., p555.

يدرّه عليه من أرباح. وفي حالة تراخيه في القيام بواجباته العسكريّة مدّة 7 سنوات على التّوالي كان يفقد مركزه وتيماره ويسجّل مع الرّعيّة[1].

لم كن هذه التّيمارات تُورّث، وإنّما تعود للدّولة في حالة وفاة أصحابها، لأنّ التّيماريّ ليس مالكا للأرض بل منتفع بها [2] مقابل خدمات يقدّمها وضرائب يدفعها[3]، والسّلطان يمنحها لمن يشاء ويسحبها ممّن يشاء يشاء وقت ما يشاء[4]. قد يبدو لنا ظاهريّا أنّ نظام التّيمار يشبه إقطاع العصور الوسطى في أوروبّا، إلّا أنّ هناك فوارق جوهريّة بينهما خاصّة في ما تعلّق بملكيّة الأرض، وكان لهذا النّظام دور في ازدهار الدّولة العثمانيّة[5]. كما كان له دور في التّخفيف من الأعباء الماليّة عليها [6].

- **التّيمار**[7]: وهي تدلّ على إقطاع يدرّ دخلا قدره حتى 19.999 **أوقجه**[8]، منحت إلى الجنود السّباهيّة (الفرسان)، ويطلق على صاحبه اسم السّباهيّ، الّذي كان عليه تقديم خدمات عسكريّة للدّولة متى استدعي لذلك، مقابل امتيازات أخرى.
- **الزّعامات**: وهي تدلّ على إقطاع يدرّ على صاحبه دخلا قدره حتى 99.999 أوقجه، منحت لكبار ضبّاط الجيش، ويطلق على صاحبها اسم **الزّعيم**[9].
- **الخاصّ**: ويطلق عليها كذلك اسم (خواصّ هاميون)[10]، هي تدلّ على إقطاع يدرّ على صاحبه دخلا قدره أكثر من مائة ألف أوقجه، أكبرها كانت ملكا للسّلطان ولأفراد الأسرة الحاكمة والمقرّبين منهم[11].

1- إينالجيك ، مرجع سابق ،ص 176.

2- *G*rassi. *M*, op.cit., p 109.

3- *B*eldiceanu *I*rène, op. Cit., p117.

4- لويس، مرجع سابق،ص 8.

5- كوبرلي، مرجع سابق، ص 189.

6- هاملتون جب، مرجع سابق،ص67.

7- **تيمار**: كلمة عثمانية من أصل فارسي وتعني الرّعاية والعناية.

8- **أوقجه (*AKCE*)**: وتعرف في المصادر الأجنبيّة بـ(ASPER) وحدة نقديّة من العملات الفضّيّة العثمانيّة في العصر العثمانيّ، وتعني القطعة البيضاء، ويعود أوّل ظهور لها إلى السّلطان أورخان إذ أنّ أخاه علاء الدّين أمر بسكّها، وتستخدم للدّلالة على القطع النّقديّة الفضّيّة، كتب على وجهها الأوّل (لا إله إلّا اللّه) وعلى وجهها الثّاني (أورخان خلّد الله ملكه). ولا تحمل لا اسم الأب ولا زمان ولا مكان ضربها. أنظر: كارل بروكلمان، نفسه، ص 412؛ أ. ي. فننك ، مرجع سابق،ج 6، ص457 ؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق، ص13).

9- **الزّعيم**: كلمة عربيّة، وكان صاحب الإقطاع من هذا النّوع يدعى زعيما أي المتكلّم باسم الجماعة .انظر: هاملتون جب، ص68.

10- بروكلمان، ص 70.

11- عبّاس إسماعيل الصّبّاغ، مرجع سابق، ص224.

كما كانت هناك إقطاعات أخرى تُمنح للبدو وتُخصّص مداخليها للإنفاق على حرس الحصون والحاميات، تعرف بـ"**اليورتلقات**[1]"، وهي عبارة عن أراضٍ رعويّة صيفيّة وشتويّة، وتارة يتمّ استصلاحها لاستغلالها في زراعة القمح والقطن والأرز. كما كان لهؤلاء دور في التّجارة البريّة، لهذا كانت الجمال تعتبر رأسَ مال بالنّسبة إليهم، فقد استخدمت لنقل مختلف السّلع، وحتى في نقل المعدّات العسكريّة للجيوش[2].

عملت الدّولة على التّسجيل المنتظم للمناطق المفتوحة ومواردها في دفاتر، ولم يكن الهدف من نظام التّيمار إجراء تغيير جذريّ في النّظام الاجتماعيّ والاقتصاديّ للمناطق المفتوحة، بقدر ما كان نوع من التّدرّج في المزج بين الأوضاع المحلّيّة وبين هدف العثمانيّين الخاصّ بالإدماج التّدريجيّ[3]. فقد حوّل العثمانيّون البرونيا الّتي وجدوها وأراضي شاسعة تابعة لإقطاعيّين مسيحيّين وأديرة إلى تيمارات[4].

ب– الإدارة الماليّة في الدّولة العثمانيّة

بتوسّع الدّولة العثمانيّة زادت مواردها كما زادت نفقاتها، لهذا أدخل السّلطان بايزيد استعمال **الدّفتر**[5] في النّظام الإداريّ العثمانيّ، مستلهما ذلك من النّظم الضّريبيّة الإيلخانيّة، وأصبح بذلك للدّفترداريّة أهمّيّة بالغة في الإدارة العثمانيّة الّتي كان يتولّى إدارتها الدّفتردار، يساعده دفترداران، دفتردار الأناضول ودفتردار الرّومليّ، وهما بدورهما يساعدهما المقاطعجيّة على مستوى المقاطعات، كما عرفت الإدارة الماليّة للدّولة العثمانيّة نظام المالكانة وهو منح مهمّة جمع الضّرائب لشخص مدى الحياة. ويقوم الدّفتردار بجمع الضّرائب والزّكاة والعشور والجزية وتُقيّد كلّها بقلم الرّوزنامجي[6]. أمّا على مستوى الأرياف فقد كان التّيماري هو من يتولّى جمع جمع الضّرائب على مستوى تيماره[7].

كان المجتمع العثمانيّ مقسّماً من حيث الضّرائب إلى:

- عسكريّين: وكانوا مُعْفَيْنَ من دفع الضّرائب نظير الخدمات الّتي يقدمونها).

1– **اليورت**: كلمة تركيّة معناها البيت، وأوجاق معناها الموقد. انظر: هاملتون جب، المرجع السابق،ص ص 69 -70.

2– ثرايا فاروقي و آخرون، **التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ**، مرجع سابق، ص ص 88 -92.

3– مونتران، مرجع سابق،ص 33.

4– ثرايا فاروقي،وآخرون ، **التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ** ، ص171.

5– تعني تسجيل الأراضي والعقارات لإخضاعها لنظام الضّرائب.

6– حسن أبو علية،مرجع سابق، ص 211.

7– هاملتون جب، ص 76.

- الرّعايا: المشكّلين من الفلّاحين والحرفيّين والتّجّار، وكان عليهم تسديد الضّرائب لأنّهم كانوا يقومون بأعمال منتجة.

كما أعفت الدّولة من الضّرائب من كانوا يقدّمون خدمات للدّولة من المدنيّين كحُرّاس الممرّات الجبليّة والغابات، وكانوا يعرفون باسم (معفى ومتسلمّ)، وكانوا يشكّلون طبقة وسطى بين طبقتي العسكر والرّعايا. كما أعفت بعض الرّعايا نظير الخدمات الّتي يقدّمونها للسّباهيّ وتسمّى (قولوك أي طبقة العبيد الخدم) وهذا لإراحتها من الأعمال غير العسكريّة، لأنّ السّباهيّ كان يسيطر على الأرض وعلى الضّرائب[1].

أمّا رعايا الدّولة في البلقان من غير المسلمين – وبما أنّها كان يحكمها نظام الملل – فقد كان عليهم تسديد ضرائب للحكومة المركزيّة وأخرى لرؤسائهم الرّوحانيّون[2]. وبصفة عامّة كان نظام الضّرائب في الدّولة العثمانيّة أخفّ وأبسط بكثير من نظام الضّرائب البيزنطيّ والبلقانيّ من قبل[3].يقوم السّباهيّ أو الموظّف الرّسميّ الرّسميّ المحلّيّ بجمع الضّرائب في إقليمه، وبعدما تُجمع هذه الضّرائب على مستوى المقاطعة الإداريّة، تُدفع منها النّفقات المحلّيّة وراتب الحاكم، وإن كان هناك فائض يبعث إلى العاصمة وبالضّبط إلى الخزانة المركزيّة، وكانت هذه الأموال تعرف بإرساليّة [4].

كما فرضت الدّولة ضرائب على البضائع التّجاريّة (ضريبة الملكيّة الإلزاميّة) قدّرت بـ1.25 % من قيمة المنتجات بالنّسبة للمسلمين و5 % بالنّسبة للرّعايا غير المسلمين و10 % لسكّان دار الحرب. كما فرض العثمانيّون الضّرائب الجمركيّة على الاستيراد والتّصدير، ولكنّ البضائع الموجّهة للدّولة وللجيش كانت معفاة من كلّ الضّرائب، وكانت تصنّف تحت اسم (شحنات للدّولة)[5].

بالإضافة إلى الضّرائب الّتي كان يدفعها رعايا الدّولة العثمانيّة المسلمون، كان الرّعايا المسيحيّين مكلّفين بدفع ضريبة الجزية، ويستثنى منهم المسيحيّون الّذين يُقدّمون خدمات عسكريّة للدّولة، كما كانت قيمتها تختلف بين الأغنياء والفقراء، يجمعها السّباهيّة (أغلان لري) [6].

[1] - ثرايا فاروقي وآخرون **التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ** ، المرجع السابق، ص ص132 – 133.

[2] - فائقة محمّد حمزة عبد الصّمد بحري، مرجع سابق، ص74.

[3] - نفسه، ص61.

[4] - للمزيد انظر: هاملتون جب، المرجع السابق،ص ص 208 -209.

[5] - هاملتون جب، المرجع السابق ، ص ص300 -303.

[6] - ثرايا فاروقي وآخرون ، **التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ للدّولة العثمانيّة** ،ص 127.

وكان العثمانيّون يرون أنّ مصدر الثّروة يكمن في الضّرائب الّتي تقوم بتمويل خزينة الدّولة، الّتي منها نوعان، خزانة الاحتياط الّتي تكون تحت تصرّف السّلطان والّتي يكون مصدر تمويلها المداخيل غير الاعتياديّة، كنصيب السّلطان من الغنائم والهدايا والممتلكات المصادرة. وخزانة أخرى توجد في مكاتب الحكومة تحت إشراف الوزير الأعظم والدّفتردار، وعند الحاجة كانت خزانة القصر تقدّم قروضا للخزانة العامّة بموافقة السّلطان نفسه[1].

ج– التّجارة الدّاخلية والخارجيّة

*** التّجارة الدّاخلية**

عملت الدّولة على ضبط الأسعار وتسقيفها ومراقبة نوعية السّلع وأوزانها، كما عملت على إيجاد توازن بين الإنتاج والاستهلاك تفاديا لوقوع ارتفاع في الأسعار أو انخفاض فيها، وهذا من خلال النّقابات المهنيّة، كما تدخّلت في تنظيم الأسواق من خلال مفتّش السّوق أو المحتسب، الّذي أوكلت إليه مهمّة تطبيق القوانين، وكان لمؤسّسات الدّولة الصّارمة دور في تحديد الإنتاج ونوعيّته[2].كما عانت الدّولة العثمانيّة من نقص في المعادن الثّمينة والنّقود بمختلف أنواعها، لهذا كانت معظم المبادلات تتمّ بالمقايضة، خاصّة في المناطق الرّيفيّة وفي حالةِ تمّت معاملة تجاريّة عن طريق الدّين، كما كانت تسجّل الضّمانات بدقّة في سجلّات المحاكم الشّرعيّة[3].

*** التّجارة الخارجيّة**

كانت تبريز خلال النّصف الأوّل من القرن الرّابع عشر ملتقى الطّرق التّجاريّة العالميّة، خاصّة تجارة الحرير والتّوابل، الّتي كان يحتكرها التّجّار البنادقة والجنويّون[4]. وبعد سقوط الدّولة الإيلخانيّة في 1334م، أصبحت بورصة أهمّ مركز تجاريّ في الأناضول وأهمّ سوق تجاريّة بين الشّرق والغرب. ومع توّسع مساحة الدّولة العثمانيّة على عهد السّلطان بايزيد الأوّل، واستيلائها على المراكز التّجاريّة السّاحليّة القديمة، أصبحت القوافل التّجاريّة لبلاد فارس تمرّ عبر موانئ هذه المراكز، وبزيادة توسّع العثمانيّين، تمكّنوا من السّيطرة على طريق الحرير الّذي لم يعد يمرّ عبر طرابزون بل أصبح يمرّ عبر طريق برّيّ إلى بورصة، وفقدت بذلك تبريز

[1]– نفسه ،ص ص 106 –141.

[2]– نفسه ، ص ص 105 –108.

[3]– ثرايا فاروقي وآخرون ، **التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ للدّولة العثمانيّة** ، مرجع سابق ص 311.

[4]– نفسه ، ص 457.

مكانتها. وبعد استيلاء العثمانيّين على مينائي أنطاليا وألانيا في جنوب الأناضول، أصبحت بورصة تستقبل البضائع الهنديّة والعربيّة، وأصبح الحرير الفارسيّ يصدّر منها إلى البندقيّة ولوقا، اللّتين كانتا مركزين لصناعة الحرير في أوروبّا، وبفضل تجارة الحرير ازدهرت ونمت بورصة وأضحت مركزا تجاريّا عالميّا يباع فيه المسك والرّاوند والخزف الصّينيّ[1]. كما كانت مركز ترانزيت هامّا لعبور التّوابل القادمة من الهند في اتّجاه البلقان وأوروبّا الوسطى، بالإضافة إلى سلع أخرى كالشّمع والمسك والجلود والفرو والكتّان والسّجّاد[2]. وبهذا أصبحت أهمّ مدينة اقتصاديّة في المنطقة كلّها.

وكان من أهداف توسّعات السّلطان بايزيد في الأناضول سيطرته على المراكز الرئيسيّة لطريق الحرير (أنقرة وأماسيا) وضمُّه إلى بعض المرافئ في غرب الأناضول عام 1390م، وهذا قصد السّيطرة على تجارة القطن والقمح، وبهذا تمكّن العثمانيّون من السّيطرة على الأسواق الهامّة بلاد فارس عبر آسيا الصّغرى [3]. كما ركّز العثمانيّون على تأمين المراكز الرّئيسيّة لطريق الحرير في الشّرق، وأدّى هذا التّقدّم على طريق تبريز إلى التّصادم مع المغول في 1402م[4].

وعند ظهور تيمورلنك في الشّرق، كانت بورصة قد برزت كأهمّ مدينة لصناعة وتجارة الحرير المستورد من بلاد فارس، الّذي كان العثمانيّون يقايضونه مقابل الصوف، وأضحت بذلك أهمّ سوق تجاريّة بين الشّرق والغرب للحرير وللمنتجات الآسيويّة الأخرى، كما كانت أهمّ سوق تجاريّة للأقمشة الصّوفيّة الغربيّة الفاخرة لكلّ أنحاء آسيا، وأصبحت بذلك أهمّ سوق عالميّة لتجارة الأقمشة الأوروبّيّة[5].

ونظرا لخطر القراصنة النّصارى الّذين كانوا متواجدين في قبرص ورودس وكريت، كانت السّفن التّجاريّة العثمانيّة تبحر في شكل قوافل إلى جانب السّفن الحربيّة العثمانيّة[6].

07- الأوضاع الاجتماعيّة

شكّل المجتمع العثمانيّ خلال الحقبة المدروسة مجتمعا إنسانيّا تتشكّل غالبيّته من المسلمين على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم، كما ضمّ أممًا وأجناسا (مللًا) ذات ديانات وعادات تختلف عن المسلمين، نذكر منهم

1- إينالجيك ،مرجع سابق، ص ص 192 - 193.
2- ثرايا فاروقي وآخرون ، ص ص 333 -335.
3- نفسه، ص ص 192 -193.
4- للمزيد انظر: نفسه، ص ص 332 -335.
5- ثرايا فاروقي وآخرون ، مرجع سابق، ص351.
6- إينالجيك ،ص199.

العناصر السّلافيّة والأكراد والأرمن واليهود وغيرهم، كلّهم عاشوا في كنف الدّولة العثمانيّة، تربطهم سماحة الدّين الإسلاميّ الحنيف[1]، فقد عرف عن العثمانيّين مبدأ "الدّين لله والوطن للجميع" ربّما دون أنْ يعلموا أنّ هذا المبدأ ستتّخذه العديد من الممالك والأوروبّيّة شعارا لها فيما بعد.

كانت شعوب الدّولة العثمانيّة مقسّمة – من حيث الملل – إلى مسلمين ويمثّلون غالبيّة سكّان الدّولة العثمانيّة، وغير مسلمين وكانوا في ذمّة الدّولة على أساس (الشّرع الإسلاميّ)، وكان عليهم دفع الجزية في مقابل إعفائهم من الخدمة العسكريّة[2]، وكان لهم الحقّ في الاحتفاظ بهويّتهم ولغاتهم الأصليّة وعاداتهم وتقاليدهم[3]. من جهة أخرى كان المجتمع العثمانيّ مقسّما إلى طبقتين: عسكر ورعيّة. ومصطلح عسكريّ كان يشير – بالدّرجة الأولى – إلى طبقة أكثر منها إلى وظيفة، وتضمّ هذه الطّبقة مختلف التّشكيلات العسكريّة التّابعة للسّلطان ورجال الدّين وكبار الموظّفين وعائلاتهم، وبعض الرّعيّة الّتي كانت تقدّم خدمات للدّولة، وحظيت هذه الفئة في كنف الدّولة بعدّة امتيازات وعلى رأسها الإعفاء من الضّرائب وامتلاك الإقطاعات[4].

رغم هذا لم تكن هذه الطّبقة تشبه طبقة النّبلاء في شيء[5].

في حين كان الّذين يشتغلون بالتّجارة والزّراعة – سواء من المسلمين أو الذّمّيّين، في البلقان أو الأناضول – يشكّلون الرّعيّة الّتي تمثّل غالبيّة السّكّان وعليها دفع الضّرائب[6]. وكانت مصنّفة في المرتبة الثّانية في السّلم الاجتماعيّ من حيث الامتيازات[7]. وعليه لم يكن التّمييز بين طبقتين اجتماعيّتين لا على أساس دينيّ ولا عرقيّ، إذ كان الفلّاحون والمسلمون وسكّان المدّن في الأناضول يعتبرون كأمثالهم المسيحيّين في البلقان، بل حتّى أنّ بعض العسكريّين المسيحيّين في البلقان تحصّلوا على إقطاعات، وسجّلوا ضمن طبقة العسكريّين، وهذا دون اعتناقهم الإسلام[8].

1- محمّد عبد الصّمد بحري، المرجع السابق، ص5.
2- إيفانوف، مرجع سابق، ص 24.
3- *S*haw *S*tandford, op.cit., p 27.
4- لويس،مرجع سابق، ص 80.
5- لويس،المرجع السابق ، ص 24.
6- شوجر، مرجع سابق،ص 68.
7- *B*eldiceanu *I*rène, *s*hteinherr, op. Cit., p 118.
8- لويس،المرجع السابق، ص80.

ونظرا للامتيازات الممنوحة للطّبقة الأولى نشأ حراك بين هذه المجموعات، لهذا سمحت الدّولة لبعض الرّعايا المسيحيّين بالارتقاء إلى فئة العسكر عن طريق نظام الدّيفشرمة، كما سمحت لبعض المجموعات العسكريّة المؤيّدة لهم بالمناطق المفتوحة المسماة (برونيار وفونيوك ومارتولوس) بالارتقاء إلى فئة العسكر، وحتّى الرّعايا المسلمين أصبح بإمكانهم الوصول إلى فئة العسكر، إذا ما قدّموا خدمات للدّولة كمتطوّعين على التّخوم، ويكون هذا بقانون من السّلطان، كما كان بإمكان السّلطان أن يحطّ من رتبة أيّ عسكريّ إلى رتبة رعيّة، وفي كلتا الحالتين كان الأمر نادر الحدوث [1].

رغم أنّ الدّولة العثمانيّة كانت حريصة على بقاء كلّ فرد في فئته، حفاظا على توازن المجتمع، إلّا أنّها خلقت بعملها هذا نوعا من التّنافس بين فئات المجتمع لمن يقدّم خدمات أكثر للدّولة. وحتّى بعض الذّمّيّين ممّن كانوا يقدّمون بعض الخدمات العسكريّة للدّولة، كانوا يُمنحون الحقوق نفسها الّتي كانت للمسلمين، وكان هؤلاء ينسبون للمناطق الّتي جاؤوا منها[2].

أمّا على صعيد البناء الاجتماعيّ للمدينة فقد كان هناك الوجهاء والأعيان، وهم كبار التّجار وأصحاب التّيمارات، إضافة إلى صغار التّجار وأصحاب الحرف، ويمثّلون الطّبقة الوسطى الّتي كان لها دور في رخاء الدّولة العثمانيّة بفضل ما كانت تقدّمه من ضرائب، كما كانت هناك فئة تمثّل الطّبقة الدّنيا من المجتمع، وهم الهائمون على الأرض أو الغجر، والّذين كان دورهم يتمثّل في القيام بالأعمال الشّاقّة[3].

بالإضافة إلى كلّ هذا عرف المجتمع العثمانيّ فئة الرّقيق، الّذين كان يجلبهم التّجار البنادقة والجنويّون، هؤلاء الّذين كانوا يستخدمون في الأعمال المنزليّة وفي الأعمال الاقتصاديّة الأخرى وخاصّة الزّراعة. وفي إطار النّظام الإسلاميّ كان مسموحا للعبد أن يدّخر مدخوله حتّى يتمكّن من عتق نفسه، وقد ساعد هذا إلى تناقص أعدادا الرّقيق بشكل كبير في الدّولة العثمانيّة[4].

وبهذا لم تعرف الدّولة العثمانيّة التّمييز العنصريّ ولا الجهويّة ولا التّعصّب الدّينيّ، فقد كان الفلّاحون المسلمون في الأناضول يعتبرون رعيّة كنظرائهم المسيحيّين في البلقان، وصُنّف بعض المسيحيّين في البلقان ضمن طائفة

[1]- ثرايا فاروقي و آخرون، **التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ للدّولة العثمانيّة** ، المرجع السابق،ص 62.

[2]- شوجر، المرجع السابق،ص 34.

[3]- للمزيد انظر: شوجر، المرجع السابق ، ص ص 103 -104 -106.

[4]- للمزيد انظر: ثرايا فاروقي وآخرون، **التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ للدّولة العثمانيّة**،المرجع السابق، ص417.

العسكر حتّى بدون اعتناق الدّين الإسلاميّ[1]. وبقدر ما كان في المجتمعات الأوروبّيّة آنذاك ما يدعو للنّفور من المسيحيّة، بقدر ما كان في أخلاق الأتراك وتواضعهم ما يبعث على الاجتذاب والتّقرّب منهم، ولا طالما تغنّى الكتّاب المسيحيّين بغيرة العثمانيّين وصلابة حياتهم وتواضعهم وتسامحهم [2].

أ- نقابة الأشراف

بدأت تظهر جماعات السّادات والأشراف منذ العهود الأولى للدّولة الإسلاميّة، فقد كان لآل البيت[3] في الدّولة العثمانيّة مكانة مرموقة، فمنذ نشأتها عمل سلاطينها على رعاية هذه الفئة، فقد أصدر السّلطان مراد الأوّل عام 1385م مرسوما يوضّح فيه علاقة هؤلاء السّادة بالضّريبة، فلم يكن يؤخذ منهم ضريبة العشر، ولم يكونوا يدفعون الرّسم على الأغنام[4]. كما كان الأشراف منهم الّذين كانوا يشرفون على الأماكن المقدّسة في مكّة والمدينة المنوّرة[5].

يعود ظهور أوّل نظارة لنقباء الأشراف في الدّولة العثمانيّة إلى عهد السّلطان بايزيد يلدرم في ماي عام 1400م (رمضان 802هـ) ،وكان على رأسها عاشق جلبي (السّيد علي نطّاع أمير) وهو حسينيّ النّسب وكان يعيش من عرق جبينه، ولما توفّي خلفه في المنصب ابنه زين العابدين أفندي[6]، ولهذا أصبحت رئاسة النّظارة تنتقل من الأب إلى الابن مع إمكانيّة الاستمرار في المنصب لمدّة طويلة[7]. وكان من أسباب تأسيسها **(حسن الإشفاق في المعاملة على آل البيت وتوفير الأرزاق وأسباب العيش لهم وحفظ كرامتهم بمنعهم من الأوضاع الموجبة لإذلالهم، خاصّة فيما تعلّق بالمهن الّتي يمارسونها والأكل الّذي يتناولونه وكافّة الأمور الّتي يمارسونها)**[8].

[1]- لويس، مرجع سابق ،ص ص 82 - 83.

[2]- عبد الصّمد بحري ، مرجع سابق، ص 83.

[3]- **الشّريف:** أطلق على المنحدرين من نسل الحسين رضي الله عنه اسم السّيد وعلى المنحدرين من نسل الحسن اسم شريف، وأصبح فيما بعد اسم السّيّد مشتركا بينهما.

[4]- مراد صارجيك ، **نقابة الأشراف في الدّولة العثمانيّة**، ترجمة سهيل صابان، ط1، دار القاهرة، 2006، ص 100.

[5]- ثرايا فاروقيّ، **الدّولة العثمانيّة والعالم المحيط بها**، مرجع سابق، ص 23.

[6]- *H*ammer, op.cit., T 2, p p 522-523.

[7]- مراد صارجيك ،مرجع سابق، ص 114.

[8]- ثرايا فاروقي، **الدّولة العثمانيّة والعالم المحيط بها**،مرجع سابق ، ص 147.

كان **نقيب**[1] الأشراف يتلقّى راتبه من خزينة الدّولة فقد كان السّيّد محمود أفندي يتقاضى 25 آقجة يوميّا ثمّ ارتفع إلى 30 آقجة، مع العلم أن الرّاتب اليوميّ لأوائل المفتين (القضاة) كان 30 آقجة. وكان من مهامّه مسك دفاتر السّادة للنّظر كلّما دعت الحاجة في نسب أحدهم[2]. وكان نقباء الأشراف يُمَيَّزون عن عن غيرهم بوضع العلامة الخضراء على الرأس، أمّا السّيّدات الأشراف، فكنّ يرتدين اللّباس الأخضر. وفي هذا يقول الشّاعر المصريّ أبو عبد الله جابر الأعمى[3]:

جَعَلُوا لأبْناء الرّسُول عمَامَةً إنَّ العَلَامَة شَأْنُ مَن لَمْ يَشْهَد

نُورُ النُّبُوَّة في كَرِيم وُجُوههم يُغْنِي الشّريفَ عَن الطّرَاز الأَخضَر

وقد تأثّر سلاطين الدّولة العثمانيّة بذلك إذ كانوا يحرصون على حمل اللّون الأخضر في ملابسهم، وكان أحبّ الألوان لديهم الأبيض والأخضر. ولإثبات السّيادة كان لا بدّ من منح حجّة السّيادة[4]، الّتي كان يمنحها نقيب الأشراف نفسه أو قائم مقامي (هو من نوّاب النّقيب الّذي يعينه بنفسه). وإذا اقتضت الضّرورة كان لا بدّ من إبراز هذه الحجج كدليل على السّيادة. وكانوا يحصلون على وثيقة نسب الامتياز وهي بمنزلة سلسلة النّسب أو المعروفة بالشّجرة[5]. وبعد معركة أنقرة 1402م، أي في عهد الفترة بقيت نقابة الأشراف خالية من من زعيم يرأسها.

ب- تنظيمات الآخيّة

لا يزال تاريخ ظهور هذه الآخيّات في الدّولة العثمانيّة إلى يومنا هذا غير واضح، وعموما ظهرت جليّا، بالأناضول خلال القرن 14م، وخلال رحلة ابن بطّوطة للأناضول في ستّينات القرن 14م، فقد حلّ ضيفا على العديد من زواياها. وحسب المصادر التّاريخيّة، كانت هذه المراكز موجودة تقريبا في كلّ قرية عثمانيّة بالأناضول أو البلقان بعد فتحه[6].

1 - **النّقيب**: معناه المختار من المجتمع ووكيله ورأس الجماعة وأخيرها وسيّدها، وبما أنّه يقوم بالتّنقيب عن أعمالها ومتابعتها، أطلق عليه النّقيب، وكان من ألقاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم النّلاثمائة النّقيب. انظر: نفسه ، ص 147.

2 - نفسه، ص 104.

3 - القرمانيّ، مصدر سابق، ص 186.

4 - أكمل الدّين إحسان أوغلى، **الدّولة العثمانيّة تاريخ وحضارة**، ترجمة صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتّاريخ والفنون والثّقافة الإسلاميّة باسطنبول (إرسيكا) 1999م، ص 168.

5 - مراد صاريجك،مرجع سابق، ص16.

6 - أوغلى، المرجع السابق،ص ص 175 -177.

ومثلما اختلف المؤرّخون في تاريخ ظهورها اختلفوا في طبيعتها، ففي الوقت الّذي اعتبرها البعض منظّمة لأرباب العمل، اعتبرها البعض الآخر طريقة للفتوة كسائر الطّرق الصّوفيّة، ومنه صارت كلمة آخيّة مصطلحا مشتركا بين الفتوة والصّوفيّة وطوائف الصّنّاع، فقوي شأنها. وأصبح لكلّ منها زاوية، فأضحى لكلّ أرباب الحرف زاويا خاصّة بهم، وصُبِغت هذه التّنظيمات إلى حدّ ما باللّون الصّوفيّ، وبذلك أصبح لها نفوذ اجتماعيّ واقتصاديّ كبيران داخل المجتمع العثمانيّ[1]. وقد استوعبت هذه التّنظيمات الطّوائف المهنيّة وعناصر الفتوة،كما أنّ الانضمام إليها لم يكن مقرونا بملّة معيّنة. يقوم أفرادها بالإنتاج والبيع ويخضعون لنفس القواعد والأحكام.

وقد كان لها وظائف اقتصاديّة واجتماعيّة وأخلاقيّة، منها رعاية المحتاجين من أبنائها خاصّة منهم الأرامل والأيتام. لكلّ آخيّة شيخ، هو بمنزلة المسؤول عنها، و**كتخدا**[2] واليوغيتباشيّ الّذي يختاره الأسطوات من بينهم ويصبح عضوا في مجلس المدينة، يقوم بدور وكيل مبيعات ومشتريات الطّائفة، وتوفير المادّة الخام للأسطوات ونقل البضائع من طائفة إلى أخرى، يساعده وكيل وخبيران يختاران بدورهم من الأسطوات، مهمّتهم مراقبة جودة الإنتاج والأسعار.

وكان هؤلاء الأسطوات يشكّلون العمود الفقريّ للطّوائف، يعمل تحت إمرتهم الألفوات أو العرفاء وهم العمّال المهرة، إلى جانب العمّال البسطاء أو الصّبية. تميّزت هذه الطّوائف بالتّنظيم الصّارم للإنتاج وضبط نوعيّته وأسعاره وكان الهدف منها، مضاعفة الإنتاج لتغطية حاجيات السّوق، وتحقيق مستوى معيشيٍّ مرضٍ لأعضائها. رغم ما كان لهذا التّنظيم من إيجابيّات فقد قضى على المنافسة وعلى ملكات الإبداع، بحيث كانت الرّقابة شديدة على نوعيّة الإنتاج ونسبة الأرباح الّتي حدّدت ب10%[3].

ج- الأوقاف

تعتبر الأوقاف من أفضل الأعمال الّتي يقوم بها الإنسان المسلم ابتغاء مرضاة الله، لهذا أولاها العثمانيّون اهتماما بالغا، فقد أقاموا منشآت خيريّة مختلفة المنافع إلى جانب مؤسّسات اقتصاديّة أخرى للنّفقة على المؤسّسات الخيريّة المذكورة، وبهذا تستمرّ هذه المنشآت في تقديم خدماتها دون أن يستهلك رأسمالها، وحتّى في بعض الأحيان كان هناك من التّركمان من يستفيد من خدمات هذه الأوقاف مقابل تقديم خدمات لها كحراستها مثلا. وقد أدّت دورا مهمّا في الإعمار والإسكان سواء في الأناضول أو البلقان، فالخدمات الّتي

[1]- للمزيد انظر: كوبرلي، مرجع سابق، ص ص 155 -156 -161.

[2]- وتعني تقريبا وكيل الطّائفة في التّعامل مع السّلطات، وهو المسؤول عنها. انظر: شوجر، مرجع سابق،ص 98.

[3]- للمزيد انظر: شوجر، المرجع السابق ، ص ص 98 ، 100.

تتلقّاها المدن كانت تُلبّى من قبل هذه المؤسّسات، وهي على نوعين: أوقاف يؤسّسها رجال الدّولة وأسرة آل عثمان على السّلطان نفسه، ويشمل الثّاني أوقاف الرّعيّة ممّن يبتغون مرضاة الله[1].

وبما أنّ الوقف مؤسّسة مستقلّة ماليّا، فقد كان لصاحبها الحقّ في تعيين متولٍ لإدارته، وإذا كان الوقف كبيراً يعيّن عليه النّاظر. كما لم تقتصر هذه الأوقاف على المؤسّسات الدّينيّة فقط بل شملت كلّ مناحي الحياة من خانات و مستشفيات وجسور ومطاحن الخ...، وعادة ما كانت تقام حول الجوامع. وتعتبر هذه المنشآت الخيريّة أهمّ جزء من مخطّط المدن العثمانيّة وهذا ما يميّزها عن غيرها من المدن.

وهذه المرافق عبارة عن هبات يوقفها أصحابها بوقفيّة تدوّن عند القاضي يحدّد أصاحبها الأهداف من إقامتها. ومنذ اللّحظة ذاتها يصبح الوقف ملكا لله عزّ وجلّ، لهذا كانت الدّولة حريصة على تنظيمه ومراقبته، بحيث أنّه في كلّ سنة يجتمع العاملون في الوقف ليُقيّموا نشاطهم السّنويّ وكانت الدّولة بدورها تكلّف القاضي أو النّاظر بمراجعة حسابات الوقف. وبعد معركة كوسوفو 1396م استغلّ السّلطان بايزيد الأول فترة السّلم مع الصّرب وأنشأ في العاصمة أدرنة عدّة مؤسّسات خيريّة من مساجد ودور للفقراء، قبل توجّهه للأناضول لإتمام مهامّه، كما أنشأ مؤسّسات خيريّة أخرى تتمثّل في حمّامات ومدارس في مدينة ألاشهر[2]. وأمر ببناء مدرسة ودار للشّفاء، وأوصل الماء إلى بورصة وقد كان غزيراً مثل النّهر ويقال له آ غ چغلان[3].

كان لهذا النّشاط دور كبير في الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة للدّولة العثمانيّة، فقد ساهم في نموّ المدن وازدهارها وارتفاع مستوى معيشة السّكّان خاصّة الفئة الضّعيفة منها[4]، ولم يقتصر هذا النّشاط على الأناضول بل كان للبلقان نصيبه منه، فقد أقام العثمانيّون العديد من هذه المرافق هناك[5]. كما أقيمت على طول طرق القوافل التّجاريّة الآبار والمصليات الّتي كان ينيها أهل الخير من أبناء المنطقة[6].

08- الحياة الدّينيّة والفكريّة

1- نعمان ترك أوغلو، مرجع سابق، ص 15.

2- *H*ummer, op.cit., pp 298-300.

3- باشي، مصدر سابق، ص 77.

4- نعمان ترك أوغلو،المرجع السابق، ص 15.

5- *I*ORGA (N), op.cit., p 28 .

6- للمزيد انظر: ثرايا فاروقي وآخرون، **تاريخ الدّولة العثمانيّة** ، مرجع سابق، ص ص 220 - 228.

أ– الحياة الدّينيّة

من أصعب مجالات دراسة التّاريخ العثمانيّ، دراسة التّاريخ الدّينيّ نظرا لتشعّبه وتعقيداته. ويبدو أنّه كان للعقيدة الإسلاميّة في الدّولة العثمانيّة مفهومان، إسلام الدّولة (الإسلام الرّسميّ) وهو بمنزلة الإيديولوجيّة الّتي توجّه السّياسة الدّاخليّة والخارجيّة للدّولة، وكان الأمراء الأوائل يستمدّون تفسيرهم للدّين من المتصوّفة. ومنذ بايزيد الأول أصبحت الدّولة تتقرّب أكثر من العلماء وتوطّدت العلاقة بينهما أكثر، وبدأ منذ ذلك الحين اعتماد الدّولة على الإسلام، المرتكز على قواعد الشّرع بدل الاعتماد على الدّراويش، وعليه تعتبر هذه المرحلة بداية الإسلام المسيّس[1]. وإسلام الرّعية، وهو مفهوم الإسلام المعِاش، وينقسم بدوره إلى قسمين، قسم صوفيّ هرطقيّ يدور حول محور تقديس الأولياء وهو يعجّ بالخرافات والأباطيل، وقسم آخر يتمثّل في الإسلام السّنّيّ مع تأثّره بالفكر الصّوفيّ. وبينهما إسلام النّخبة المثقّفة وإسلام التّكيّة أو الإسلام الصّوفيّ[2].

وبهذا ظهر صراع امتدّ طيلة التّاريخ العثمانيّ بين علماء الدّين والفقهاء وبين المتصوّفة. وبين هذا وذاك كان موقف الدّولة وسطيّا ولم تؤيّد طرفا على آخر. فقد كان المشروع المذهبيّ في الدّولة العثمانيّة توفيقيّا إذ تبنّى العثمانيّون المذهب الحنفيّ كمذهب رسميّ لهم[3]، والّذي يعتبر أكثر المذاهب مرونة وتسامحا، وسمحوا بذلك لبقيّة المذاهب والطّوائف الدّينيّة بممارسة شعائرها بكلّ حرّيّة، شريطة عدم الإخلال بالنّظام العامّ، هذا ما سمح ببروز جزئيّ للمذهب الشّيعيّ مع نهاية القرن 14م[4].

*** الطّرق الصّوفيّة**

عرفت الدولة العثمانية نوعين من الطّرق الصوفية ، منها ما كان ذا منهج سُنّيّ، لقي دعما من طرف السّلطة الرّسميّة واستمدّ نفقاته من الأوقاف كما كان الحال بالنّسبة للطّريقة المولويّة[5] والبكتاشيّة الّتي كانت طريقة القوات الانكشارية ، والتي كان لها دور كبير في نشر الإسلام في البلقان لتسامحها الكبير مع بقية الأديان.

[1]– نفسه ، ص ص157 و158.

[2]– للمزيد انظر: أوغلى المرجع السابق ، ص ص 156 –158 –170.

[3]– للمزيد انظر: جانبولات، مرجع سابق، ص ص 39 –41.

[4]– أوغلى، ص162.

[5]– لكبح جماح الطّريقة البكتاشيّة، شجّعت السّلطة الطّريقة المولويّة الّتي تنسب إلى مولانا جلال الدّين الرّوميّ الّذي عاش في قونية خلال القرن 13م. كان أتباع هذه الطّريقة من سكّان المدن، ومن الطّبقات الوسطى والعليا من المجتمع. مبادئها معقّدة وذات طبيعة فلسفيّة، يعتبرها الكثير من أقرب الطّرق الصّوفيّة للإسلام السّلفيّ. انظر: لويس، مرجع سابق، ص 189.

و هناك طرق صوفية أُخرى تُعرف بالباطنية، غلب عليها طابع الشّعوذة والخُرافات الموروثة عن الثقافات القديمة القادمة من بلاد فارس أواسط آسيا كا**الشّمانيّة القديمة**[1]، وبعض عقائد غُلاة الشيعة المبسّطة على نحو شعبي،وضمنهم كان يتواجد الدراويش المتجولون أو البابا‌وات[2]. و يبدو أنّه لا علماء الدين ولا مشايخ الطرق الصوفية السنية تمكنوا من الحدّ من نفوذ هذه الطّرق خاصة فيما تعلّق بتبجيلها للصالحين وزيارة أضرحتهم و قلّة العناية بالتقيد بالشريعة الإسلامية[3] .

و في وسط هذا الخلاف عمل السلطان بايزيد الأوّل على توطين دعائم الإسلام السّني الصّحيح مع السّماح للطّرق السّنية بممارسة أنشطتها ، وهذا لخلق نوع من التّوازن بين أفراد المجتمع العثماني وهذا لتشبّث معظم السّكان بهذه الطّرق[4]. وتبيّن هذا التقارب بين السلطة العثمانية مع بعض الطرق الصّوفية في زواج مؤسس الطريقة النوربخشية الشّيخ شمس الدّين محمّد بن عليّ الحسينيّ من ابنة السّلطان بايزيد (خوندي حاتون)، و معروف أنه كان لهذه الطّريقة الصّوفيّة دور كبير في توسّع العثمانيّين في الأناضول والبلقان على حدّ سواء [5].
[5].

ويبدو أنّ ظاهرة انتشار الطرق الصوفية عمّت كامل أنحاء العالم الإسلامي خاصة بعد الغزو المغولي ، بما في ذلك مصر و الشام ، وهذا لوجود قابلية لدى عامة الناس باستقبال أفكار هؤلاء [6].

وبصفة عامّة كان لهذه الطّرق الصّوفيّة –سواء السنية منها وحتّى المنحرفة – تأثير كبير على الحياة الرّوحيّة للتّركمان، كما كان لها دور في نشر الإسلام بين المسيحيّين في البلقان[7]، وشكلت في الكثير من

[1]– **الشّمانيّة**: هي من أبرز المعتقدات الّتي اعتنقها غالبة المغول وخاناتهم، وهي عقيدة بدائيّة وثنيّة، تتمثّل في عبادة كلّ ما يخشونه ويرهبونه، وكانوا يعبدون أرواح أجدادهم لاعتقادهم أنّ لهذه الأرواح سلطانا كبيرا على حياتهم، كما كانوا يؤمنون بالقوى السّحريّة ويؤمنون كذلك بالكهانة. كما كانوا يعتقدون أنّ قمم الجبال مساكن للآلهة وللأرواح. بالإضافة إلى هذا كان الشّمانيّون يؤمنون بإعادة البعث، وأنّ مصير الإنسان يتحسّن في العالم الآخر بعدد ما يزهقه من أرواح على أساس أنّهم يكونون خدما له في جنّته، وهذا ما أفقد المغول الأسس الأخلاقيّة، وقد تأثّرت بها الطّرق الصّوفيّة المنحرفة، في حين حاربتها طرق أخرى كالمولويّة والنّقشبنديّة. انظر: أحمد مختار العباديّ، إبراهيم محمّد علي مرجونة، **المغول والحضارة الإسلاميّة**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 2010م، ص ص 284 ؛ لويس، مرجع سابق،ص 186.

[2] –كوبرلي مرجع سابق ، ص ص،166– 170.

[3] – لويس ، مرجع سابق ، ص 189.

[4]– إسماعيل ياغي، **تاريخ الدّولة العثمانيّة في التّاريخ الحديث**، مكتبة العبيدات، ط2 مكتبة العبيدات، 1988م ،ص 23.

[5]– للمزيد انظر: أوغلى ، المرجع السابق،ص182.

[6]– إينالجيك ، ص 284.

[7]– نفسه، ص 178.

الأحيان النّواة الأولى لتشكل معظم القرى خلال القرن 14م، وبهذا تكون قد أدّت دوراً أساسيا في تعمير المناطق المفتوحة .

أمّا الزّوايا فكانت عبارة عن منشآت خيريّة، ينشئها شيخ أو درويش، غالبا ما كان ينتمي لأحدى الطّرق الصّوفيّة وهذا لاستضافة عابري السّبيل أو الغزاة أو الوافدين الجدد على الإسلام، في المدن والأرياف. وغالبيّة هذه الزّوايا كانت تعتبر نفسها من الآخيّة الّتي كانت ذات طابع اجتماعيّ أكثر منه دينيّ[1].

*** الملل غير المسلمة**

بما أنّ الدّولة العثمانيّة كانت حريصة على تطبيق مبدأ التّسامح الدّينيّ، فقد كان رعاياها في البلقان وفي غيره من غير المسلمين يحكمه نظام الملل، إذ تمّ تصنيفهم على أساس مذاهبهم الدّينيّة، ويطلق على أتباع كلّ مذهب اسم ملّة، ولكلّ واحدة رئيس دينيّ ومحاكم خاصّة ومدارس وأماكن عبادة خاصّة وأديرة، ومنحوا حرّيّة العبادة وحرّيّة التّعامل بلغاتهم الخاصّة، وكلّ هذا كان في الإطار العامّ للدّولة الّتي ضمنت الحماية لهم ولممتلكاتهم، مقابل التزامهم بالولاء لها[2]. ويعود هذا النّظام إلى موقف الإسلام من أهل الكتاب.

كان مسيحيُّو الدّولة العثمانيّة مقسّمين بين عدّة طوائف (الأرثوذكسيّة والغريغوريّة والأرمينيّة والسّريانيّة واليعاقبة والنّساطرة)، وجلّها كانت تؤيّد العثمانيّين ضدّ البيزنطيّين، ومن بين كلّ هذه المذاهب اعترف العثمانيّون بالكنيسة الأورثوكسيّة، وبالمقابل ضيّقوا على نظيرتها الكاثوليكيّة[3].

أمّا اليهود فقد وجدوا على شكل جاليات صغيرة في المراكز التّجاريّة، لكن منذ عام 1394م زاد أعدادهم مع موجات الهجرة الّتي جاءت من فرنسا، هم بدورهم كانوا على مذاهب أهمّها 03 رئيسية (الرّبانيّ والقريانيّ والسّامريّ)[4]. لهذا يمكن اعتبار الدّولة العثمانيّة أنّها أوّل دولة في التّاريخ الحديث أخذت بمبدأ الحرّيّة الدّينيّة لرعاياها، هذا ما جعل مختلف الطّوائف الدّينيّة تعيش في وئام تحت الحكم الإسلاميّ العثمانيّ، وهو ما شجّع العديد من هؤلاء المسيحيّين أو غيرهم على أن يعتنقوا الإسلام عن اقتناع تامّ، فالعثمانيّون – على حدّ اطّلاعي – يبدو أنّهم لم يرغموا أحدًا على اعتناق الإسلام[5]، استنادا إلى الآية الكريمة: {لا إكراه في الدّين

[1]- إينالجيك ، ص 231

[2]– فائقة ، مرجع سابق ، ص 75.

[3]– إينالجيك ، مرجع سابق، ص 35.

[4]– أوغلي، المرجع السابق، ص ص 164 – 166.

[5]– فائقة ،مرجع سابق، ص 60.

قد تبيّن الرّشد من الغيّ فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن باللّه فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم}[1]، فقد كان الدين لله و الوطن للجميع .

*** قافلة الحجّ**

كان من عادة حكّام البلاد الإسلاميّة تنظيم مثل هذه الرّحلات المقدّسة، والّتي كانت شاقّة وتتطلّب نفقات ماليّة كبيرة، كما كانت تتطلّب الحماية من هجمات البدو وقطّاع الطّرق. ولطالما ارتبط نجاح مثل هذه الرّحلات بنجاح الملوك والسّلاطين، وفشلها بتقويض شرعيّة هؤلاء الحكّام، والحاكم مسؤول مسؤوليّة كاملة عن نجاحها. ولطالما تنافس حكّام مصر من المماليك و الإيلخانيّين واليمن على السّيادة على الأماكن المقدّسة بالحجاز، والّتي كانت تحت إشراف حكّام مكّة المكرّمة المحلّيّين المعروفين بالأشراف. إذًا فنجاح قافلة الحجّ هو بمنزلة نجاح سياسيّ للحكّام وتثبيت لشرعيّتهم، وفشله هو تقويض لشرعيّتهم، فالحجّ إذًا شعيرة دينيّة ذات أبعاد سياسيّة، فمن يتمكّن من كسب ولاء أشراف مكّة وكسوة الكعبة الشّريفة كان يحظى بتزعّم العالم الإسلاميّ[2]، لهذا أظهر السّلطان بايزيد كأجداده الّذين سبقوه احتراما كبيرا للحرمين الشّريفين، فقد أرسل في عام 796هـ/1390م **الصّرة** [3] إلى الحرمين الشّريفين من العاصمة أدرنة وكان مقدارها 8000 قطعة ذهب كانت مخصّصة لخدمة الحرمين وللإنفاق على أشرافها وساداتها وعلمائها[4].

ب– التّعليم والعلماء

كان للعلماء بمختلف اتّجاهاتهم ومن مختلف مؤسّساتهم الدّور البارز في نشأة الدّولة العثمانيّة، وهذا نظرا لامتلاكهم ثقلا سياسيّا واجتماعيّا حتّى داخل السّلطة لهذا كانت لهم مساهمة فعّالة في اتّخاذ القرارات الهامّة الخاصّة بالدّولة داخليّا وخارجيّا. وخلال الفترة المدروسة والّتي سبقتها، كان العلماء يحظَوْن باستقلاليّة

---

[1]– القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 225.

[2]– ثرايا فاروقي، **حجّاج وسلاطين**، ترجمة أبو بكر أحمد باقادر، ط1 ،2010م، منشورات دار الجمل، بغداد، ص ص22 -23.

[3]– **الصّرة**: هي الهديّة المتمثّلة في مبالغ من الأموال كانت تقدّمها الدّولة العثمانيّة كلّ عام عند موسم الحجّ إلى الحرمين الشّريفين ومجاوريه من العلماء والأشراف والفقراء، ويرسل قسم منها إلى شيوخ القبائل البدويّة حتّى لا تعتدي على قافلة الحجّ، ويطلق على حاملها لقب صرة أميني. انظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق، ص 290.

[4]– للمزيد انظر: محمّد الأمين المكّيّ، **خدمات العثمانيّين في الحرمين الشّريفين ومناسك الحجّ**، ط02، الشّركة الدّوليّة للطّباعة، القاهرة، 1426هـ/2005م، ص 69.

كبيرة عن السّلطة رغم مساهمتهم الفعّالة فيها، وقد حاولت السّلطة إدماجهم تدريجيّا في دواليبها قبل أن يتّخذ تواجدهم في السّلطة شكل مؤسّسات (القضاء والإفتاء ونظارة الأوقاف) [1].

يرى غالبيّة العلماء في الدولة العثمانية وعلى رأسهم طاشكبرى زاده، أنّه كان يتوجّب على من يرغب في المعرفة أن يدرس كلّ العلوم على اعتبار أنّها متداخلة، وأنّ العالم المتخصّص في علم واحد هو بعيد عن الحقيقة السّامية. والتّعليم كان يلقّنه الشّيخ الّذي كان يحظى بمكانة كبيرة، فبعد أن يتحصّل الطّالب في المدرسة على معارف عامّة في العلوم الدّينيّة، يتابع دراسته المعمّقة فيما تعلّمه، وإذا أراد التّخصّص أكثر كان عليه أن يسافر إلى البلد المشهور بتخصّصه هذا، بالمقابل توافد على الأناضول عدّة علماء من مصر وبلاد الشام و بلاد فارس كان لهم دور في نشر العلم. وخلال هذه الفترة بدأت تتشكّل الثّقافة العثمانيّة الّتي أُستلهِمت من التّراث العربيّ الإسلاميّ والفارسيّ[2].

وكانت مؤلّفات الكتّاب العثمانيّين خلال الفترة المدروسة قليلة تارة باللغة العربيّة وبالعثمانيّة تارة أخرى، أغلبها تتناول مواضيع في الفقه والتّفسير والكلام. ومعظمها كانت عبارة عن شروح وحواشٍ وتعليقات للكتب المؤلّفة خلال القرون السّابقة أي القرون 11م و12م و13م، خاصّة منها كتب التّاريخ والسّياسة والآداب[3]. أمّا العلوم العقليّة كالمنطق والرّياضيّات فكان هناك من العلماء العثمانيّين من يعارض تدريسها، وهناك فريق آخر يؤيّد ذلك على اعتبار أنّها لا تتعارض مع الشّرع وأنّها تدرّب العقل على التّفكير السّليم[4].

ولهذا لا يمكن مقارنة المستوى العلميّ والفكريّ للدّولة العثمانيّة آنذاك مع نظيره في الدّول الإسلاميّة الّتي سبقت، بحيث عجز بذلك علماء الدّولة العثمانيّة آنذاك عن انجاز نهضة فكريّة في مستوى الإنجازات الّتي حقّقوها في ميادين أخرى، رغم الامتيازات والصّلاحيّات الّتي حاز عليها العلماء آنذاك، كالإعفاء الضّريبيّ وإشرافهم على مراقبة القانون وممتلكات الوقف الطّائلة [5].

[1]- للمزيد انظر: حسن الضّيقة، مرجع سابق، ص ص 102 -106 -107 -108 -109.

[2]- *B*ertier *A*nnie*, **Vers l'orient***, bibliothèque nationale de France, imprimerie union à Paris, 1983, 1983, p09.

[3]- للمزيد انظر: أوغلى،مرجع سابق، ص ص 224 -225.

[4]- إينالجيك ،المرجع السابق، ص255.

[5]- فائقة، المرجع السابق، ص181.

فالحياة العلميّة تميّزت عموما بالرّكود والجمود، الّذي ربّما يعود إلى الرّكود العامّ الّذي عرفه العالم الإسلاميّ منذ أواخر القرن 12م، فالحياة الفكريّة في الدّولة العثمانيّة إذًا وضعت على تراث راكد، والعثمانيّون ليسوا مسئولين عنه.

وقد حاولت السّلطة خلال هذه الفترة الهيمنة على هذا المجال، وهذا بجعل العلم في خدمة الدّولة، بحيث كان هدفها الأساسيّ تخريج موظّفين لها ليس إلّا، حتّى أنّهم كانوا كلّما فتحوا أرضا جديدة، أقاموا فيها جامعا ومدرسة وتكيّة. وبهذا نجد أنّ الدّولة شجّعت على ظهور مناخ فكريّ يلبّي حاجيّاتها العلميّة بما يتناسب ونظرتها لمفهوم الدّولة[1].

كما أولت الدّولة العثمانيّة عناية كبيرة بمختلف المرافق التّعليميّة – الرّسميّة منها وغير الرّسميّة –، وهذا بحسن إدارتها والمحافظة على أوقافها، واستعملتها في تعزيز الوحدة التّعليميّة والثّقافيّة بين شعوب الدّولة العثمانيّة،وكانت هذه المدارس مستقلّة ماليّا عن الدّولة لكنّها تخضع لرقابتها، وفي هذا الإطار عرفت الدّولة نموذجين من المدارس، فبالإضافة إلى المدارس التّقليديّة، هناك مدارس الأندرون (أندرون مكتبي) الّتي كانت مختصّة في تكوين رجال الدّولة من مدنيّين وعسكريّين. وكان التّعليم يلقّن في الجوامع وقصور رجال الدّولة والأثرياء وبيوت العلماء. وهناك تعليم آخر كانت تشرف عليه الزّوايا والتّكايا[2].

لم تكن الدولة العثمانية تمتلك كليات لتخريج الأطباء، رغم هذا أولت عناية بالمرافق الصّحّيّة أو ما يسمّى بدور الشّفاء، ففي 12 ماي 1402م، أُقيمت أوّل دار للشّفاء في بورصة بجوار جامعها، احتوت عدّة أقسام وكان منها قسم خاصّ بالأمراض العقليّة، ولإدارتها طلب السّلطان العثمانيّ طبيبا من مصر ليتولّى وظيفة الحكيم باشي [3].

د- الأدب والشّعر

[1]- فائقة، المرجع السابق ، ص ص 220 - 224.
[2]- نفسه، ص ص 448 – 450.
[3]- أوغلى،مرجع سابق، ص485.

منذ عهد السّلطان بايزيد الأوّل اهتمّ سلاطين الدّولة العثمانيّة برعاية الأدباء والشّعراء والعلماء، كما احتاج العثمانيّون إلى من يُدوّن سيرهم ويخلّد بطولاتهم، ومنذ تلك الفترة بدأ تدوين التّاريخ التّقليديّ للبلاط العثمانيّ[1].

تأثّر الأدباء العثمانيّون بالتّأثيرات العربيّة والفارسيّة الّتي كانت مصدر إلهام بالنّسبة إليهم، فالأدب العثمانيّ هو إسلاميّ في جوهره، كُتب باللّغة العثمانية ، مع استعارة كلمات وتعابير لا تحصى من اللّغتين العربيّة والفارسيّة، إذ لطالما اعتبروا القواميس العربيّة والفارسيّة ملكا مشاعا اقتبسوا منها ما شاؤوا من كلمات، وبهذا تمكّن هؤلاء من

صهر هذه التّعابير الأدبيّة العربيّة والفارسيّة وخلق أدب جديد عرف بالعثمانيّ. ومنه نستنتج تأثّر الأدب العثمانيّ – في هذه المرحلة – بالأدب الفارسيّ والعربيّ وطغيان الطّابع الإسلاميّ عليه[2]. كما تظهر التّأثيرات العربيّة بوضوح على علمي القانون والعقائد، حتّى أنّ الكثير من علماء الدّولة العثمانيّة آنذاك كانوا من أصول عربيّة، وحتّى الّذين كانوا أتراكا فضّلوا استعمال اللّغة العربيّة على غيرها[3]، كما تلقّى الكثير من علماء الدّين العثمانيّين علومهم في البلاد العربيّة، واعتبرت الفارسيّة لغة الآداب والعلوم[4].

طغى على الأدب العثمانيّ – خلال الفترة السّابقة – طابع التّرجمة، لكن منذ نهاية القرن 14م بدأت تظهر الأنواع الأدبيّة المختلفة، ومن أهمّها (المثنويّات والخمسات والتّفاسير والعقائد والفقه والتّصوّف والسّير وقصص الأنبياء وتذاكر الأولياء والمناظرات والشّروح وقصص البذولة والمناقب والملاحم والحكايات والتّواريخ) ومعظمها مستمدّ من الأدب الفارسيّ[5].

كما تميّز الإنتاج الأدبيّ العثمانيّ – خلال هذه الفترة – بطغيان الطّابع الدّينيّ الصّوفيّ عليه، بحيث تأثّر العديد من الأدباء والشّعراء بالنّظرة الفلسفيّة **لجلال الدّين الرّوميّ**[6] ويونس أمره، خاصّة فيما تعلّق بأمور الدّنيا والآخرة. إلى جانب هذا كان هناك للغزل والمدح نصيب وهذا ما يعرف بشعر الدّيوان وأطلق عليه

1- لويس،مرجع سابق، ص46.

2- *B*ertier *A*nnie, op. Cit. , p 09.

3- لويس،مرجع سابق، ص 195.

4- نفسه، ص 53.

5- أوغلي، مرجع سابق، ص36.

6- **جلال الدّين الرّوميّ**: الّذي تعتبر معظم كتاباته بالفارسيّة، كما يعتبر مؤسّس الطّريقة الملويّة. للمزيد انظر: *B*ertier *A*nnie, op. cit, p09.

صفة الشّعر اللّاديني. وبصفة عامّة كان للحركات الأدبيّة دور كبير في بروز وتطوّر اللّغة العثمانيّة فيما بعد[1]. بالإضافة إلى ما ذكرناه سجّلت الفترة ظهور الملحمة التّركيّة الإسلاميّة وتطوّرها، سواء بشكلها الشّفوي أو المدوّن. كما بدأت تظهر المعاجم المنظومة.

*** أدب الشّعوب غير المسلمة في البلقان**

بعد فتح العثمانيّين للبلقان جلبُوا معهم العديد من الحرف والصّناعات، وتمكّنُوا من نشرها. كما وأصبحت لغتهم هي الرّسميّة في البلاد المفتوحة، مع احتفاظ السكان المحليين بلغاتهم المحلية .

وفي إطار عمليّات التّهجير الّذي أشرفت عليها الدّولة – كما ذكرنا سابقا – سكن العديد من الأتراك المدن والقرى في البلقان، وحافظوا هناك على ثقافتهم بل وعملوا على نشرها، فانتشر الأدب الشّعبيّ التّركيّ بين سكّان البلقان، ونتيجة لتأثّر أدباء أوروبّا المسلمة، بالأتراك شرعوا في كتابة مؤلّفاتهم الأدبيّة بلغتهم الأمّ مستخدمين الأبجديّة العربيّة على غرار الفرس والأتراك، وبدأت تظهر الأسس الأولى للأدب الشّعبيّ لدى الشّعوب المسلمة في أوروبّا، والمعروف بأدب **الخميادو**[2].

د- الفنون والعمارة

كان الطّابع العامّ للفنون في الدّولة العثمانيّة مع نهاية القرن 14م، يشبه إلى حدّ كبير نظيره في إمارات الأناضول الأخرى، فالموسيقى سواء منها العسكريّة والدّينيّة والكلاسيكيّة والفلكلوريّة تعاطت معها مختلف شرائح المجتمع العثمانيّ آنذاك، فكان سماعها في التّكايا المولويّة يعتبر شكلا من أشكال العبادة، وكانت تدرّس إلى جانب اللّغات المختلفة والخطّ، وأقيمت لها دور للسّماع، تعرف بسماعخانة، الّتي كانت بمنزلةقاعات للاحتفال[3].

تأثّر العثمانيّون – خلال هذه الفترة – بالعمارة في غرب الأناضول وشرق البحر الأبيض المتوسّط، وتدلّ المنشآت العمرانيّة الّتي تعود إلى تلك الفترة على مدى انحرافها عن العمارة السّلجوقيّة وحتّى عن التّقاليد الإسلاميّة في غرب آسيا، ويتّضح هذا جليّا من خلال مسجد بايزيد الّذي بني عام 1400م، الّذي يعتبر من

1- للمزيد انظر: أوغلى، ص ص 38 -40 -48 -49.

2- عرف هذا النّوع من الأدب عند الأندلسيّين بعد سقوط دولتهم، إذ كانوا يكتبون أعمالهم الأدبيّة مستعملين اللّغة الإسبانيّة، وهو ما أطلق عليه الأسبان الخميادو. انظر: أوغلى،مرجع سابق، ص146.

3- أوغلى،مرجع سابق ، ص 759.

أضخم المنشآت المعماريّة لتلك الفترة، والّذي يعتبر مخطّطه فريدا من نوعه بحيث لم يتكرّر بناء نماذج مشابهة له. بالإضافة إلى مجمّعات عمرانيّة أخرى شيّدت خلال هذه الفترة من أهمّها مجمّع «يلدرم» الّذي أقامه السّلطان بايزيد في بورصة عام 1392م. كان الفنّ المعماريّ مرتبطا بالدّولة، إذ كان العاملون في الورشات التّابعة للسّرايا، هم الّذين يقومون بإنجاز مختلف هذه المنشآت العمرانيّة، وكان هؤلاء ينتظمون في تشكيلات تضمّ المئات من ذوي المهارات، يطلق عليهم أهل الحرف، ويتكوّنون من الأسطوات الكبار والصّبية المساعدين لهم[1]. أمّا فنّ الزّخرفة والخطّ والتّذهيب، فقد كان تأثير السّلاجقة واضحا عليه، لكن للأسف لم تصلنا نماذج كثيرة عن الخطوط ولا عن الزّخرفة المستعملة آنذاك، بسبب النّكبة الّتي حلّت بالدّولة العثمانيّة بعد 1402م[2].

إذاً فالسّلطان بايزيد الأوّل بأعماله هذه، يكون قد أضاف الكثير على تنظيمات وهياكل الدّولة العثمانية ، وحوّلها من مُجرّد إمارة يتمتع فيها حكام أقاليمها بصلاحيات واسعة إلى دولة مركزية ذات مؤسسات ثابتة . هذا ما لم يتقبله أمراء الأناضول الذين ألفوا حرية التصرف في إماراتهم.

كما بدأت تظهر جلياً مؤسسات الدّولة السياسية، العسكرية و الاقتصادية ، بل وحتى عمل على أن يكون للدولة اقتصاد قوي، مستغلاً الموقع الاستراتيجي لدولته ، وبذلك بدأ يتشكل الكيان العثماني إن صحّ التّعبير.

1- للمزيد انظر: نفسه ، ص ص 695 -698 -693.

2-نفسه، ص ص659 -741 -751 -759.

الفصل الثالث:علاقات الدولة العثمانية الخارجية خلال فترة حكم السلطان بايزيد الأوّل (1389– 1402م)

المبحث الأوّل : علاقات الدّولة العثمانيّة مع المماليك

المبحث الثاني : علاقات الدّولة العثمانية مع بيزنطة

المبحث الثالث : علاقات الدّولة العثمانية مع ممالك البلقان

* معركة نيكوبوليس(**NICOPOLIS)** 1396 م

* حركات التّهجير

المبحث الرابع : العلاقات العثمانية الفارسية

المبحث الخامس: علاقات الدّولة العثمانية مع جنوة والبندقية

المبحث السادس: علاقات الدولة العثمانية مع المغول

*معركة أنقرة1402م

المبحث السابع: أوضاع الدولة العثمانية بعد معركة أنقرة 1402م

المبحث الأوّل: علاقات الدّولة العثمانيّة مع المماليك

تأرجحت علاقة الدّولة العثمانيّة **بالمماليك**[1] قبل تولّي السّلطان بايزيد الحكم، بين التّوتر تارة والعداوة تارة أخرى، بسبب التّنافس حول الأحقّيّة في تزعّم العالم الإسلاميّ من جهة، واحتضان الدّولة العثمانيّة وتشجيعها لمختلف الطّرق الصّوفيّة من جهة أخرى. رغم هذا أظهر المماليك بعض التّسامح مع بعض الطّرق الصّوفيّة وقدّموا الاحترام لزعمائها، إرضاءً للعثمانيّين[2]. ورغم القواسم المشتركة بين الدّولتين إلّا أنّ الثّقة بين الطّرفين كانت مفقودة، فالسّلطان برقوق كان يدرك بأنّ الخطر المحدق به يتمثّل في المغول، ولكنّ خشيته كانت أكبر من العثمانيّين فقد كان دائما يقول: "**أنا لا أخشى الكفّار... وإنّما أخشى ابن عثمان**"[3].

وبعد تولّي بايزيد الأوّل السّلطة استمرّت العلاقات على حالها، خاصّة بعد تمادي هذا الأخير في اعتداءاته على الإمارات المسلمة في الأناضول، ونقمة المسلمين والعلماء في آسيا الصّغرى عليه، فقد هاجم قيصريّة عام 1393م، والّتي كانت مشمولة بحماية المماليك، وبذلك صدقت تنبّؤات السّلطان برقوق بشأن تخوّفه من آل عثمان[4]. ولما أحّس السّلطان بايزيد بالخطر المغوليّ وحاجته الماسّة لمساندة دولة قويّة له، ولم يكن له مناص من كسب ودّ المماليك، فحرص على تأكيد صداقته واحترامه للسّلطان المملوكيّ برقوق. وفي هذا الإطار بعث إليه بهدايا ورسالة اعتذر له من خلالها عن ما بدر منه، وحذّره من الخطر المغوليّ الدّاهم، ونصحه بأن يكون متيقّظا لذلك، كما طلب السّلطان العثمانيّ من نظيره المملوكيّ أن يبعث له بطبيب لمعالجته لأنّه كان يعاني ضربان المفاصل[5]، فبعث السّلطان المملوكيّ بطبيبه الخاصّ شمس الدّين محمّد بن صغير وبعث معه الكثير من العقاقير والأدوية لمعالجته وهدايا [6].

1- **المماليك**: المقصود بهم المماليك البرجيّة، ذوو الأصول الشّركسيّة، وقد شمل نفوذ دولتهم مصر والشّام والحجاز، وقد سمّوا كذلك لأنّه جيء بهم كعبيد من بلاد الكرخيز والقبجاق واستخدموا في حماية الحصون فكانت إقامتهم فيها. انظر: عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق، ص ص72-73.

2- إيفا نوف، مرجع سابق ص 70.

3- القرماني، مصدر سابق، ص 301.

4- محمد سهيل طقوش، **تاريخ المماليك في مصر والشّام**، ط1، دار النّفائس لبنان، 1998م، ص 400.

5- ابن إياس، مصدر سابق، ص 260.

6- زين الدّين عبد الباسط بن خليل، **نيل الأمل في ذيل الدّول**، ج1، ط1، 2002م، المكتبة العصرية، بيروت، ص 336.

ومن خلال المراسلات الّتي كانت تتمّ بين الطّرفين، ظلّ السّلطان المملوكيّ برقوق يُذكّر نظيره العثمانيّ بايزيد الأوّل بأنّ دولتيهما بمنزلة روحين في جسد واحد وساعدين في عضد واحد، وبدوره كان السّلطان العثمانيّ يؤكّد احترامه وتقديره لسلطان المماليك. كما أعلن استعداده لمساندة المماليك إذا ما تعرّضت مصر لأيّ هجوم من طرف المغول[1].

ومنذ عام 1383م ظهر الخطر المغوليّ بالشّرق الأوسط ثانية، وهذه المرّة بقيادة تيمورلنك، الّذي استولى بسرعة فائقة على بلاد ما وراء النّهرين، وخراسان و**تبريز**[2]عام 1386م وطرد حاكمها قره محمد التّركمانيّ، الّذي عاد إليها عام 1388م. وفي 1393م استولى تيمورلنك على بغداد، وتمكّن حاكمها السّلطان **أحمد بن أويس الجلائريّ**[3] (1382-1410) من الفرار إلى القاهرة طالبا الحماية، الّتي وفّرها له السّلطان برقوق. وبعدها دخل المغول بغداد وفعلوا بها ما فعله أسلافهم من قبل بقيادة هولاكو. ومن بغداد راسل تيمورلنك القاضي برهان الدّين، وهدّده إن لم يعلن طاعته له، فقام هذا الأخير بقتل رسل المغول وأرسل نصفهم للسّلطان برقوق، والنّصف الثّاني للسّلطان العثمانيّ بايزيد، وكان ردّ كلا العاهلين استعدادهما لمساعدة القاضي برهان الدّين في حالة تعّرض مملكته لاعتداء مغوليّ[4].

كما راسل تيمورلنك السّلطان برقوق طالبا منه طرد أحمد الجلائريّ، ولكنّ هذا الأخير رفض وقام بقتل رسل المغول. على إثر هذا عبر المغول نهر دجلة واتّجهوا شمالا لمهاجمة المماليك في بلاد الشّام والعثمانيّين على حدّ سواء. فاحتلّوا أرمينية الكبرى ثمّ استولوا على بلاد قرا يوسف التّركمانيّ زعيم قبيلة قراقوينلو (الخروف الأسود). عندها شعر السّلطان برقوق بالخطر وتوجّه بجيشه لمجابهة المغول في بلاد الشّام، لكنّ العاهل المغوليّ عزف عن ذلك وتوجّه لغزو الهند، بعد أن بلغه نبأ وفاة ملكها، وشيوع الفوضى بها[5].

1- المقريزيّ، مصدر سابق، ص 817.

2- **تبريز**: بكسر التّاء، هي أشهر مدن أذربيجان، غزاها التّتار عام 618هـ لكنّها لم تتعرّض للتّدمير بسبب استسلامها، إتّخذها الصفويين عاصمة لهم. انظر: ياقوت الحمويّ، مصدر سابق، ص 13.

3- **أحمد الجلائريّ**: هو رابع سلاطين الدّولة الجلائريّة (784هـ-813هـ/ 1382م-1410م) وهو رابع أبناء السّلطان أويس، في عام 1382م تمرّد على حكم أخيه حسين واستولى على تبريز، لكن لم يُعترف به كسلطان على جميع البلاد إلّا بعد صراع طويل مع إخوته، وبعد وفاة تيمورلنك في 1405م استعاد كامل أملاكه. وفي عام 1410م هزمه قارة يوسف بعد أن استولى على أذربيجان ثم قتله. يعرف عنه أنه كان قاسيا. انظر: أ. ي. فننك، مرجع سابق، م1، ع5، ص 474.

4- أحمد بن عرب شاه، مصدر سابق، غ. م.

5- نفسه، غ.م.

يبدو أنّ السّلطان برقوق لم يكن يثق في مناورة تيمورلنك لهذا توجّه بجيشه صوب الشّام حتّى وصل دمشق في ماي 1394م. وفي هذه الأثناء راسل السّلطان العثمانيّ بايزيد السّلطان برقوق عارضًا عليه التّحالف معه ضدّ المغول[1].

وبعد معركة نيكوبوليس 1396م، بعث السّلطان بايزيد خان بكتابين إلى القاهرة، الأوّل للخليفة العبّاسيّ **أبي عبد الله محمّد بن المعتضد المتوكّل على الله**[2] يطلب منه تسميته بسلطان الرّوم، حتّى يطبع سلطته بطابع رسميّ وشرعيّ، فتزداد هيبته في العالم الإسلاميّ[3]، والكتاب الثّاني للسّلطان المملوكيّ برقوق يبشّره بانتصاره على التّحالف الصّليبيّ، كما قدّم له هديّة منها ستّون أسيرا مسيحيّا (فرنسيّين وإيطاليّين)[4]. وبما أنّ وجود الخلفاء العبّاسيّين كان شكليّا فقط فقد عارض السّلطان المملوكيّ في البداية تسمية بايزيد بسلطان، لكنّه حسب ما يبدو وبسبب ظهور خطر المغول، وحاجته لحلفاء أقوياء وافق عليه، ووافق الخليفة العبّاسيّ بدوره على ذلك[5]، وهذا نظرا للخدمات الجليلة الّتي قدّمها السّلطان العثمانيّ للإسلام وللمسلمين بعد هذه المعركة. حصل بذلك بايزيد على لقب سلطان الرّوم[6]، واعتبر نفسه خليفة للسّلاطين السّلاجقة، ولو أنّ طموحاته كانت أكبر من ذلك، بحيث كانت تتمثّل في تزعم العالم الإسلامي [7].لكن بعد وفاة السّلطان المملوكيّ برقوق في جوان 1399م وتولّي ابنه السلطان الشاب **النّاصر فرج**[8] (1399–1412م)

---

[1]- محمود محمّد الحويريّ، **تاريخ الدّولة العثمانيّة في العصور الوسطى**، ط01، المكتب المصريّ لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2002م، ص ص 83-85.

[2]- **محمّد أبو عبد الله بن المعتضد:** بويع بالخلافة العبّاسيّة بمصر بعد موت أبيه على عهد السّلطان المملوكيّ قلاوون، وقد خلع من منصبه مرّتين توفّي في القاهرة عام 885هـ ودامت فترة حكمه 45 سنة. انظر: القرمانيّ، مصدر سابق، ص186.

[3]- ابن إياس، مصدر سابق، ص 420.

[4]- *H*ammer, op. Cit., p338.

[5]- لويس، مرجع سابق، ص 39.

[6]- فؤاد متولّي، مرجع سابق، ص 74.

[7]- لويس ، ص 49.

[8]- **النّاصر فرج (1389م–1412م)**: هو الملك النّاصر ابن برقوق أبو السعدات من ملوك الجراكسة بمصر والشّام، بويع بالقاهرة عام 1399م بعد وفاة أبيه وكان صغير السّن. تمرّد عليه نائب الشّام عام 1400م والتفّ حوله العديد من الأمراء، وتمكّن السّلطان الشّاب من القضاء على التّمرّد بفلسطين، ودخل دمشق لكنّه سرعان ما عاد إلى مصر. وعند غزو المغول بقيادة تيمورلنك لبلاد الشّام اكتفى بمناوشة جيوش المغول تمرّد عليه رجال أبيه الّذين تمكّنوا من القبض عليه وقتله عام 1412م. انظر: خير الدّين الزّركليّ، **قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج5، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م، ص 140.

السّلطةَ، وزوال الخطر المغوليّ بعد توجّه تيمورلنك لغزو الهند، احتلّ العثمانيّون مالطية والبستان في صيف عام 1399م[1]، كما احتلّوا إمارة ذي القدر وسليسيا التّابعتين للمماليك ومدنا وحصوناً مملوكيّة أخرى، ووصلت سيطرتهم حتّى الفرات حيث اعترف بنو القادر بالسّيطرة العثمانيّة عليهم[2]. وكان السلطان بايزيد يسعى من وراء ذلك إلى توطيد الوحدة البلقانيّة الأناضوليّة لدولته مستعينا في ذلك بفرق عسكريّة صربيّة[3]. وبهذا أبان بايزيد عن استهتاره بالعلاقات الودّيّة بين الدّولتين ورغبته في تزّعم العالم الإسلاميّ[4]. ولما أحسّ السّلطان بايزيد يلدرم باقتراب خطر المغول ثانية، طالب التّحالف من جديد مع السّلطان المملوكيّ النّاصر صلاح الدّين فرج، ولكنّ هذا الأخير رفض، لذلك تمكّن تيمورلنك من هزيمة المماليك قرب دمشق عام 1400م، ثمّ هاجم العثمانيّين وهزمهم في معركة أنقرة عام 1402م[5].

1- ابن إياس، مصدر سابق، ص 277.

2- أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة**، مرجع سابق، ص 106.

3- *Standford* Shaw, op. Cit. ,p. p 32-33.

4- ابن ترغي بردي، مصدر سابق، ج 12، ص179؛ ابن إياس، ص 547.

5- فؤاد متولي، المرجع السابق، ص 75.

المبحث الثّاني: علاقة الدّولة العثمانيّة مع بيزنطة

عانت بيزنطة كما سبق ذكره في الفصل الأوّل، تعاني من مشاكل داخليّة جدّ معقّدة، وتحدّيات خارجيّة خطيرة. وكانت أطماع الدّولة العثمانيّة فيها على رأس هذه التّحدّيات، خاصّة السّلطان بايزيد الأول الّذي أظهر أطماعه فيها صراحة بعد تولّيه السّلطة، ووضع نصب عينيه فتح العاصمة القسطنطينيّة، الّتي أصبحت محاطة بالعثمانيّين من كلّ الجوانب، لكنّ حربه ضدّ إمارات الأناضول حالت دون ذلك[1].

تابع السّلطان بايزيد إذًا سياسة والده تجاهها، والمتمثّلة في التّدخّل في شؤونها الدّاخليّة، وفي الصّراعات العائليّة بين أفراد أسرة **باليولوغوس**[2]، تمهيدا لفتح القسطنطينيّة. فبعد موت أندرونيك الرّابع في جوان 1385م، عرفت بيزنطة صراعا حول الحكم بين الوريث الشّرعيّ للحكم يوحنّا السّابع بن أندرونيك الرّابع المدعوم من قبل الجنويّين والعثمانيّين[3] ويوحنّا الخامس. وتمكّن الوريث الشّرعيّ للحكم المدعوم بقوّات عثمانيّة من الدّخول إلى القسطنطينيّة واستلام مقاليد الحكم في 13 أفريل 1390م[4]. في حين انتقل يوحنّا الخامس رفقة ابنه مانويل إلى الخارج، لكنّ هذا الأخير تمكّن من استعادة عرش والده، وأصبح بذلك يوحنّا الخامس من جديد إمبراطورًا[5]، ولكن وفي الوقت ذاته وجد نفسه تحت رحمة العثمانيّين وبقي الوضع على حاله إلى أن توفّي في16 فيفري 1391م[6]. أمّا الإمبراطور يوحنّا السّابع فقد لجأ إلى السّلطان العثمانيّ وطلب الحماية منه، ووافق هذا الأخير على عرض الإمبراطور البيزنطيّ واستعمله كوسيلة ضغط على الإمبراطور يوحنّا الخامس[7].

ومن مظاهر إذلال السّلطان العثمانيّ للإمبراطور البيزنطيّ، أن طلب منه بأن يبعث له مائة جنديّ بقيادة ابنه، ولم يكن أمام الإمبراطور البيزنطيّ سوى الرّضوخ لأوامر السّلطان العثمانيّ، فأرسل ابنه إمانويل

1- محمّد عبد اللّطيف هريدي، مرجع سابق، ص 25.

2- **أسرة باليوغوس**: هي أسرة يونانيّة حكمت الإمبراطوريّة البيزنطيّة منذ عام 1261م حتّى 1453م، يعتبر قسطنطين 11 الّذي حكم إلى غاية 1453م آخر إمبراطور. انظر: حسين محمّد نصّار، مرجع سابق، ص 617.

3- R.Leonertz, op.cit., p180.

4- للمزيد انظر: زبيدة عطا، **بلاد التّرك في العصور الوسطى (بيزنطا، سلاجقة الرّوم والعثمانيّون)**، دار الفكر العربيّ، ص 173.

5- سهيل طقوش، **تاريخ العثمانيّين**، مرجع سابق، ص 58.

6- مونتران، مرجع سابق، ص 63.

7- سهيل طقوش، **تاريخ العثمانيّين**، ص 58.

بجيشه الّذي ساعد العثمانيّين في إخضاع بعض الإمارات التّركمانيّة وفي الاستيلاء على مدينة آلا شهر (فيلادلفيا) آخر مدن البيزنطيّين في آسيا الصّغرى[1].

وأثناء انشغال العثمانيّين بإخضاع إمارات الأناضول، استغلّ الإمبراطور البيزنطيّ غياب السّلطان العثمانيّ وشرع في تحصين أسوار العاصمة القسطنطينيّة، لكنّه تلقى الأوامر من السّلطان العثمانيّ بوجوب تهديمها فورا، وإلاّ قام بسمل عيني ابنه إمانويل، لهذا اضطرّ للرّضوخ لأوامر السّلطان [2]. لم يستطع الإمبراطور تحمّل هذه الإهانات ومات حزنًا ويأسًا في 16 فيفري عام 1391م[3].

وعندما بلغه نبأ وفاة والده تمكّن الأمير إمانويل من الفرار من قبضة بايزيد في آسيا الصّغرى (بورصة)، واعتلاء عرش بيزنطة في القسطنطينيّة تحت اسم إمانويل الثّاني (1391م–1452م)[4]، ولكن أيّ عرش وبيزنطة تعيش أسوأ فترات تاريخها[5]. وكأنّ بالإمبراطور الجديد أعطى – بعمله هذا – الذّريعة للسّلطان العثمانيّ لضرب حصار جديد على القسطنطينيّة، ووقع بذلك هو الآخر تحت رحمة السّلطان العثمانيّ، الّذي انتقل بجيشه إلى أوروبّا وضرب حصارا محكما على المدينة منذ 1391م، و هذا استعدادًا لفتحها[6]. وبعد عجز الإمبراطور عن مواجهة العثمانيّين طلب المساعدة من الدّول الأوروبّيّة لإنقاذ عاصمته، لكنّه لم يتلقّ سوى قوّات رمزيّة من فرنسا والبندقيّة، لهذا قبل بشروط العثمانيّين مقابل رفع الحصار. وتمثّلت هذه الشّروط في ضريبة سنويّة قدّرت بعشرة آلاف قطعة ذهبيّة، وبهدم مئات من البيوت في القسطنطينيّة لتأسيس حيّ تركيّ وإنشاء محكمة إسلاميّة ومسجد في جزء منها[7] أصبح يعرف باسم **سركجي (Serkeci)**[8]، كما سمح ببقاء حامية عثمانيّة تتألّف من 6000 جنديّ في حيّ جالتا على الشّاطئ الشّماليّ للقرن الذّهبيّ[9]، وبهذا لم يعد

1– طقوش، **تاريخ العثمانيّين**، مرجع سابق، ص 58.
2– عزتلو يوسف بك أصاف، مرجع سابق، ص 40.
3– مونتران، مرجع سابق، ص 63.
4 –*H*ammer, op.cit., p 301.
5– زبيدة عطا، مرجع سابق، ص 174.
6– أحمد فؤاد متولّي، مرجع سابق، ص ص 77-78.
7– القرمانيّ، المصدر السابق، ص 301.
8– **سركجي**: معناها العامل في صناعة الخل. انظر: standard sozluk ,ArapÇa-TurkÇe, baski ve cilt, ayhane matbaasi, ekim 2011,s 112
9– الحويريّ، مرجع سابق، ص 70.

للإمبراطور البيزنطيّ من سلطة سوى داخل أسوار القسطنطينيّة[1]. وبعث له بايزيد بخطاب يقول فيه: "**إذا لم تكن راغبا في تنفيذ أوامري، فأغلق عليك أبواب مدينتك، واحكم داخلها، لأنّ كلّ ما هو موجود خلف الأبواب هو ملك لي**". ويبدو أنّ السّلطان بايزيد فكّ الحصار عن القسطنطينيّة للتوجّه نحو البلقان بعدما وصلته أخبار تفيد باستعدادات عسكريّة هناك لمجابهة العثمانيّين[2].

ثمّ عادت العلاقات الطّيّبة بين السّلطان العثمانيّ بايزيد والإمبراطور البيزنطيّ إمانويل، إذ قدم هذا الأخير في 08 جوان 1391م إلى آسيا الصّغرى على رأس قوّة عسكريّة، لمساعدة بايزيد في حروبه، وكان يعتبر نفسه حليفا للسّلطان العثمانيّ، لكنّ هذا الأخير لم يكن يعترف به كذلك، بل كان يعتبره تابعا له[3]، وبلغ استهتاره به أنّه علّق عليه قائلا: "**أيّ شخص لا يعلم حقيقة أنّه إمبراطور فإنّه يستطيع استنتاج هذا من خلال مظهره**". وكان بايزيد في عام 1393م قد أعلن صراحة أمام أتباعه من السّلافيّين والبيزنطيّين أنّه يرغب في الاستيلاء على القسطنطينيّة، وللقيام بذلك كان عليه إخضاع جميع القوى الموجودة في البلقان حتّى لا تتمكّن من تقديم المساعدة للبيزنطيّين[4]. ونظرا لافتقار العثمانيّين آنذاك لقوّة بحريّة قويّة تُمكّنهم من قطع الإمدادات الخارجيّة للقسطنطينيّة فقد أجّلوا مشروعهم هذا[5]. وبسبب تذمّر الإمبراطور البيزنطيّ إمانويل من الضّغوطات الممارسة من قبل السّلطان بايزيد قرّر التّخلص من هذه التّبعيّة. لهذا أقدم السّلطان العثمانيّ على ضرب الحصار ثانية على القسطنطينيّة منذ 1395م، ثمّ تراجع لما لم يجد من ورائه فائدة[6].

وبعد معركة نيكوبوليس1396م، شكّل بايزيد إمبراطوريّة مركزيّة تمتدّ من الدّانوب غرباً إلى الفرات شرقاً، وكان في نظر السّلطان العثمانيّ أنّه من البديهيّ أن تكون القسطنطينيّة عاصمة لهذه الإمبراطوريّة[7]،فضرب عليها الحصار للمرّة الثّالثة منذ 1397م، وقام ببناء **قلعة أناضولي حصار**[8] على البرّ

[1]- مونتران، المرجع السابق، ص 174.

[2]- طقوش، **تاريخ العثمانيّين**، مرجع سابق، ص 59.

[3]- للمزيد انظر: أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة**، المرجع السابق، ص 104.

[4]- للمزيد انظر: زبيدة عطا، مرجع سابق، ص 174-175.

[5]- الحويريّ، المرجع السابق، ص 70.

[6]- فؤاد متولّي، المرجع السابق، ص 78.

[7]- خليل اينالجيك، مرجع سابق، ص 30.

[8]- **قلعة أناضولي حصار**: تسمى كذلك، كزل حصار Guzeldjé hyssarr (أي القلعة الجميلة) وآقجة حصار أي القلعة الضّاربة إلى البياض، بناها السّلطان بايزيد على الضّفّة الآسيويّة من مضيق البوسفور استعدادا لفتح القسطنطينيّة. انظر: فؤاد متولّي ص79.؛M.J^u^.M^e^.Jouanine =

الآسيوي الآسيويّ في مواجهة المدينة، لقطع الإمدادات الّتي يمكن أن تصل إليها من البحرالأسود وزادت بذلك أوضاع بيزنطة سوءاً على سوء [1]، وأصبح سكّانها يطالبون بتسليم مدينتهم للعثمانيّين على أن يموتوا جوعا[2].ونتيجة لإحكام بايزيد حصاره على القسطنطينيّة، سافر الإمبراطور إمانويل الثّاني إلى أوروبّا لطلب المساعدة، كما فعل والده من قبل، لكنّه عاد خائبا، وقبل بشروط بايزيد المتمثّلة في بناء مسجد جديد في العاصمة البيزنطيّة وهو المسجد الرّابع، وإنشاء محكمة، وإقامة حيّ خاصّ للأتراك، مع دفع جزية سنويّة قدرها 10آلاف دوقية ذهب[3]. وفيما بين 1399م و1401م قام العثمانيّون بضرب الحصار الرّابع على القسطنطينيّة[4]، وبحلول عام 1400م هدّد باقتحام المدينة ، وإبادة سكّانها، إذا لم يسلّمها له الإمبراطور البيزنطيّ. فرفض الإمبراطور البيزنطيّ هذه التّهديدات وأجاب السّلطان العثمانيّ بما يلي: "**رغم ضعفنا إلّا أنّ الله يحمي الضّعفاء وينتقم من الأقوياء وعلى السّلطان أن يفعل ما يشاء**"[5].وانتقل الإمبراطور ثانية إلى أوروبّا طالبا المساعدة، وعيّن عدوّه القديم وابن شقيقه يوحنّا السّابع وصيًّا على العرش، لكنّه لم يتلقّ أيّة مساعدة[6]، ومكث في باريس من فيفري 1401م إلى نوفمبر 1402م، ينتظر خبر سقوط عاصمته، في الوقت الّذي ذهبت فيه سفارة من النّبلاء البيزنطيّين في الأناضول لتسليم مفاتيح عاصمتهم للسّلطان العثمانيّ[7]. وخلال هذه الفترة اضطرّ العثمانيّون إلى فكّ الحصار عن القسطنطينيّة والتّوجّه شرقا لمواجهة جيوش المغول بقيادة تيمورلنك، على أن يعودوا لحصارها فيما بعد. وخلال تواجد الإمبراطور البيزنطيّ بباريس بلغه نبأ هزيمة العثمانيّين في معركة أنقرة، لهذا عاد إلى القسطنطينيّة في 09 جوان 1403م[8].

---

et M.Jules Vangaver, ***L'Univers ou Histoire et description de tout les peuples ,laTurquie*** . Firmin didot frères, éditeurs ,Paris,.s.d, p,43.

1 - *G*autier *P*aule, « Action grâce pour l'Anniversaire de la bataille d'Ankar, 18juillet 1402 », in ***Revue des études*** **byzantines** , N°19 Année, 1961,p345.

2- *H*ammer, op . cit. , p342.

3 - *H*ammer, op . cit. , p 343

4– أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة**، مرجع سابق، ص 108.

5 - *H*ammer, op.cit. , p355.

6– طقوش، **تاريخ العثمانيّين**، مرجع سابق، ص 64 .

7– نيقولو باربارو، **الفتح الإسلاميّ للقسطنطينيّة (يوميّات الحصار العثمانيّ 1453م)**، دراسة وترجمة وتعليق حاتم عبد الرّحمن الطّحاويّ، ط01، عين الدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، جمهوريّة مصر العربيّة 2002م، ص 28.

8 – Gautier *P*aule, op .cit .,P 346 .

المبحث الثّالث: علاقة الدّولة العثمانيّة مع ممالك البلقان

تميّز الوضع العامّ في البلقان خلال القرن 14م، بالتّشرذم والعجز السّياسيّ، والّذي كان يمثّل بالنّسبة للعثمانيّين الدّنيا الجديدة لهم، تماما مثلما كان الأوروبيّون يرون القارة الأمريكيّة بعد اكتشافها[1]. وممّا ساعد العثمانيّين على بسط سيطرتهم عليه، أنّه كان مقسّما إلى دويلات تحكمها سلالات مختلفة، ساد بينها التّنافس والعداء، وكانت العلاقات بينها وبين بيزنطة على أسوء حال، إذ ظهر تنافر شديد بينهما، لا من النّاحية السّياسيّة فقط بل حتّى من النّاحية الدّينيّة[2]. كما كانت هناك قطيعة بين الحكّام وشعوبهم، فلم يتألّم هؤلاء لما حدث لحكّامهم وأمرائهم على يد العثمانيّين بل تفادوا مساعدتهم في بعض الأحيان، ورأوا في الوجود العثمانيّ في بلادهم تخليصا لهم من عبوديّة حكّامهم[3]. هذا ما سهّل من مهمّة توغّل العثمانيّين الّذين كانوا يتبعون في ذلك خطوات ثابتة، وكان برفقتهم الدّراويش الّذين كان لهم دور كبير في أسلمتهم.

كما كان هناك في البلقان من كان مستعدّا للتّعاون والتّحالف مع المجر أو مع أيّة دولة أوروبيّة أخرى ضدّ العثمانيّين خاصّة رجال الدّين ورجال العلم، بالمقابل كان الرّوم الأرثوذكس يرغبون في التّعاون مع العثمانيّين[4]. كما شجّع تدهور أوضاع بيزنطة مالكو الأراضي الكنسيّة والعسكريّة بالبلقان على الاستقلال بالمقاطعات الّتي بحوزتهم مدى الحياة، والّتي أصبحت تعرف بالبرونة (Paronoia)، ورفضوا تسديد الضّرائب، على الرّغم أنّ هذه الأراضي كانت في السّابق ملكا للدّولة الّتي بدورها كانت تحوّل الضّرائب الواردة منها لتلبية النّفقات العسكريّة[5].

استغلّ العثمانيّون هذه الظّروف لصالحهم، فقد ظهروا في البداية كحلفاء للأرثوذكس ثمّ كحماة لهم فيما بعد، وقد تعاون كهنتهم مع العثمانيّين ضدّ إخوانهم في العقيدة الكاثوليك الّذين كانوا يرونهم عناصر منشقّة. أمّا الأرستقراطيّون والنّبلاء المحلّيّون الكاثوليك فقد تحالفوا مع الغرب المسيحيّ، وبهذا حدث تنافر كبير بين سكّان البلقان وحكّامهم، وحتّى هؤلاء الحكّام فمنهم من كان يؤيّد العثمانيّين[6].

---

[1]– برنارد لويس، مرجع سابق، ص 51.

[2]– مؤسّسة أتاتورك للثّقافة واللّغة والتّاريخ، مرجع سابق، ص 96.

[3]– ثرايا فاروقي، **الدّولة العثمانيّة والعالم المحيط بها**، مرجع سابق ، ص 185.

[4]– إينالجيك، مرجع سابق، ص 23.

[5]– نفسه، ص 24.

[6]– ثرايا فاروقي وآخرون، **التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ للدّولة العثمانيّة**، مرجع سابق، ص 60.

أظهر العثمانيّون تسامحا كبيرًا مع الأرستقراطيّين والعسكريّين بالبلقان – باستثناء الّذين قاوموهم – بحيث وزّعوا عليهم التّيمارات دون أن يُسمح لهم بامتلاكها، وباعتبارهم جنودا عثمانيّين أُعفُوا من دفع الضّرائب، وبهذا تمكّنوا من كسب موالاة الآلاف من الجنود المعروفين باللّغة السّلافية بالفوينيك (vojnik)[1]، كما سمحت الدّولة بتواجد الكثير من الصّرب واليونانيّين في الإدارات العثمانيّة وكان منهم من تولّى أعلى المناصب في جهاز الدّولة[2]. ويبدو أنّ هذه السّياسة سهّلت عمليّة سيطرة العثمانيّين على البلقان، لأنّ هؤلاء الملّاك مع مرور الزّمن اعتنقوا الإسلام، وأصبحوا جزءا من الدّولة العثمانيّة[3].

حافظ العثمانيّون على حياة وأملاك وأديان أهل الذّمّة، الّذين قبلوا بالحكم الإسلاميّ وقبلوا دفع الجزية مقابل إعفائهم من الجنديّة، وسمح لهم بالمحافظة على قوانينهم المستمدّة من تقاليدهم وذلك قصد استيعابهم والحدّ من مقاومتهم[4]، هذا في الوقت الّذي كان المسيحيّون في أوروبّا يعانون من اضطهاد الكنيسة ورجال الدّين، لهذا تحوّل الكثير من مسيحيّي البلقان طواعية للدّين الإسلاميّ، ولم يبذل بذلك العثمانيّون جهودا لإجبار المسيحيّين على اعتناق الإسلام، خاصّة وأنّه كان على الذّمّيّ في مقابل احتفاظه بدينه دفع الجزية، وبهذا كان دخول هؤلاء المسيحيّين في الإسلام خلاصا لهم من الظّلم، الّذي عانوه من الكنيسة المسيحيّة. ونتيجة لهذه السّياسة اعتنق سكّان البلقان من مختلف الطّبقات الاجتماعيّة الإسلام طواعية محافظين على لغتهم[5]وحرّيّتهم الدّينيّة وهويّتهم وثقافتهم[6]،وبذلك عرف البلقان مزيجا من التّراث الإغريقيّ الرّومانيّ القديم بالعادات السّلافيّة المسيحيّة، بالتّراث الإسلاميّ الصّوفيّ ، فكانت العقيدة الإسلاميّة المطبّقة في البلقان مزيجا من كلّ هذا[7].

وحرصًا منهم على تثبيت حكمهم بالبلقان، أقام العثمانيّون نظاما مركزيّا قويّا، فقد أعادوا ملكيّة الأرض للدّولة، مع بقاء بعضها في أيدي الزّعماء المحلّيّين، أو الأديرة وأصبحوا بدورهم في ما بعد مالكين

---

[1]– إينالجيك، مرجع سابق، ص 25-26.

[2] - *N.*Iogra , op.cit., p 32.

[3]- *M*antrant Robert, « l'Empire ottoman : une conception pragmatique du pouvoir », in ***compte rendus des séances de l académie des inscriptions et belle lettres***, l'année1993, volume 137, №03, p 769.

[4]– مونتران، مرجع سابق، ص 172.

[5]– مؤسّسة أتاتورك، مرجع سابق، 96.

[6]–كوبرلي، مرجع سابق، ص186.

[7] - *B*alivet *M*ichel, «***Aux origines de l'islamisation des Balkans ottomans***» , in*ROMM*, №66, 1992 , p17 .

لتيمارات عثمانيّة، وأُلغيت الكثير من الضّرائب والواجبات الإقطاعيّة، وأصبحت إدارة هذه الأراضي مسؤوليّة القضاة وأمراء المقاطعات[1]. وبهذا يُمكن القول أنّ ضمّ العثمانيّين للبلقان تمّ على مراحل وحسب الظّروف، فبعد إبعاد السّلطة المحلّيّة الحاكمة تمّ إحلال نظام التّيمار كنظام بديل عن الأجهزة الإداريّة القديمة[2].

بعد الانتصار الباهر الّذي حقّقه العثمانيّون في معركة كوسوفا 1389م، أخضع السّلطان الجديد بايزيد يلدرم معظم بلاد الصّرب، وعيّن الأمير ستيفن بن لازار جربالينانوفتش حاكما على البلاد وقد عُرف بميله للسّلم عكس والده، كما كان أكثر إدراكا منه للوضع الّذي آلت إليه مملكة الصّرب، فقد اعترف له السّلطان بايزيد الأول بحكم بلاده حسب قوانينهم، مقابل دفع الجزية وتقديم عدد معيّن من الجنود وقت الحاجة[3]. ولتوثيق الرّوابط بين الطّرفين تزوّج السّلطان بأخت ملك الصّرب الجديد أوليفيرا. ولم يضمّ السّلطان بايزيد مملكة الصّرب إلى الدّولة العثمانيّة رغم مقدرته على ذلك، حتّى يُطمئنهم ولا يكونوا شغلا شاغلا له مستقبلا[4]، وحتّى يجعل منهم حاجزا بينه وبين المجر[5].

وبقي الصرب على وفائهم، فعندما زحف التحالف الصليبي على الدولة العثمانية في 1396م رفت صربيا الانضمام إلى هذا التحالف ، ووقفت إلى جانب الدولة العثمانية في معركة نيكوبوليس ، كما أن الصرب وقفوا إلى جانب الدولة العثمانية بعد معركة أنقرة في 1402م ، رغم انه كان بإمكانها أن تتخذ موقفا مغايرا كذلك الذي اتخذته إمارات الأناضول الأخرى[6]. بعد كلّ هذا أجرى السّلطان الجديد تغييرات إداريّة تتعلّق بشؤون الإمارة الدّاخليّة، فقد قضى على الأرستقراطيّة المحلّيّة، مخالفا بذلك سياسة أسلافه الّذين لم يتعرّضوا لمملكات هذه الطّبقة، وحلّ بذلك قضيّة القوميّة الصّربيّة إلى حدّ ما[7]. ويبدو أن السّلطان بايزيد الأوّل كان صائبا فيما أقدم عليه، إذ أنّه ومنذ هذا التّاريخ عُرف عن الصّرب ولائهم للدّولة العثمانيّة، وظهر هذا جليّا بعد

[1]- ثرايا فاروقي وآخرون، **التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ للدّولة العثمانيّة**، مرجع سابق، ص 60.

[2]- نفسه، ص 59.

[3]- محمّد فريد بك المحامي، **تاريخ الدّولة العليّة العثمانيّة**، تحقيق حسن حقّي ط1، 1981م، دار النّفائس بيروت، 1401هـ/1988م، ص 21.

[4]- نفسه، ص 137.

[5]- عبد اللّطيف بوجلخة، **الدّولة العثمانيّة**، دار المعرفة، د.م.ن، د.خ.ش، ص 10.

[6] – محمد جميل بهسم ، فلسفة التاريخ العثماني ،(أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية و زوالها، صدر سنة 1373هـ /1954م ،دن،دن م، ص12.

[7]- عبد الرّحيم مصطفى، مرجع سابق، ص 51.

معركة نيكوبوليس 1396م، إذ وقفوا إلى جانب الدّولة العثمانيّة، ضدّ إخوانهم في التّحالف الصّليبيّ، كما ساندوا الجيش العثمانيّ في معركة أنقرة 1402م حتّى نهايتها، رغم أنّه كان بإمكانهم، استغلال الفرصة والتّمرّد على الدّولة العثمانيّة، مثلما فعلت بقيّة إمارات الأناضول الأخرى كما سنرى في مبحث لاحق. وحتّى بعد هذه المعركة وتفسّخ الدّولة العثمانيّة وانقسامها ودخولها في حرب أهليّة لم يستغلّ الصّرب الفرصة ويعلنوا انفصالهم عن الدّولة العثمانيّة، بل على العكس ثبتوا على عهدهم.

وأثناء تأديبه للإمارات الأناضوليّة الّتي تمرّدت على الدّولة العثمانيّة، بعد معركة كوسوفو، كلّف السّلطان بايزيد قادته العسكريّين بالتّوسّع على حساب البوسنة الّتي أصابها الضّعف والهوان بعد وفاة ملكها ترفكتو الأول، إذ يصفها الكاتب الفرنسيّ جيل لوبوفييه Gille le Bouvier، وهو يعطي صورة تعسة لها بما يلي: "**إنّهم يعيشون على التهام الحيوانات الضّارية، وعلى التقاط السّمك من الأنهار وعلى التّين وعسل النّحل الّذي لديهم منه مقادير كبيرة، وهذا هو كلّ طعامهم، كما أنّهم ينطلقون في عصابات، من غابة إلى أخرى لقطع الطّريق**"[(1)].

ثمّ واصل العثمانيّون توسّعاتهم واستولوا على عدّة مناطق من مقدونيا، حيث أسكنوا آلاف التّركمان في وادي قردار، وهذا لتكوين جبهة أماميّة جديدة ينطلق منها الغزو شمالا وغربا ولمنع أيّ عمل عسكريّ يمكن أن يقوم به الصّرب ضدّ الدّولة العثمانيّة لاحقا[(2)].

وفي صيف عام 1391م اجتاز العثمانيّون **نهر الطّونة**[(3)] ، واتّجهوا نحو الشّمال واستولوا على رومانيا بعد معركة (Argeso) وأسر الأمير (Mircea) ودخلت بذلك رومانيا (**الأفلاق**)[(4)] تحت السّيطرة العثمانيّة

[1]-محمود محمّد الحويري، مرجع سابق، ص 68.

[2]- نفسه، ص 68.

[3]- **نهر الدّانوب**: أو دونا بالمجرية، ثاني أكبر أنهار أوروبّا بعد الفولغا، يخترق وسط وجنوب شرق أوروبّا ويلتقي فيه أكثر من 300 رافد. يصبّ في البحر الأسود. يمرّ بعدّة مدن أوروبّيّة منها بودابست وبلغراد. سيطر العثمانيّون على مجراه الأعلى من المجر حتّى البحر. انظر: حسين محمّد نصّار، مرجع سابق، ص 1480.

[4]- **الأفلاق**: هم من رعايا الدّولة العثمانيّة، من غير المسلمين يعيشون عل طول الحدود، خاصّة في رومانيا، مهمّتهم إسناد الجيش أثناء الحروب، وإعمار القلاع والجسور في حالة السّلم، كانت تؤخذ منهم جزية تسمّى الفلوري بدل الجزية على الرّؤوس، لهذا كانوا يسمّون الفلوريّين. انظر: أورخان صادق جنبولات، مرجع سابق، ص 89.

واستمرّ هذا الوضع حتّى 1878م. وأضحت بذلك بلغاريا مهدّدة بالاحتلال العثمانيّ، وبما أنّ ملك المجر سيجسموند كان يعتبر نفسه وريثا للإمبراطور البيزنطيّ في البلقان، فقد قدّم يد المساعدة للبلغار[1]، ولكن رغم هذا استولى عليها العثمانيّون في 17 جويلية 1393م بعد دخولهم العاصمة ترينوفو، وتمّ إعدام ملكها **شيشمان**[2]، على اعتبار أنه كان قد نقض العهد مع السّلطان بايزيد أكثر من مرّة. واعتنق أكبر أبنائه – واسمه شيشمان كذلك – الإسلام وعيّنه بايزيد حاكما على إمارة سامسون في شمال الأناضول، حتّى لا يتعلّق به سكّانها. ويبدو أنّ بايزيد كسب الكثير من مسالمة ابني ملكي الصّرب والبلغار، بعد إخضاع هاتين المنطقتين لنفوذه، وعلى إثر ذلك عبر العثمانيّون نهر الدّانوب وأصبحوا محاذين للمجر[3].

وما يجدر بنا الإشارة إليه أنّه لم يتبع التّوسّع العثمانيّ في البلقان مظاهر التّدمير والتّخريب الواسع كما كان الحال بالنّسبة للمغول آنذاك، وإن حدث هذا في بعض الأحيان كان يتمّ إصلاح ما تمّ تدميره[4]. كما واكب عمليّات الفتح في البلقان عمليّات التّتريك، كما كان الحال في أدرنة الّتي تمّ فيها بناء العديد من المساجد والمدارس والبيوت، وأُسكن التّركمان المرحّلون إليها[5].

اعتمد السّلطان بايزيد سياسة جديدة في إدارته للمناطق المفتوحة في البلقان والمتمثّلة في تخلّيه عن الأسلوب القديم المتمثّل في مباشرة حكم البلاد المفتوحة من خلال أمراء تابعين وإدارة المناطق المفتوحة بنظام جديد يقوم على الحكم المباشر والخضوع للسّلطة المركزيّة[6].فقد عمد السّلطان بايزيد إلى التّخلّص من الأسر الحاكمة تحت سلطته بالبلقان خوفا من تمرّدها وضمّ إماراتها مباشرة للدّولة العثمانيّة وأنشأ بذلك إمبراطوريّة بحكومة مركزيّة[7].

وفي شتاء 1394/1393م، عقد السّلطان بايزيد مع تابعيه المسيحيّين اجتماع سارديس (Sardis) كلّا على

[1] -standford Shaw :op. Cit. , p 31.

[2]- أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة**، مرجع سابق، ص 105.

[3]- عبد الرّحمن بن عليّ العريبيّ، **قيام الدّولة العثمانيّة وحملات التّحالف الصّليبيّ ضدّها**، مجلّة الدّرعيّة، السّنة الثّالثة، العدد العاشر، يوليو 2000م، ربيع الثّاني 1421هـ، تاريخ الإضافة 21 أفريل 2012م، ص 02.

[4]- شوجر، مرجع سابق، ص 107.

[5]- الحويريّ، مرجع سابق، ص 28.

[6] -standford show, op. Cit., p 32 .

[7]- إينالجيك، المرجع السابق، ص 28.

حدة من أجل تكريس المزيد من تبعيّتهم له، وتقديم المساعدات العسكريّة له بشكل دائم[1]. وخلاله تبادل هؤلاء تُهم الخيانة، وإذا بالسّلطان بايزيد يهدّدهم بقتلهم جميعا، ثمّ سمح لهم بعودتهم إلى إماراتهم، باستثناء تيودور أمير المورة المستبدّ الّذي يشترط عليه السّلطان تسليمه مدنا مختلفة مقابل الإفراج عنه. وتدلّ هذه الواقعة على استصغار السّلطان بايزيد للباليوجيّين وإذلاله للأمراء المسيحيّين الآخرين. ومنه يمكن القول أنّ أتباع بايزيد عانوا منه أكثر ممّا عانى منه أعداؤه، فقد اتّهم حاكم بلغاريا شيشمان بالتّعاون مع أعدائه كما حاول عدّة مرّات إعدام حليفه حاكم الصّرب ستيفان لازار[2].

كان على طول بايلربكية الرّوملي سناجق متاخمة للدّول المعادية للدّولة العثمانيّة، تمتلك قوّات عسكريّة تعرف بقوّات التّخوم منها ثلاثة يرأس كلّ واحدة منها (أوتش بك)، بينما يواجه الجناح الأيمن الدّانوب الأدنى وولاشيا (الأفلاق)، يواجه الجنح الأيسر مقدونيا، والثّالث مركزيّ في مواجهة، صوفيا وبلغراد. وكان لهذه القوّات دور في عمليّات التّوسّع في البلقان، بحيث عملت على دفع الحدود العثمانيّة إلى الأمام[3].

وفي 17 ماي 1395م، تمكّن العثمانيّون من السّيطرة على ولاشيا، وأصبحوا بذلك يتحكّمون في نقاط عبور نهر الدّانوب، ومنذ ذلك الحين لم تعد هناك دولة عازلة بين الدّولة العثمانيّة ومملكة المجر[4]. هذا ما زاد من مخاوف ملك المجر سيجسموند، إذ خشي أن يحلّ ببلاده ما حلّ ببلغاريا، كما أنّ مملكة المجر كانت الوحيدة الّتي كان بإمكانها مواجهة العثمانيّين[5]، لكن رغم هذا لم يكن بمقدورها القيام بهذا منفردة[6]. لهذا فبعد التّوسّعات الأخيرة للعثمانيّين في البلقان بعث العاهل المجريّ لنظيره العثمانيّ بمبعوث خاصّة يطالب منه تفسيرات عن التّوسّعات العثمانيّة في بلاده، لكنّ السّلطان يلدرم قابل هذا المبعوث بالتّهديد والوعيد، وبما أنّ سيجسموند كان يدرك تمام الإدراك قوّة العثمانيّين واستحالة مواجهته لهم بمفرده، وجّه نداءً للدّول الأوروبيّة لمساعدته على ذلك[7].

1- باربارو، مصدر سابق، ص 27.
2- شوجر، المرجع السابق، ص 36.
3- للمزيد انظر: إينالجيك، ص ص57-58.
4- مونتران، مرجع سابق، ص67.
5- بارباو،مصدر سابق، ص 24.
6- standford Shaw ,op. Cit. , p 31.
7- Hammer, op. cit., p325.

* معركة نيكوبوليس:

كان التّواجد العثمانيّ بالبلقان ومحاصرتهم للقسطنطينيّة للمرّة الثّانية على التّوالي خلال صيف 1395م، وتشييدهم لقلعة أناضولي حصارى على الضّفّة الآسيويّة من **البوغار**[1]، ومحاولتهم إخراج اللّاتين الكاثوليك من بحر إيجه من العوامل الّتي أدّت بالدّول الأوروبّيّة إلى تشكيل حملة صليبيّة لمواجهتهم[2].

فبعد احتلال بلغاريا أصبحت المجر في مواجهة العثمانيّين ولو سقطت في أيديهم لأصبح الطّريق مفتوحا أمامهم لقلب أوروبّا، لذلك توجّه ملك المجر سجسموند بندائه للدّول الأوروبّيّة طالبا المساعدة، لأنّ الخطر أصبح يهدّدهم جميعاً[3]، لهذا وجّه الباب بونيفاس التّاسع نداء لحرب صليبيّة جديدة ضدّ العثمانيّين، فأرسل ببعثات دينيّة وسياسيّة إلى ملوك أوروبّا، وعلى رأسهم ملك **فرنسا شارل السّادس**[4]، الّذي وافق على الفكرة وقرّر أن تكون باريس محطّة انطلاقها ، وأسند قيادة الجيش الفرنسيّ لأمهر قادته، **كونستيال الكونت إيي**[5]. كما وافق إمبراطور ألمانيا **ونسلاس**[6] ابن شارل الرّابع على المشاركة فيها بعدد كبير من الفرسان، وعلى رأسهم أكبر القادة الألمان. بالإضافة إلى موافقة ملك بريطانيا **ريتشارد الثّاني**[7]، وسويسرا ولوكسمبورغ وهولندا وإيطاليا وجمهوريّة البندقيّة والقراصنة الإسبرطيّين، وبولندا وولاشيا، والتّشيك وترنسلفانيا وعليه تمكّن العاهل المجريّ من تجميع جيش مسيحيّ قويّ في بودا ضمّ جيوش أكبر الدّول الأوروبّيّة[8].

1- **البوغار**: مضيق البوسفور.

2- مونتران، ص 106.

3- محمّد فريد بك، مرجع سابق، ص 22 ؛ lorgeoux Jeanny, ***Histoire Universelle, volume 05 (la renaissance et l'âge classique)***, librairie Hachette1967, Biblio club de France hachette et Cie 1982,p853.

4- **شارل السّادس**: تولّى الحكم في فرنسا من عام 1380م إلى عام 1422م، وعند تولّيه السّلطة كان صغير السّن فشكّل له مجلس وصاية حتّى عام 1388م، وكانت أحيانا تنتابه نوبات عقليّة وجنون متقطّع. انظر: العرينيّ، مرجع سابق، ص 13.

5- **كونستيال**: مصطلح عسكريّ فرنسيّ، معناه القائد العامّ للجيوش الفرنسيّة. انظر: نفسه، ص 13.

6- **ونسلاس**: تولّى الحكم من سنة 1387م إلى سنة 1400م، حيث أبعد عن الحكم بسبب إفراطه في شرب الخمر وعجزه عن الحكم. انظر: نفسه، ص 13.

7- **ريتشارد الثّاني**: تولّى الحكم في انجلترا عام 1377م ولم يكن يتجاوز سنّه العشر سنوات، لذلك شكّل له مجلس وصاية حتّى عام 1377م، وفي عهده استؤنفت الحرب ضدّ فرنسا. في عام 1396م تزوّج من إيزابيلا ابنة شارل السّادس ملك فرنسا. وبسبب استبداده قبض عليه في عام 1399م وقتل عام 1400م. انظر: نفسه، ص 13.

8- كارل بروكلمان، مرجع سابق، ص 419.

في حين كان موقف البندقيّة متحفّظا، فمن جهة تولّت مهمّة الدّعوة إلى حملة صليبيّة، ومن جهة أخرى اتّفقت مع الجنويّين على تسليح أسطول لسدّ المضائق، لأنّها كانت تريد الإبقاء على علاقات طيّبة مع العثمانيّين حفاظا على مصالحها التّجاريّة[1]. وكانت فرنسا من أكثر الدّول الأوروبّيّة تحمّسا لهذه الفكرة، إذ وجدتها فرصة للتّوسّع حتّى الأراضي المقدّسة[2]. يبدو أنّ الدّول الأوروبّيّة أضحت عاجزة عن مواجهة العثمانيّين كلّا على حدة، لهذا فكلّ المواجهات الّتي دارت بينهما دخلتها الدّول الأوروبّيّة المسيحيّة متحالفة[3].

خطة الحملة واختلاف أعضائها حولها.

اجتمع المجلس العسكريّ الأعلى للدّول المتحالفة في العاصمة المجريّة بودابيست، وتمّ انتخاب ملك المجر سيجسموند قائدًا للحملة[4]، هذا الأخير كان يدرك جيّدا طريقة إدارة العثمانيّين للمعارك لهذا طلب من حلفائه التّريّث قدر الإمكان، لكن يبدو أنّ وجود الفرنسيّين الفخورين بكبريائهم وتفوّقهم سيحرم المسيحيّين ممّا كانوا يحلمون به[5]. كان الهدف العامّ من الحملة تقضي بطرد العثمانيّين نهائيّا من البلقان وإعادتهم للأناضول، ثمّ يأتي جيش مسيحيّ آخر لاستعادة بيت المقدس من المماليك[6]، لهذا كان شعارها سحق الأتراك أوّلا ثمّ احتلال القدس ثانيا[7].

أمّا خطّة الحملة فكانت تقضي بأن يقوم فرسان القراصنة الإسبرطيّين من جزيرة رودس مع أساطيل جمهوريّة البندقيّة بالهجوم على الدّولة العثمانيّة بحرا، وتحطيم أسطولها المتواضع المتواجد في مضيقي البوسفور والدّردنيل[8]، في الوقت الّذي يقوم فيه البقيّة بالهجوم برّا، وبذلك تنقسم جهود العثمانيّين إلى قسمين.

1- طقوش، **تاريخ العثمانيّين**، مرجع سابق، ص 61.

2- مونتران، مرجع سابق، ص 68.

3- ثرايا فاروقي، **الدّولة العثمانيّة والعالم المحيط بها**، مرجع سابق، ص 186.

4- أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة**، مرجع سابق، ص107.

5 -Hammer, op. Cit., p328.

6- أوزوتونا، ص 107.

7- محمّد حرب، مرجع سابق، ص 17.

8- طقوش، **تاريخ العثمانيّين**، ص 61.

بدأ تنفيذ الهجوم في ربيع 1396م، بعد أن تجمّعت هذه القوّات في بودا ببلاد المجر واجتازت هذه الجيوش البالغ عددها حوالي مائة وثلاثين ألف جنديّ نهر الدّانوب عبر بلاد الصّرب، ورابطت عند قلعة نيكوبوليس **(NICOPOLIS)** الّتي يسمّيها الأتراك نيكوبولي **(NIĞOBOLU)** ببلاد البلغار على **نهر الطّونة**[1]. وكان الأوروبّيّون يقولون "**لو سقطت السّماء لتمكّنوا من إيقافها على أسنّة رماحهم**"[2].

ولما بلغ الخبر العاهل العثمانيّ انطلق من أدرنة بسرعة فائقة ووصل بجيشه الّذي كان يقدّر بسبعين ألف جنديّ إلى الميدان[3]، وهذا بعد أن انضمّت إليه فرقة عسكريّة صربيّة بقيادة **لازار**، وبعض الأمراء المسيحيّين الخاضعين له.

انطلقت المعركة في 25 سبتمبر 1396م، ويبدو أنّه – باستثناء سيجسموند – فإنّ الأوروبّيّون كانوا يجهلون تكتيك الحروب العثمانيّة. فعند اندلا ع المعركة تراجعت فرق المشاة من الانكشاريّة العثمانيّة تلاحقهم الجيوش الفرنسيّة، لتجد جيوش التّحالف المسيحيّ نفسها محاصرة من كلّ الجوانب[4]، فدبّ الذّعر بينهم، ولما ضيّق العثمانيّون الخناق عليهم اضطربوا وأرادوا الفرار عبر نهر الدّانوب، لكنّهم فوجئوا بفرسان السّباهيّة عند النّهر الّذين قاموا بقتل كلّ من رفض الاستسلام، أمّا من اختار الفرار عبر النّهر فكان مصيره الغرق. وعند تأكّد المسيحيّين من هزيمتهم لاذ معظم قادة الحملة بالفرار، وبقي في المعركة المجريّون والألمان وحدهم في مواجهة العثمانيّين[5].

فغرق ومات منهم مائة ألف جنديّ وتمكّن حوالي ثلاثون ألف جنديّ من الفرار كان من بينهم الملك المجريّ سيجسموند، وملك انجلترا القادم هنري الرّابع[6]، كما تمّ أسر عشرة آلاف جنديّ، كان من بينهم خيرة أبناء أوروبّا، تمّ إعدامهم بعد انتهاء المعركة[7]. وفي غمرة هذا الانتصار صرّح السّلطان العثمانيّ أنّ حصانه

[1] – أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة** ، المرجع السابق ،ص107.

[2] - *H*ammer, op. Cit.,P329.

[3] - *H*ammer, Id-idem., P329.

[4] – سونيا محمّد سعيد البنّا، **مرجع سلبق**، ص 310.

[5] – مونتران، مرجع سابق، ص 68.

[6] – أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة** ، ص 108.

[7] – *L*eVte. De la *j*oquiere ,op,cit.,p77.

سيتناول علفه على **مذبح كنيسة بطرس**[1] بروما[2]. وكان السّلطان بايزيد قد خاطب الأمير الفرنسيّ الكونت نافيرا بعد أن دفع الفدية وأُطلق سراحه قائلا: "**أعفيك من تعهّدك بعدم حمل سلاحك ضدّ الدّولة العثمانيّة، لأنّك لن تتمكّن من ذلك**"[3]. وبعد هذا الإنجاز العظيم بعث السّلطان العثمانيّ برسائل إلى حكّام العالم الإسلاميّ يزفّ إليهم نبأ انتصاره، كما بعث لهم بالرّسل ومعهم هدايا متمثّلة في بعض الأسرى المسيحيّين كدليل ماديّ على انتصاره[4].

تُعتبر هذه المعركة من أعظم الإنجازات الّتي حقّقها السّلطان بايزيد، كما أنّها تعتبر من المعارك الكبرى في التّاريخ، وكانت آخر مشروع دوليّ هامّ نفّذه فرسان الإقطاع ضدّ الدّولة العثمانيّة [5] فلو كان هذا الانتصار من قبل الدّول الأوروبّيّة، لأضحت من أعظم المعارك في التّاريخ، لأنّه من عادة المؤرّخين الأوروبّيّين تقزيم إنجازات المسلمين. وقد أعقب هذا الانتصار تدفّق المزيد من المتطوّعين من العراق ومن أواسط آسيا، كما تعتبر هذه المعركة نقطة حاسمة في تاريخ الدّولة العثمانيّة، إذ أصبح السّلطان العثمانيّ بين خيارين، يتمثّل الأوّل في مواصلة زحفه على أوروبّا وكان هذا ما حثّه عليه مستشاروه من التّركمان، أو التّوجّه ثانية شرقا لاستكمال سيطرته على الأناضول وهذا ما حثّه عليه مستشاروه من ذوي الأصول المسيحيّة، ونظرا لتأثير الحزب المسيحيّ في بلاط السّلطان العثمانيّ لم يواصل زحفه في أوروبّا[6].

وقد ترتّب عن هذه المعركة عدّة نتائج نوجزها فيما يلي:

– تزايد أهمّيّة الدّولة العثمانيّة، واعتراف الأوروبّيّين بالأمر الواقع المتمثّل في بروز دولة إسلاميّة قويّة في البلقان والأناضول.

– فتحت هذه المعركة الطّريق أمام العثمانيّين إلى قلب أوروبّا وتمكّنوا من السّيطرة على كامل بلغاريا، كما زعزعت كيان دولة المجر والدّول الغربيّة بحيث لم يتمكّنوا من التّدخّل في شؤون البلقان. وفقدت بيزنطة أملها

[1]– **مذبح القدّيس بطرس**: هو المكان الّذي قُتل فيه بطرس (اسمه الحقيقيّ سمعان بن يونا) في روما، وبنيت عليه كنيسة، وبطرس هو من أتباع المسيح عليه السّلام، ترأّس كنيسة المهد، ثمّ رحل إلى أنطاكيا ومنها إلى روما حيث قُتل وصلب في عهد الإمبراطور الرّومانيّ نيرون، تعتقد الكنيسة المسيحيّة أنّه أوّل أسقف لروما. انظر: حسين محمّد نصّار وآخرون، مرجع سابق، ص 25.

[2]- *C*hevallier .H et *T*odier .L , op,cit., p ,248

[3]– *L*e Vte. De la *j*oquiere, op.cit.,p78.

[4]– عبد الرّحيم مصطفى، مرجع سابق، ص 54.

[5]– نفسه، ص 54.

[6]– نفسه، ص 55.

نهائيّا في طرد العثمانيّين من أوروبّا وآسيا الصّغرى، وفي تلقّي مساعدات عسكريّة من دول أوروبّا الغربيّة مستقبلا.

– أصبحت الدّولة العثمانيّة تحظى بمكانة رفيعة في العالم الإسلاميّ بحيث تحصّل السّلطان بايزيد على تسميته سلطانا، وبهذا أصبح يحظى بمكانة وشرعيّة في العالم الإسلاميّ[(1)].

وفي عام 1397م دخل السلطان بايزيد أثينا معلنا سيطرته على اليونان،كما أخضع الأمراء البيزنطيّين بالمورة لسيطرته[(2)]، وبحلول عام 1400م، أصبح معظم البلقان خاضعا للعثمانيّين، وأصبحت ولايات الصّرب والبوسنة وولاشيا توابع عثمانيّة كما لم يعد لبيزنطة من ممتلكات سوى القسطنطينيّة وما حولها، ولولا ظهور الخطر المغوليّ من الشّرق لاستكمل بايزيد سيطرته على كامل البلقان[(3)].

وعقب الكارثة الّتي حلّت بالدّولة العثمانيّة بعد معركة أنقرة في 1402م، ودخولها في حرب أهليّة، كانت الفرصة مواتية لشعوب البلقان للتّخلّص نهائيّا من السّيطرة العثمانيّة[(4)]، بل كان بإمكانهم التّحالف مع تيمورلنك، ورغم هذا لم يغتنموا هذه الفرصة، ربّما يعود هذا إلى غياب زعامة سياسيّة في البلقان تقوم بهذا الدّور، أو أنّ مشروعا كهذا لا يمكن لتيمورلنك قبوله على اعتبار أنّ الدّولة العثمانيّة كانت تقوم بدور الجهاد ضدّ هؤلاء، لأنّ العاهل المغوليّ كان معجبا بالإنجازات الّتي حقّقها بايزيد بالبلقان.

*حركات التّهجير.

عرفت فترة حكم السّلطان العثمانيّ بايزيد تدفّق أعداد هائلة من التّركمان، الّذين جاؤوا من أواسط آسيا نحو شرق الأناضول، حيث وطّنتهم الدّولة وعرفوا هناك (**اليركيون**)[(5)]، ووُزّعت عليهم التّيمارات مقابل الخدمات العسكريّة الّتي كانوا يقدّمونها. وُطّنوا بصفة عامّة على طول الطّرق العسكريّة الكبيرة أو على نقاط

[1]– طقوش، **تاريخ العثمانيّين**، مرجع سابق، ص 63.
[2]– أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة**، مرجع سابق ،ص 105.
[3]– شوجر، مرجع سابق، ص37.
[4]– نفسه، ص 38.
[5]– **اليورك**: هم رحّالة غير مستقرّين يعيشون في كنف الدّولة العثمانيّة، كانت مهمّتهم تتمثّل في فتح الطّرقات للمحاربين ويقومون بإصلاح الجسور والقلاع، وهي فئة غير محاربة. انظر: جانبولات، مرجع سابق، ص 89.

الحصون والقلاع[1]. كما واكب عمليّات التّوسّع العثمانيّ في البلقان عثمنة المناطق المفتوحة وهذا عن طريق التّهجير الإجباريّ للقبائل التّركيّة من شرق إلى غرب الأناضول والبلقان وهو ما كان يعرف بالتّركية سركون (surgun) [2]، والّتي تعني النّفي والتّهجير، وهذا للتّخلّص من المجموعات المتمرّدة[3].

وبهذا توافد الأتراك على البلقان وأُسكنوا قرى المسيحيّين المهجورة، وأحيانا أُخرى أنشئت لهم قرى جديدة خاصّة بهم، خاصّة وأنّهم كانوا سريعي التّكيّف مع البيئة الجديدة[4]، يساندهم في ذلك الدّراويش الّذين شرعوا في إقامة الزّوايا والتّكايا، الّتي تحوّلت فيما بعد إلى نوى لقرى عثمانيّة جديدة، هذا ما خلق قاعدة عثمانيّة قويّة للتّوسّع لاحقا في البلقان، وقد شملت عمليّات التّوطين هذه القبائل التّركيّة القويّة الّتي تمّ توطينها على طول الطّرق الرّئيسيّة[5]، وهذا للحيلولة دون تمكّن المسيحيّين من طرد العثمانيّين من أوروبّا لاحقا[6].

وأقام العثمانيّون بذلك، المئات من القرى والمزارع بصورة مستقلّة، ولم يختلطوا بالسّكّان الأصليّين، حتّى أنّ بعض القرى الاحياء في بلغاريا لا زالت تحمل أسماء عثمانيّة كحاجي قرمان وحيّ صاروخان وقره شاهين وأمينة خاتون[7]. وبذلك لم تكن عثمنة البلقان تعني تغييرا جذريّا في بنيتة وإنّما كانت تمثّل تطوّرا تدريجيّا له [8]، فالحكم العثمانيّ للبلقان جاء محافظا على حقوق القرويّين ومحايدا، هذا ما بعث الطّمأنينة والثّقة في سكّانه، وبالمقابل قام العثمانيّون بتهجير المسيحيّين الّذين قاوموهم بنقلهم من البلقان إلى الأناضول، بعد أن صودرت ممتلكاتهم لصالح المستوطنين العثمانيّين الجدد، وأعيد توطينهم في قرى جديدة بالأناضول في إطار التّهجير الإجباريّ[9]، وهذا حتّى يُفرغوا المناطق المفتوحة من أيّة مقاومة[10].

[1]- جانبولات، المرجع السابق ، ص 68.

[2]- شوجر، المرجع السّابق ، ص 33.

[3]- للمزيد انظر: ثرايا فاروقي وآخرون، **التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ للدّولة العثمانيّة**، مرجع سابق، ص 81.

[4]- إينالجيك ، مرجع سابق، ص 20.

[5]- نفسه، ص 21-22.

[6]- عبد الرّحيم مصطفى، مرجع سابق، ص47.

[7]- للمزيد انظر: مؤسّسة أتاتورك ،مرجع سابق، ص ص 96-109.

[8]- إينالجيك، ص 26.

[9]- نفسه ، ص 42.

[10]- فؤاد متولّي، مرجع سابق، ص 48.

المبحث الرابع: علاقات الدّولة العثمانيّة مع جنوة والبندقيّة

بعد تولّي السّلطان بايزيد السّلطةَ، وقبل أن يتوجّه لإخضاع الأناضول، أعلنت كلّ من إمارتي جنوة والبندقيّة خضوعهما له ودفعهما للجزية، مقابل السّماح لهما بالاستمرار في مزاولة التّجارة مع المماليك، وقد حظي طلبهما بالموافقة. وتعتبر هذه التّنازلات أولى الامتيازات الّتي تمنحها الدّولة العثمانيّة لدولة أجنبيّة[1].

وبعد الانتهاء من إخضاعه للأناضول في 1390م ثبّت السّلطان العثمانيّ بايزيد الامتيازات الّتي كانت قد منحت من قبل للبنادقة[2]. وأثناء الصّدام العثمانيّ المسيحيّ في نيكوبوليس 1396م وقفت الدّولتان إلى جانب إخوانهما في العقيدة متخلّين بذلك عن كلّ التزاماتهم تجاه الدّولة العثمانيّة. وبعد تأكّد البندقيّة من حملة تيمورلنك على الدّولة العثمانيّة، قطعت علاقاتها بها وأخذت تسعى لتشكيل تحالف بين القوى المسيحيّة المحلّيّة[3]. وبعد الانكسار الّذي تعرّضت له الدّولة العثمانيّة في معركة أنقرة 1402م قطعت البندقيّة علاقاتها التّجاريّة بها، ونستنتج من كلّ هذا أن هاتين الإمارتين الإيطاليّتين كانتا تتحرّكان وفق مصالحهما، وتتحيّنان الفرصة للقضاء على الدّولة العثمانيّة.

[1] - فؤاد متولّي، المرجع السابق، ص ص 69-70.
[2] - مونتران، مرجع سابق، ص ص، 61-62.
[3] - نفسه، ص 74.

المبحث الخامس: علاقات الدّولة العثمانيّة مع المغول

بعد وفاة جينكزخان تشتّت إمبراطوريّة المغول، وظهرت على أنقاضها عدّة إمارات، ومن إحداها ظهر تيمورلنك[1]، الّذي أعاد إحياءها من جديد. ويُقال أنّه أُصيب في إحدى معارك سلب الأغنام بسهم في رجله، تسبّب له في عرج دائم وشلل في يده، فأطلق عليه أعداؤه هذا اللّقب الذّي يعني تيمور الأعرج[2]، وهناك من يعيد عاهته هاته إلى جرح أصيب به في إحدى المعارك لهذا يعتبرها مصدر فخر له. أمّا كلمة تيمور فمعناها بالتّركية القديمة الحديد أو أداة القتل[3].

وفي الوقت الّذي كان فيه السّلطان بايزيد الأوّل منهمكًا في إرساء قواعد الدّولة العثمانيّة في البلقان، استولى تيمورلنك على القسم الأكبر من العالم الإسلاميّ. فقد استولى على المنطقة الممتدّة من دلهي إلى دمشق، ومن بحر آرال إلى الخليج العربيّ، كما استولى على بلاد فارس وأرمينيا وكامل المناطق الممتدّة من بحر قزوين إلى البحر الأسود وعلى عدّة مناطق من روسيا. وكان في مشروعه أن يجعل كامل المعمورة ملكا له، فقد كان دائما يقول: "**بما أنّ هناك إلهًا واحدا في السّماء، يجب أن يكون سيّدا واحدا في الأرض**". وكان يعتمد في حروبه على العنف والوحشيّة لإرهاب أعدائه، فقد كان ينزل العقوبات على المناطق المفتوحة على الطّريقة المغوليّة، فقد كان يقول: "**أنا غضب اللّه في الأرض، يسلّطني على من يشاء من خلقه**"[4]. فبعد فتحه لبلاد فارس قتل سبعين ألف شخص في أصفهان في يوم واحد، كما ذبح على نهر الغانج بعد احتلاله للهند مائة ألف أسير في ليلة واحدة[5]. ورغم كلّ ما يُقال عنه، فقد كان الرّجل مسلما يؤدّي الفرائض وأتباعه مسلمين، كما بنى مسجدا رائعا في سمرقند، كما كان يزور أضرحة الصّالحين[6].

لكن عمليّا كانت "**الياسة**"[7] تحلّ عنده في المقام الأوّل رغم معارضة بعض شيوخ المسلمين آنذاك ، لهذا عمد إلى تعيين قاض على جيشه يحكم بالياسة، وقاض مدنيّ يحكم بالتّشريع. وكان يجلّ العلماء ورجال الدّين،

---

1 - *T*héophille *l*avallée , op.cit., p 153.

2- جمال الدّين أبو المحاسن بن تغري بردي، **النّجوم الزّاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، ج 12، القاهرة 1975، ص ص 13-14.

3-*L*amartine, **Les grandes de l'orient(Mahomet, Tamerlan, le sultan Zizim)**, Paris, librairie internationale, A.lacroix, Verboekhoven et G^{le}, éditeurs, 1865,p 176.

4- ابن إياس، مصدر سابق، ص 292.

5- *L*amartine ,op . cit., p 208.

6- *T*héophille *l*avallée , op. Cit. , p 154.

7- **الياسة**: على حسب آراء المؤرّخين، هي من السّياسة، ومعناها بالمغوليّة القانون أو القاعدة، وهي مجموعة القوانين الّتي أصدرها جينكزخان سنة 1206م لتنظيم العلاقات بين رعياه وصارت فيما بعد كتابا مقدّسا، ومُصنّفا قانونيّا صارما عند المغول، يحتكمون إليه عند الحاجة، تميّزت = =

خاصّة دراويش الطّريقة النّقشبنديّة، ولا سيّما أولائك المنحدرين من سلالة الرّسول صلى الله عليه وسلّم، وهذا حتّى يزيّن بهم مجالسه وحملاته، ويُضفي على أعماله صفة الشّرعيّة، ويُظهر نفسه على أنّه إنما جاء لإنقاذ المسلمين من حكّامهم الخارجين عن الدّين. ورغم قلّة ثقافته الدّينيّة، إلّا أنّه كان يُضفي على نفسه طابع القداسة، ذلك أنّه كان السّبب في اعتناق مئات الآلاف من البشر للإسلام. لكن من خلال تصرّفاته وأعماله الوحشيّة يبدو أنّه كان بعيدا كلّ البعد عن الإسلام، والدّين بالنّسبة إليه وسيلة استعملها لتسهيل عمليّة بسط سيطرته على الشّعوب الإسلاميّة ويُظهره بطلا إسلاميّا مدافعا عن الإسلام والمسلمين، إذا فأغلب الظّنّ أنّ استخدامه للدّين كان لأغراض سيّاسيّة ليس إلّا[1].

كان الجيش بالنّسبة لتيمورلنك أهمّ ركيزة في الدّولة، وبواسطته انطلق في حروبه من عاصمة دولته **سمرقند**[2] منذ 1399م، فاستولى على بلاد ما وراء النّهر وخوارزم وأرمينيا الغربيّة والعراق وبلاد فارس. وبعد كلّ هذا اتّخذ من تبريز قاعدة لعمليّاته العسكريّة في الغرب. وللإشارة لم يكن في مشروعه احتلال للدّولة العثمانيّة، لأنّه كان يرى فيها أقلّ أهمّيّة من بلاد الشام والأماكن المقدّسة[3].

كانت أذربيجان تحت سيطرة السّلطان أحمد الجلائريّ **وعراق العجم**[4] تحت سيطرة أخيه بايزيد أمّا العراق العربيّ فقد كان تحت سيطرة السّلطان أحمد بن أويس (الجلائريّ). ولما وصلت جيوش تيمورلنك إلى المنطقة احتلّت أذربيجان التّابعة للجلائريّين. عندها كان تيمورلنك ينتظر من أحمد الجلائريّ أن يعلن ولاءه له،

هذه القوانين بقسوتها وصرامتها في المضمون والتّنفيذ ووجوب تنفيذ أحكامها على أفراد المجتمع دون تمييز. تناولت الياسة كافّة مناحي الحياة السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والقضائيّة عند المغول وهي بذلك دستور كامل، ومنحت للحاكم سلطة مطلقة في الإمبراطوريّة. للمزيد انظر: أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص 70.

1- للمزيد انظر: طالب محيبس حسن الوائليّ، مجلّة كلّيّة التّربية، **هزيمة العثمانيّين في أنقرة 1402م**، العدد 04، ص ص146-147.

2- **سمرقند**: تقع في بلاد ما وراء النّهر، فتحها قتابة بن مسلم في عام 68هـ، ومنها تقدّم الإسلام إلى الهند والصّين، سمّاها الرّحّالة العرب قديما الياقوتة. اتّخذها تيمورلنك عاصمة لدولته، وفي منتصف القرن 15م تعرّضت للتّدمير على أيدي قبائل الأزبك. بها ضريح قشم بن العباس عمّ النّبي صلّى الله عليه وسلم، وضريح الإمام البخاريّ وضريح تيمورلنك وعدّة مزارات أخرى. انظر: حسان حلاق، **مدن وشعوب إسلاميّة**، ك4، دار الرّاتب الجامعيّة، سوفنير، بيروت، لبنان، د.خ.ش، ص 345.

3- مونتران، المرجع السابق، ص 71.

4- **عراق العجم**: هي المنطقة الممتدّة من سهول العراق والجزيرة في الغرب إلى بلاد فارس شرقا، وسمّي كذلك تمييزا له عن عراق العرب، وأطلق العرب اسم عجم على كلّ من ليس عربيّا والمقصود هنا الفرس. انظر: كي لسترنج، مرجع سابق، ص 220.

لكنّه رفض وبعث له برسالة تهديد، وفي نفس الوقت راسل أهالي بغداد العاهل المغوليّ وطلبوا الحماية، وبعد دخول المغول إلى بغداد فرّ الجلائريّ إلى مصر عام 796هـ/1394م. لكنّ تيمورلنك لم يبق في بغداد بل عاد إلى سمرقند، فعاد الجلائريّ من جديد إلى بغداد، وطلب أهاليها ثانية الحماية من تيمورلنك، لهذا عاد إليها ثانية في 800هـ/1398م، وكان كلّ من أحمد الجلائريّ أمير القاره قوينلو وقاره يوسف قد راسلا السّلطان العثمانيّ بايزيد الأوّل، طالبين منه الحماية[1]، حينها راسل تيمورلنك بايزيد وحذّره من مساعدته لكلّ من أحمد الجلائريّ وقاره يوسف[2].

وقبل وصول المغول إلى مشارف الدّولة العثمانيّة احتلّ العثمانيّون بعض الإمارات المشمولة بحماية تيمورلنك، عندها طلب تيمورلنك من العاهل العثمانيّ إعادة الإمارات الأناضوليّة لأصحابها، وتسليمه قارة يوسف زعيم القارة قوينلو. وأمام رفض بايزيد لهذه المطالب، احتلّت جيوش المغول سيواس التّابعة للدّولة العثمانيّة وملطية وعنتاب وحلب في تشرين الأوّل 821هـ/1400م، ثمّ دمشق التّابعين للمماليك، مرتكبين مجازر رهيبة، حيثما حلّوا إذ كانوا في سيواس حتّى يدفنون النّاس أحياء وتارة أحرقوهم، أمّا حلب فقد أُبيد سكّانها وبلغ عدد القتلى عشرين ألفا، أمّا دمشق فقد أُحرقت، بعدما مُنح سكّانها الآمان [3].

وأثناء انشغال المغول بغزو بلاد الشام وبلاد الرّافدين احتلّ السّلطان بايزيد الضّفّة اليمنى لنهر الفرات، فاستغّل قارة يوسف المشمول بحماية بايزيد الفرصة وارتكب أعمال نهب ومهاجمة لقوافل الحجيج. وطلب تيمورلنك من العاهل العثمانيّ معاقبة قارة يوسف على أعماله لكنّه لم يتحصّل على ردّ، عندها أصبحت المواجهة حتميّة بين الطّرفين[4]، وكان من أهمّ أسباب تدهور العلاقات بين العاهلين المغوليّ تيمورلنك والسلطان العثمانيّ بايزيد لجوء السّلطان أحمد الجلائريّ وقارة يوسف إلى السلطان بايزيد وطلب حمايته[5]. ويبدو أنّ تيمورلنك كان مدركا مدى تهافت الدّول الأوروبّيّة على ضرب القوى الإسلاميّة بعضها البعض، رغم هذا عزم على المضيّ في مشروعه، لأنّ هدفه كان الانتقام من السّلطان العثمانيّ وليس الاستيلاء

[1]- ابن إياس، مصدر سابق، ص 283.

[2]- للمزيد انظر: شعبان طرطور، مرجع سابق، ص ص 40-48.

[3]- ابن إياس، ص ص 283-291.

[4]- مونتران، المرجع السابق، ص ص 71-72.

[5]- إلهام عبد القادر حموديّ الطّائيّ، **الدّولة العثمانيّة في عهد بايزيد الثّاني (1481م-1512م)**، رسالة ماجستير في التّاريخ الحديث، جامعة الموصل، العراق، 2005م، ص 13.

على ممتلكات الدّولة العثمانيّة[1]. وممّا زاد في شهيّته لغزو الأناضول، التّسهيلات الّتي قدّمها له الأمراء التّركمان في الأناضول، بعدما لجؤوا إليه، واستنجدوا به لإعادة ممتلكاتهم المسلوبة من قبل العثمانيّين[2] وتدعيم الدّول الأوروبيّة له خاصّة الجنويّون والقشتاليّون[3].

ويبدو أنّه كان في نيّة تيمورلنك القيام بحملة تخريبيّة ضدّ مصر، لكنّه أراد أن يتفادى أن يحدث له مثلما حدث لهولاكو من قبل في معركة عين جالوت[4]، لهذا أمضى مع السّلطان المملوكيّ النّاصر معاهدة سلام. وبهذا أمّن نفسه من المماليك في حالة مهاجمته للعثمانيّين[5]، هذا ما كان متردّدا فيه، خوفا من إثارة مشاعر المسلمين ضدّه، خاصّة بعد الإنجاز الّذي حقّقه العثمانيّون على إثر معركة نيكوبوليس 1396م وهذا ما حاول أُمراؤه وأبناؤه إقناعه به[6]. وبالمقابل أكثر ما كان يخشاه تيمورلنك هو مهاجمة العثمانيّين له في الوقت الّذي يكون فيه يهاجم الهند[7].

كان تيمورلنك يمتلك أكبر جيش في العالم آنذاك، بواسطته تمكّن من تأسيس إمبراطوريّة عظمى تمتدّ من الصّين حتّى مصر، بالمقابل كان السّلطان بايزيد الأوّل هو الآخر يمتلك جيشا قويّا، ورغم أنّهما كانا يدينان بنفس العقيدة بل ونفس المذهب ويتكلّمان نفس اللّغة وكانت لهما نفس الأهداف، لكن بفعل تضارب مصالحهما، خاصّة فيما يتعلّق بتزعّم العالم الإسلاميّ، لم يكن بإمكانهما إقامة علاقات طيّبة بينهما[8].

وفي الوقت الّذي ظهر فيه الخطر المغوليّ بقيادة تيمورلنك على الأطراف الشّرقيّة للدّولة العثمانيّة، كان العثمانيّون يحكمون حصارهم على القسطنطينيّة وكانوا على وشك الاستيلاء عليها، كما أنّ أكثر ما كان

[1] - فؤاد متولّي، مرجع سابق، ص 79.
[2] - القرمانيّ، مصدر سابق، ص 301.
[3] - عبد اللّطيف هريدي، مرجع سابق، ص 26.
[4] - بروكلمان، مرجع سابق، ص 421.
[5] - محييس حسن الوائليّ، مرجع سابق، ص 147.
[6] - أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة**، مرجع سابق، ص 109.
[7] - عبد الرّحيم مصطفى، مرجع سابق، ص 55.
[8] - أوزوتونا ، ص 109.

يخشاه السّلطان بايزيد هو توغّل جيوش المغول في الأناضول وما قد يترتّب عليه من عمليّات النّهب والتّخريب وهذا ليس بغريب عن المغول، لهذا أراد مواجهتهم على الحدود الشّرقيّة(1).

قضى المغول بقيادة تيمورلنك شتاء 1401م و1402م في قاره باغ فيما وراء القوقاز بين نهري كور وآراسي، استعدادا لملاقاة العثمانيّين في المعركة الفاصلة(2). وبعد فرار أمير بغداد والعراق أحمد الجلائريّ إلى الدّولة العثمانيّة، ومطالبته حماية السّلطان العثمانيّ له(3)، راسل تيمورلنك السّلطان بايزيد بدون كناية ولا ألغاز وذكّره له بأنّ سبب المراسلات هو السّلطان أحمد قارة يوسف، الّذي طالب بإعادته له باعتبار أنّه عدوّ له، وتضمّنت المراسلات عبارات التّهديد والوعيد(4)، وممّا تضمّنته هذه المراسلات: "**إنّك رجل مجاهد في سبيل الله وأنا لا أحبّ قتالك ولكن انظر إلى البلاد الّتي كانت معك من أبيك وجدّك فاقنع بها...**". كان ردّ العاهل العثمانيّ كالتّالي: "**أيُخيفني بهذه التّرهات ويستفزّني بهذه الخزعبلات، أويحسب أنّني مثل ملوك الأعاجم أو تتار الدّشت الأغنام، أوَما يعلم أنّ أخباره عندي، أنّ أوّل أمره حراميّ سفّاك الدّماء وهتّاك للأعراض، نقّاض العهود والذمم... فالحرب رأينا والضّرب طلابنا والجهاد صنعتنا... وأنا أعلم أنّ هذا الكلام يبعثك إلى بلادنا انبعاثا، فإن لم تأت تكن زوجتك طالقا ثلاثا. وإن قصدت بلادي وفررت ولم أقابلك البتّة فزوجاتي إذ ذاك طوالق ثلاث البتّة**"(5). فكان إذا ردّه مستفزًّا ومُهينا ورفض تسليمه أحمد الجلائريّ، لهذا أقدم تيمورلنك على التّوغّل في أراضي الدّولة العثمانيّة واستولى على سيواس وقتل حاكمها أرطغرل ابن السّلطان بايزيد(6).

*** معركة أنقرة**

منذ عهد جينكزخان لم تعرف آسيا هذا التّجمّع البشريّ الهائل، فقد كان جيش تيمورلنك يتألّف من خمسمائة ألف محارب – وهناك من يضخّم هذا العدد إلى سبعمائة ألف محارب(7) – متماسكين فيما بينهم–

1– ابن عرب شاه، مصدر سابق، غ.م.
2– بروكلمان، مرجع سابق، ص 421.
3 - Duruy(M .V),op.cit., p 79.
4– للمزيد انظر: أحمد بن عرب شاه، غ.م.
5– القرمانيّ، مصدر سابق، ص 301.
6 -Duruy(M .V), op. Ci.,p 79.
7– إبراهيم بك حليم، مرجع سابق، ص ص 73-74.

وتنتظرهم غنائم كبيرة، وكان إلى جانبهم الأمراء التّركمان الفارّين من بطش السّلطان بايزيد[1]. في حين كان الجيش العثمانيّ بقيادة السّلطان بايزيد وأبنائه، يتشكّل من عناصر مختلفة، من الأناضول ومن الرّومليّ (خاصّة الصّرب والبلغار) وكانت أقلّ تماسكا وأقلّ انسجاما، كما لم تكن علاقتها بالقيادة وثيقة لتسلّط السّلطان بايزيد وعدم اهتمامه بالقاعدة[2]. لهذا فقد كان أقلّ تماسكا من سابقه كما أنّ عنجهيّة وتكبّر السّلطان العثمانيّ مع نظيره المغوليّ أثناء المفاوضات زعزعة ثقة جنوده فيه[3].

وقُبيل بدء المعركة نشأت خلافات داخل القيادة العثمانيّة، بين الوزير الأعظم عليّ الجندرليّ الّذي اقترح القيام بهجمات ليليّة خاطفة على العدوّ لإرهاقه، وبين فيروزبك بيلربك الرّومليّ الّذي رأى أنّه من الأَوْلى الدّخول في المعركة مباشرة، وهو الّذي تمكّن من فرض خطّته[4].

قسّم تيمورلنك جيشه إلى تسعة فرق (هو رقم مقدّس عند المغول)، يقوده أربعة من أبنائه وخمسة من أحفاده، كما كان مجهّزا بخمسين فيلا ضخما وكأنّها قلاع متحرّكة [5].

ومباشرة بعد وصول الجيش العثمانيّ لميدان المعركة، ودون أخذ فترة استراحة[6]، اندلع القتال في 24 جويليّة 1402م بين الطّرفين في معركة أنقرة في سهل تشيبوكووا[7]، رغم أنّ الجيش العثمانيّ كان متعبا ومنهكا من مشقّة الطّريق، "**لهذا خسروا المعركة قبل أن تبدأ**"[8]، أحرز في بداية المعركة انتصارات لتشديد فرسان من الصّرب الخناق على الجيش المغولي [9]، لكن سرعان ما انحازت فرق عسكريّة من الجيش العثمانيّ، خاصّة من تركمان آيدن وصاروخان إلى جانب جيش المغول حيث كان أمراؤهم[10]، وكانوا يمثّلون تقريبا ثلثي الجيش العثمانيّ[11]، وهذا ما أدّى إلى تهاوي الجناح الأيمن من الجيش العثمانيّ، وعرف الجناح الأيسر حالات فرار

1- فؤاد متولّي، مرجع سابق، ص 82.

2- مونتران، المرجع السابق، ص 74.

3- *T*héophile *L*avallée , op.cit., p 156 .

4- مونتران، ص 75.

5 - *L*amartine ,op.cit., p p238-239 -240.

6- فؤاد متولّي، ، ص 82.

7- مونتران، 75.

8- ابن عرب شاه، مصدر سابق، غ.م.

9- فؤاد متولّي، المرجع السابق، ص 82.

10 -*D*uruy(M .V), op. Cit., p79.

11- أحمد بن عرب شاه، غ.م .

جماعيّة وفقد قيادته، ولما رأى أكبر قادة الجيش العثمانيّ في معركة أنقرة عليّ إبراهيم، أنّ المعركة خاسرة أعطى أوامره بالتّراجع، جارًّا معه الأمير سليمان ومعه آغا الإنكشاريّة وعدد هامّ من قادة الجيش وتوجّهوا إلى بورصة[1].

وفي مساء ذلك اليوم، تيقّن الجميع ممّا لا يدعو للشّكّ أنّ هزيمة العثمانيّين باتت واضحة، رغم هذا رفض السّلطان بايزيد الانسحاب، رغم النّصائح الّتي قدّمها له مقرّبوه وخاصّة صهره ملك الصّرب لازار، خوفا أن يقع عليه الطّلاق كما كان قد وعد به من قبل، ولم يبق مع السّلطان بايزيد سوى مجموعة من الإنكشاريّين وبعض الفرق العسكريّة الصّربيّة الّتي لم يكن يتجاوز عددهم خمسة آلاف رجل[2].

وفي الأخير قرّر السّلطان رفقة مجموعته التّسلّل في جنح الظّلام للانسحاب لكن بعد سقوط هذا الأخير من على جواده تمّ قبض عليه، وعلى الأمير موسى ووزيره الأعظم تيمورطاش، واقتادهم أسرى إلى معسكر تيمورلنك[3].

تحسّر العاهل المغوليّ كثيرا للمصير الّذي آلَ إليه نظيره العثمانيّ، لأنّه كان يرى بأنّه يحمل نفس رسالته، لهذا أكرمه ولم يعامله معاملة الأسرى، فقد أمر له ببناء خيمة فخمة بجانب خيمته، وأمّنه على حياته وشرفه وأمر بمعاملته معاملة حسنة، بل كان يجلسه إلى جانبه إكراما له على الخدمات الجليلة الّتي قدّمها للإسلام والمسلمين[4].

لكن بعد فشل ثلاث محاولات للفرار قام بها السّلطان الأسير بمساعدة ابنه الأمير محمّد، تغيّرت معاملة تيمورلنك للسلطان العثمانيّ، وأمر تيمورلنك بوضع السّلطان الأسير في قفص حديديّ[5]ليلًا. وكان من عادة تيمورلنك تنظيم السّهرات ليلا وفي أغلبها كان يستدعي السّلطان الأسير إليها، تارةً يلاطفه ويُباسطه وتارةً أُخرى يسخر منه ويستهزئ به. ويُروى أنّه في إحدى هذه السّهرات استدعى العاهل المغوليّ السّلطان الأسير قصد مشاركته الاحتفال، وأثناء ذلك جيء بحريمه وجواريه، بل وتذكر بعض المصادر أنّه جيء بزوجته

1- مونتران،المرجع السابق، ص ص 75-76.

2- ابن عرب شاه، غ.م.

3- إبراهيم بك، مرجع سابق، ص 49.

4- *L*amartine ,op .cit., pp, 249 -250.

5- يروي بعض المؤرّخين الأتراك أن تيمورلنك وضع أسيره السّلطان بايزيد في تختروان مقفل بشبابيك من حديد يجرّه حصانان، لكن بسبب سوء ترجمة كلمة تختروان ظنّ المؤرّخون الأوروبّيّون أنّه وضعه في قفص من حديد كما توضع الوحوش الكاسرة، انظر: محمّد فريد بك المحامي، مرجع سابق، ص21 ؛ *D*uruy(M.V),op.cit. ,p79.

"أوليفيرا" شبه عارية أمامه، وكان هذا بمنزلة الانتقام من السّلطان بايزيد على ما كتبه في رسائله السّابقة وحلفه بنسائه، كما أنّ من أكبر الجرائم ومن أكبر الإهانات والخيانات هو الخيانة في الحرم[1].

وفي 09 مارس 1403م توفّي السّلطان العثمانيّ بايزيد الأوّل في الأسر متحسّرا على الوضع الّذي آل إليه، بعد ما أُصيب بمرض ضيق التّنفّس، وقد سمح تيمورلنك لابنه موسى بنقله و دفنه الى جوار والده السّلطان مراد ببورصة[2].

المبحث السّابع: أوضاع الدّولة العثمانيّة بعد معركة أنقرة 1402م

دخلت الدّولة العثمانيّة بعد معركة أنقرة 1402م في فوضى عارمة، حتّى ظنّ الجميع أنّها النّهاية، فكلّ المقاطعات الّتي استولى عليها العثمانيّون من قبل في الأناضول منحها تيمورلنك استقلالها[3]، ومنها جيرميان وكرمان، وصاروخان وتيكيه ومنتشه وغيرها ولم يعترف سوى بالممتلكات الّتي كانت تابعة للدّولة العثمانيّة عند موت السّلطان مراد الأوّل، كما استعادت ممالك البلقان بدورها استقلالها على غرار بلغاريا،

1– ابن عرب شاه، مصدر سابق، غ م.

2 - *D*uruy (M .V), op. Cit., p80

3– أنهى تيمورلنك حملته على الأناضول بتقسيمه إلى 06 مقاطعات: ألطون أوردي " أوروبّا الشّرقيّة "، والمملوكيّة المصريّة السّوريّة، والمملوكيّة الهنديّة، والمملوكيّة التّركيّة العثمانيّة، والمملوكية البيزنطيّة، وإمبراطوريّة طرابزون الرّوميّة. انظر: أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة**، مرجع سابق، ص 113.

صربيا وولاشيا. وما يجدر بنا ذكره أنّ تيمورلنك لم يتدخّل في شؤون شعوب البلقان، لهذا كان عليهم أن يقرّرُوا مصيرهم بأنفسهم[1]. وتخلّصت القسطنطينيّة نهائيّا من الحصار الّذي كان مضروبا عليها، ومن الخطر الّذي كان يهدّدها[2].

وبعد تقهقر الجيش العثمانيّ في المعركة عاد الأمير سليمان مسرعا إلى بورصة تطارده فلول المغول، واستولى على ما فيها من خزائن وأموال وحريم، ثمّ تركها مسرعا في اتّجاه أدرنة[3]، حيث استولى على العرش دون مبايعة[4]. بعد وصول التّيموريّين إلى بورصة نهبوها وأحرَقوها، كما عاثوا بالأناضول فسادا مدّة ستّة أشهر[5]، وأحرقوا أرشيف الدّولة، لهذا فالوثائق العثمانيّة الّتي تعود إلى القرن 14م هي غير وافية[6]. وعيّن تيمورلنك الأمير عيسى حاكما على بورصة [7].

وبعد وفاة السّلطان بايزيد وقعت الفتنة على السّلطة بين أبنائه (عيسى، وموسى، وسليمان، وقاسم، ومحمّد)، ودامت حوالي 12 سنة[8]، وتحوّلت إلى حرب أهليّة، إذ كان كلّ واحد منهم يدّعي أحقّيّته في السّلطة[9]، ووصل بهم الأمر أنّهم أصبحوا يستقوون على بعضهم البعض بتيمورلنك[10]، الّذي استغلّ الفرصة وعمل على تمزيق الدّولة العثمانيّة إلى شطرين، الأناضول الّذي كان يعتبر بلدا إسلاميّا قديما، بينما كان البلقان يعتبر حديث العهد بالإسلام يسكنه الغزاة والمستوطنون الجدد[11]. وعُرفت هذه المرحلة

1- للمزيد انظر: شوجر، مرجع سابق، ص 38.

2 -cf : *T*heophile *l*avallé ,op. cit, pp ,157 158 .

3- القرماني، مصدر سابق، ص 303.

4- للمزيد انظر: منجم باشي، مصدر سابق، ص 87.

5- المقريزيّ، مصدر سابق، ج6 ص 82.

6- أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة** ، مرجع سابق،ص 112.

7- مونتران، المرجع السابق ، ص 77.

8- أبو السّرور البكريّ الصّديقيّ، مصدر سابق، غ.م.

9- فريد بك المحامي، مرجع سابق، ص 25.

10- إسماعيل سرهنك، مرجع سابق، ص 28.

11- لويس، المرجع السابق، ص 43.

الحرجة من تاريخ الدّولة العثمانيّة **بدورت فترت** ودامت من معركة أنقرة 1402م إلى توحيد الدّولة العثمانيّة على يد محمّد الأوّل في 1413م، ودامت 10 سنوات و11 شهرا و08 أيّام [1].

وبهذا تعتبر معركة أنقرة 1402م من أكبر الكوارث الّتي حلّت بالدّولة العثمانيّة منذ نشأتها، وهي المرّة الأولى الّتي تشهد أسر عاهل عثمانيّ وهو في عزّ قوّته، لكنّها رغم هذا لم تُغيّر من مجرى تاريخ المنتصر والمنهزم[2]. وأخّرت هذه المعركة نموّ الدّولة العثمانيّة وتوسّع فتوحاتها مدّة نصف قرن أُخرى، ووحدةَ الأناضول مدّة 70 سنة، كما أطالت عمر بيزنطة، رغم أنّه كان بإمكان تيمورلنك احتلال القسطنطينيّة لو شاء خلال أيّام فقط وبالتّالي أطال في مدّة العصور الوسطى 50 سنة[3].

لم يستغلّ تيمورلنك انتصاره السّاحق هذا، إذ كان بإمكانه توسيع ممتلكاته في الأناضول وحتّى في البلقان، لكن يبدو أنّ تيمورلنك لم يكن هدفه احتلال أراضي الدّولة العثمانيّة، كما لم تُغْرِهِ القسطنطينيّة، لأنّ هدفه كان احتلال الصّين[4]، وبسبب مشاكل عرفتها إمبراطوريّته في الشّرق عاد مسرعا إلى سمرقند[5].

ورغم الضّربة الموجعة الّتي تلقّتها الدّولة العثمانيّة في هذه المعركة، يبدو أنّ تيمورلنك قدّم للدّولة العثمانيّة خدمات دون أن يدري، فاستيلاؤه على ميناء أزمير من البيزنطيّين الّذي استعصى على العثمانيّين كان بمنزلة خدمة لهم، كما كان له دور في الإسراع في تتريك الأناضول وأسلمته، نتيجة وصول موجات هجرة كبيرة من المسلمين الفارّين أمام جحافل جيوش المغول[6]. وتعود أسباب الكارثة الّتي حلّت بالدّولة العثمانيّة بعد معركة أنقرة إلى سوء معاملة السّلطان بايزيد لأمراء الأناضول، كما أن الدّولة العثمانيّة كانت دولة غزاة قائمة على أساس محاربة الكفّار، وإقدام السّلطان بايزيد على إخضاع الإمارات الإسلاميّة في الأناضول مستعينا بفرق عسكريّة مسيحيّة أدّى إلى احتجاج المسلمين في كلّ أنحاء العالم الإسلاميّ. ولعلّ أكبر خطأ

1- البكريّ الصّديقيّ، مصدر سابق، غ.م؛ أوزوتونا، ص 113.

2- عبد الرّحيم مصطفى، مرجع سابق، ص 58.

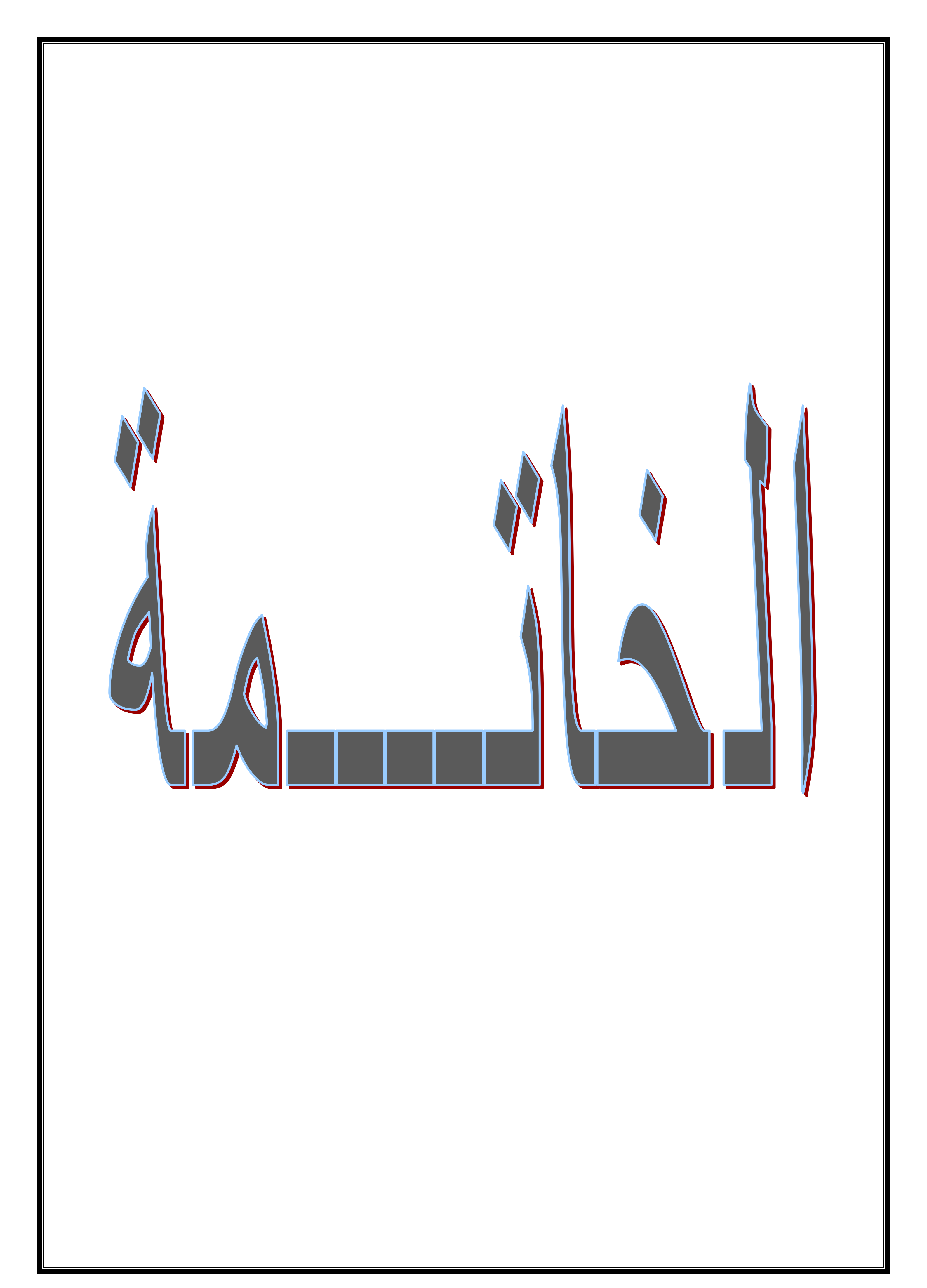
3- أوزوتونا، **تاريخ الدّولة العثمانيّة**،مرجع سابق، ص 110.

4- *l*orgeoux Jeanny, op. Cit., p862.

5- *G*autier *P*aule , op. Cit. ,P347.

6- محمّد عبد اللّطيف هريدي، مرجع سابق، ص 26.

ارتكبه السّلطان بايزيد هو تسرّعه في تحويل إمارة آل عثمان إلى دولة إسلاميّة تقليديّة بسرعة فائقة دون مراعاة للظّروف القائمة وهذا نتيجةً لغروره.


الخاتمة

بناءً على ما سبق عرضه في المذكرة ، يمكن الوصول إلى الاستنتاجات التالية :

1. ظهرت الدولة العثمانية في ظروف دولية تميزت بالتّحديات الدّاخلية والخارجية ، فقد ظهرت من ضمن العديد من الإمارات التركمانية ولم تكن أقواها ولا الأحق في خلافة الدولة السلجوقية، لكن رغم هذا تمكنت من توحيد هذه الإمارات تحت لوائها،و الوقوف في وجه القوى المسيحية المجاورة لها في الأناضول و في البلقان.

2. بعد توليه السلطة إثر استشهاد والده السلطان مراد الأول أقدم السلطان بايزيد الأوّل على قتل أخيه وهذا حتى لا ينافسه على السلطة، ودرءاً للفتنة مستنداً في ذلك على فتوى شرعية مبنية على قوله تعالى"الفتنة أشد من القتل " سورة البقرة ،الآية 191،وبهذا يُعتبر أول عاهل عثماني يقدم على قتل أخيه، هذا ما تبناه السلاطين الذين جاؤوا من بعده وأصبحت ظاهرة قتل السلطان الجديد لإخوته بعد اعتلائه العرش قانوناً متعارفاً عليه منذ السلطان محمد الفاتح، ورغم قساوة هذا القانون إلاّ انه كان له الفضل في تثبيت الاستقرار في دواليب السلطة.

3. عمل السلطان العثماني بايزيد الأول بعد توليه السلطة على تحويل الدّولة العثمانية من دولة شبه إقطاعية إلى دولة مركزية، وبهذا يكون قد قضى على امتيازا الأمراء التركمان ، الذين لم يكونوا مهيئين لمثل هذا المشروع، لأنّه كانت لا تزال تسيطر عليهم ذهنيات البدو ولم يستوعبوا مشروعه، لهذا بل واجهوه بكل ما أوتوا من قوّة، وتحالفوا مع ألدّ أعدائه"تيمورلنك"،وبذلك يكون السلطان قد تسرّع في الإعلان على مشروعه، وبهذا يمكن القول انّه حمّل الدولة العثمانية أكثر من طاقتها، خاصة وأنّها كانت في طور النّشأة.

4. كما كانت الدولة العثمانية خلال فترة حكمه لا تزال حديثة العهد، وكانت بحاجة إلى فترة هدوء وسلام لتثبيت دعائمها من الدّاخل، إلا أن السلطان أقحمها في سلسلة من الحروب من الحروب هذا

ما اكسبه العديد من الأعداء، كان من الممكن أن يكسبهم إلى صفّه وعوض أن يكونوا أعداء له، يكونون حلفاء له .كما كان اهتمام الدّولة كبيراً بالمجال العسكري الذي تمثل في وجود فرق السباهية وفرق الانكشارية وفرق أخرى اقل أهمية .

5. لم تعد الدولة العثمانية مجرّد إمارة، بل أصبحت دولة مركزية تحكمها نظم و تقاليد ثابتة ، خاصة بعدما تحصّل من الخليفة العباسي في القاهرة على لقب سلطان الروم تمييزاً له عن سلاطين بقية البلاد الإسلامية ، وبهذا أصبح لدولته بعد جيوسياسي، واعتبرها استمرارا لدولة السلاجقة. مُكذّباً بذلك الادّعاءات التي كانت ترى في حكمه استمرارا لحكم الأباطرة المسيحيين في بلاد الروم، خاصة بعد ولوج عدة عناصر يونانية و مسيحية إلى بلاطه، وتأثيرهم على سياسة الدولة الخارجية، كما أنّ أمه وزوجته كانتا يونانيتين.

6. و في محاولته للقضاء على الارستقراطية المحلية، وإخضاع الإمارات التركمانية المتمردة في الأناضول استعان بفرق عسكرية مسيحية صربية خاصة، يكون قد ألّب ضدّه جلّ الإمارات الإسلامية في الأناضول ، بل وحتى المسلين في مصر والشام . لان ما قام به السلطان العثماني ضدّهم يتنافى مع قواعد الجهاد التي تقضي بتوجيه القوة العسكرية ضد الأعداء المسيحيين ، هذا ما زاد في نقمة التركمان في الأناضول ضدّه، لهذا استغلّوا أوّل فرصة أُتيحت لهم للانتقام منه وكأنّه ما أنجزه خلال 13 سنة من حكمه، جنى ثماره في معركة أنقرة 1402م وبذلك جاءه الإنتقام من حيث لم يتوقع، لكن رغم كل هذا يمكن اعتبار السلطان بايزيد الأول أول سلطان عثماني تمكن من توحيد الأناضول،وفرض سيطرته المباشرة سواء عن طريق الإلحاق المباشر أو عن طريق التحالفات.

7. كانت فلسفة الحكم العثماني تقوم على مبدأ التسامح سواء مع الملل المسلمة أو غير المسلمة «الدين لله والوطن للجميع ، فالحرية الدنية التي تمتّع بها أهل الذمة في كنف الدولة العثمانية خلال الفترة

المدروسة، لا يتمتع بها المسلمون اليوم في الكثير من مناطق العالم، كما لم تعرف الدّولة العثمانية التمييز العنصري ولا الجهوي ولا الدّيني، وعرفت سياستها بالتسامح على أوسع نطاق فالكل سواسية أمام القانون. أمّا الذين يحضون بامتيازات، فهم أولائك الذين يقدمون خدمات أكثر للدولة بغضّ النّظر عن مللهم أو دياناتهم، هذا ما أدى إلى اعتناق الكثير من المسيحيين للإسلام طواعية ورأوا في ذلك تخليصا لهم من الكنيسة آنذاك .

8. كان للطّرق الصوفية بمختلف إنتماآتها ولتنظيمات الآخيان دور كبير في إرساء دعائم الدّولة اقتصاديا واجتماعيا، كما كان لها دور في نشر الإسلام بين شعوب البلقان.

9. عملت الدولة العثمانية على تهجير العديد من القبائل التركمانية من الأناضول إلى البلقان وأنشأت لهم قرى خصيصا لاستقبالهم تحت إشراف شيوخ الطرق الصوفية الذين رافقوهم حيث ما حلّوا، وبالمقابل عملت على تهجير العديد من سكان البلقان خاصة الرافضين للحكم العثماني إلى الأناضول وكان لهذه العمليات دور في التركيبة الديموغرافية للدولة العثمانية .

10. وما يسجّل للدولة العثمانية على الصّعيدين الاقتصادي والاجتماعي هو تنظيمها المحكم لتوزيع الأراضي الزّراعية على شكل تايمارات، هذا النظام يعتبر العمود الفقري للبناء الاقتصادي والاجتماعي والعسكري للدّولة العثمانية فحماية التيماري للدولة العثمانية والمساهمة المباشرة في إعداد الجيش (السباهية) هي بمثابة دفاعا عن أرضه وممتلكاته، وكان يمثل الدولة في تيماره، فهو من يجمع الضّرائب ويطبق قوانين الدّولة .

11. تميزت الأوضاع الثقافية في الدولة العثمانية خلال الفترة المدروسة بالتأثيرات الفارسية والعربية الواضحة، كما تميزت بالرّكود بشكل عام الذي ربما يعود إلى الركود العام الذي عرفه العالم الإسلامي منذ أواخر القرن 12م، لهذا فالحياة الفكرية في الدولة العثمانية وضعت على تراث راكد، والعثمانيون

ليسوا مسئولين عنه. أما المؤسسات التعليمية، من مدارس ومختلف المعاهد والزوايا مستقلة رسميا مستقلة وماليا عن الدولة العثمانية لان مصدر تمويلها كان الأوقاف لكن رغم هذا لكنها تخضع لرقابتها .

12. ومن خلال تصريحات ومواقف السلطان بايزيد الأوّل وبعد معركة نيكوبوليس 1389م يبدو أنّه أصيب بالغرور، وأصبحت طموحاته كبيرة بل اكبر من مستوى الدّولة العثمانية، لهذا فقد حمّلها أكثر ممّا تطيق.

13. أمّا عن علاقات الدولة العثمانية بالمماليك فلم تكن في المستوى كما لم تعرف الاستقرار، ولو كان هناك تحالف عثماني مملوكي حقيقي، أو كانا جسدين في روح واحدة كما ادّعاه العاهلين المملوكي و العثماني من قبل لما تمكّن تيمورلنك من أن يعبث ببلاد الشام والعراق، ولما تمكن من هزيمة العثمانيين في معركة أنقرة 1402م.

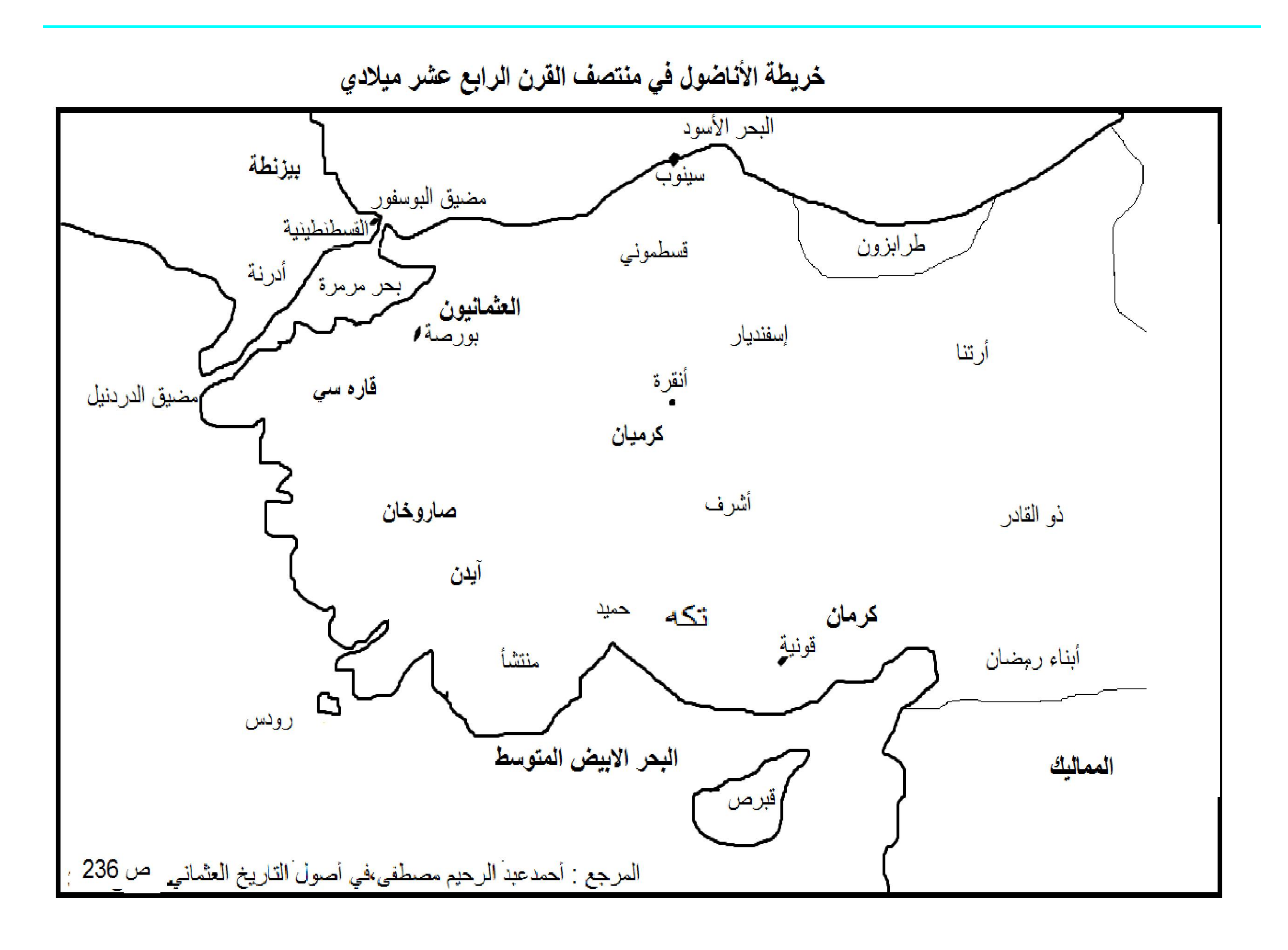
14. تعتبر معركة أنقرة من أكبر الكوارث التي حلّت بالدّولة العثمانية منذ نشأتها، وهي المرة الأولى التي تشهد اسر عاهل عثماني وهو في عزّ قوّته لكن رغم هذا لم تغير من مجرى تاريخ المنتصر والمنهزم. وأخّرت هذه المعركة نمو الدولة العثمانية وتوسع فتوحاتها مدة نصف قرن، ووحدة الأناضول مدّة 70 سنة كما أطالت عمر بيزنطا، رغم انه كان بإمكان تيمورلنك احتلال القسطنطينية خلال أيام فقط لو شاء ذلك وبالتالي أطال في مدة العصور الوسطى 50 سنة.

هذه الاستنتاجات المتواضعة لا تُعدّ أحكاماً نهائية، بل يمكن أن تكون المنطلق لدراسات مستقبلية، حول فترة حكم بايزيد الأوّل للدولة العثمانية وما أعقبها من صراعات بعد وفاته بين أبنائه، وبالتالي يبقى هذا العمل المتواضع قابل للنّقاش والإثراء من طرف باحثين آخرين، والله الموفّق إلى الحق و هو الهادي إلى سواء السّبيل.

الملاحق

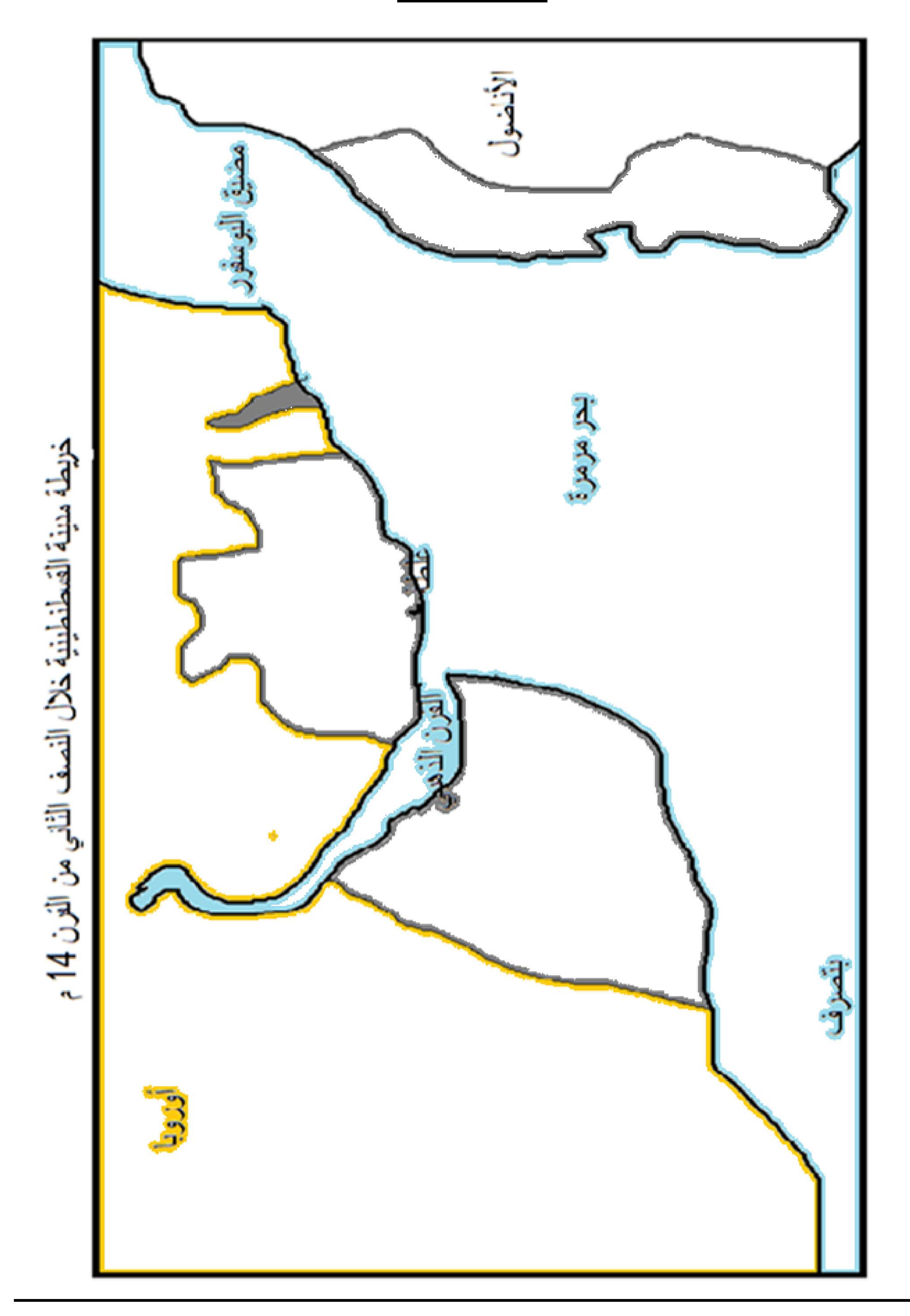
- الملحق رقم"01": خريطة تُمثل إمارات الأناضول خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر.
- الملحق رقم"02": خريطة لمدينة القسطنطينية.
- الملحق رقم"03": خريطة تمثل شبه جزيرة غاليبولي.
- الملحق رقم"04": خريطة الدولة العثمانية في عهد السّلطان بايزيد الأوّل.
- الملحق رقم"05": مُخطط لمعركة نيكوبوليس 1396م.
- الملحق رقم"06": خريطة تمثل إنقسام الدولة العثمانية بعد معركة أنقرة 1402م
- الملحق رقم"07": مقتطف من رسالة تيمورلنك لأمراء التركمان ، يُحرّضهم فيها للرد على السلطان العثماني بايزيد الأوّل
- الملحق رقم"08": مقتطف من رسالة تيمورلنك للسّلطان العثماني بايزيد الأوّل قبل معركة أنقرة.
- الملحق رقم"09": مقتطف من ردّ السلطان العثماني بايزيد الاول على رسالة تيمورلنك في 1402م

الملحق رقم "1"



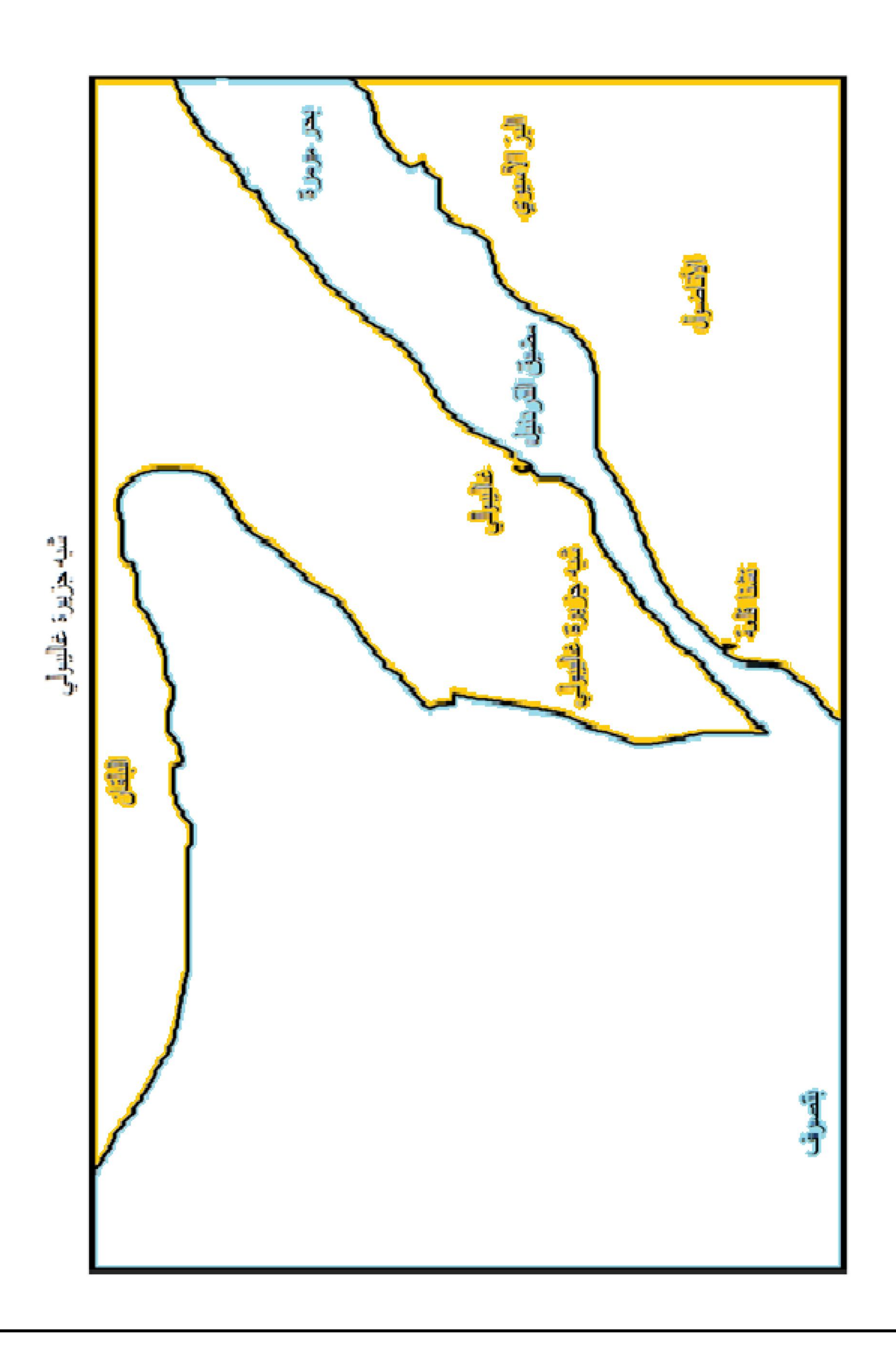
خريطة الأناضول في منتصف القرن الرابع عشر ميلادي
بيزنطة
مضيق البوسفور
القسطنطينية
أدرنة
بحر مرمرة
العثمانيون
بورصة
مضيق الدردنيل
قاره سي
البحر الأسود
سينوب
قسطموني
طرابزون
إسفنديار
أرتنا
أنقرة
كرميان
أشرف
ذو القادر
صاروخان
آيدن
حميد
تكه
كرمان
قونية
منتشا
أبناء رمضان
رودس
البحر الابيض المتوسط
قبرص
المماليك
المرجع : أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني ص 236

الملحق رقم"2"



خريطة مدينة القسطنطينية خلال النصف الثاني من القرن 14 م

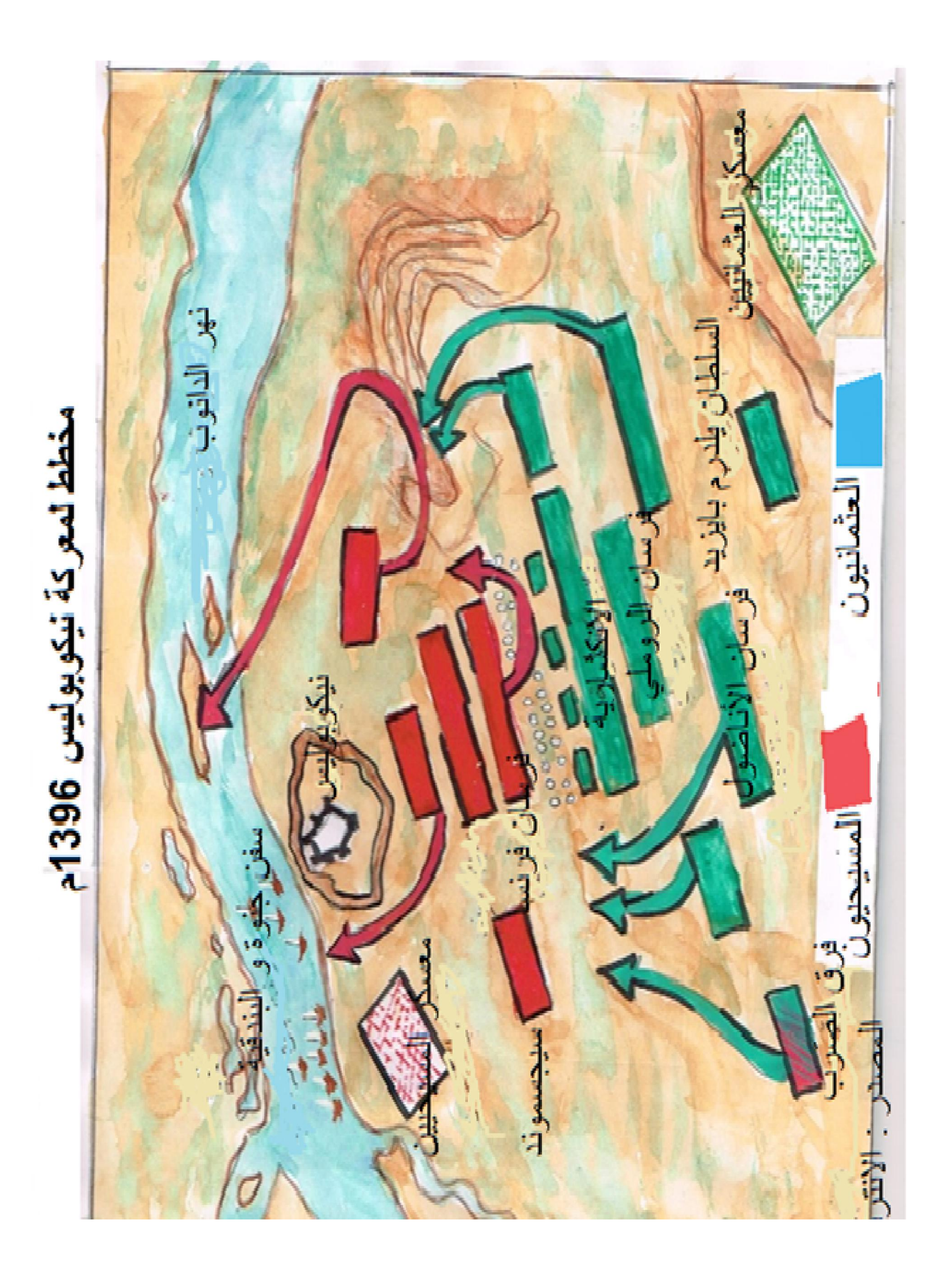
الملحق رقم "3"


شبه جزيرة غاليبولي
البلقان
بحر مرمرة
غاليبولي
مضيق الدردنيل
البر الآسيوي
شبه جزيرة غاليبولي
الأناضول
جناق قلعة
بتصرف

<u>الملحق رقم "4"</u>

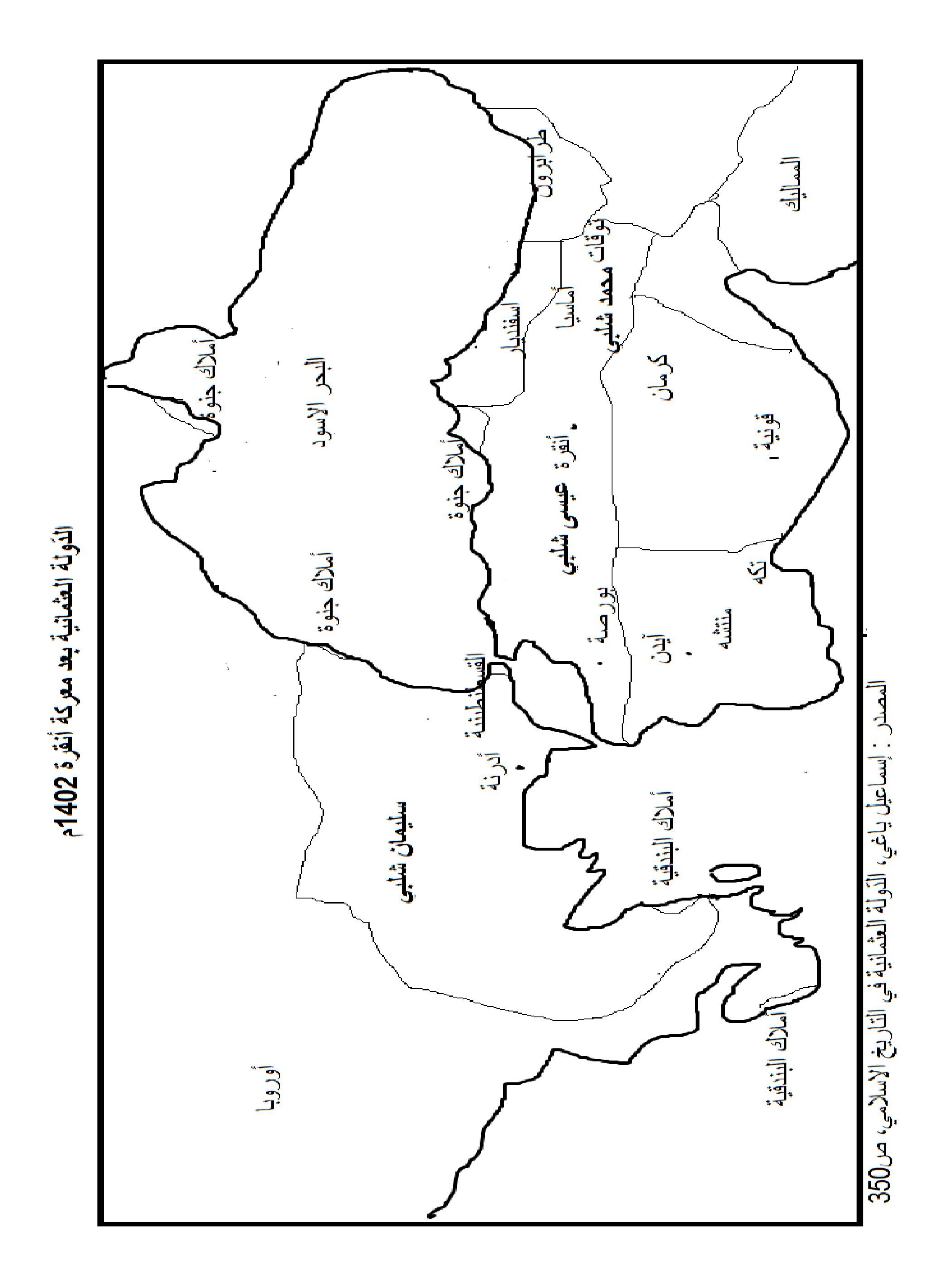


الملحق رقم "5"



مخطط لمعركة نيكوبوليس 1396م
نهر الدانوب
سفن جنوة و البندقية
نيكوبوليس
معسكر المسيحيين
فرسان فرنسا
سيجسموند
الإنكشارية
فرسان الروملي
السلطان بايزيد
فرسان الأناضول
معسكر العثمانيين
فرق الصرب
العثمانيون
المسيحيون

<u>**الملحق رقم "6"**</u>



الملحق رقم"7"

رسالة تيمورلنك الى أمراء التركمان بالأناضول يحرره من خلالها ضد السلطان العثماني بايزيد الأول (عن كتاب، ابن عرب شاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور)

إن حسبكم حسبي * ونسبكم متصل بنسبي وإن بلادنا بلادكم * وأجدادنا
أجدادكم * فكلنا فروع نبعة * وأغصان دوحة * وإن آباءنا
من قديم العصر وهلم جرا إلى الآن نشأوا في عش متوحد * ودرجوا في
وكر غير متعدد * فأنتم في الحقيقة شعبة من شعبي وغصن من أغصاني *
وجارحة من جوارح جميع صحبي وطلابي * وأنتم لي عمار * وبالي
الناس دثار * وإن كان الناس ملوكا بالاكتساب * فأنتم ملوك بالانتساب *
وإن آباءكم من قديم الزمان * كانوا ملوك ممالك توران * فانبغى

منهم طائفة من غير اختيار * إلى ملك الكفار * فاستعبدوهم وهم على
ما هم عليه من الكرامة * وشعار السلطنة وأسباب الزعامة * ولم
يزالوا على ذلك النشاط والهمة * إلى أن أدرككم المرحوم رحمه الله تعالى
ومنّ على ملك العزة * وكان المرحوم أرسل إليكم أميرا من ملوككم * وأكثرتم المال في
في بلاد الروم أضعاف مالكم * وليس بحمد الله في شوكتكم قلة *
ولا في كثرتكم قلة * فإن رضيتم لأنفسكم بهذه الذلة * وأن تصيروا
مستعبدين * كأنكم من المستعبدين * وبعد أن كنتم أكابر مكرمين *
كيف صرتم أصاغر مصغرين * ولحقتم بذل الهوان والمضيعة * وأرض
الله واسعة * ولم صرتم مرقوقين * رجل من أولاد معتوقين على

فمنهم طائفة من غير اختيار * الى هذه الديار * فاستوطنوها وهم على
ما هم عليه من الكرامه * وشعار السلطنة واسباب الزعامه * ولم
يزالوا على هذا النشاط والعزه * الى ان انقرضوا الى رحمة الله تعالى
وهم على هذه العزه * وكان المرحوم ارتنا امير ملوككم * واكبر ممالك
في بلاد الروم اصغر ممالككم * وليس ضعف الله في شوكتكم قلة *
ولا في كثرتكم ذلة * فاني رضيتم لانفسكم بهذه الذلة * وان تصيروا
مستحقرين * كانكم من المستحقرين * وبعد ان كنتم اكابر مكرمين *
كيف صرتم اصاغر مستحقرين * ولستم بدار هوان ولا مضيعة * وارض
الله واسعة * ولم صرتم من قولي * رجل من اولاد متولي ملك
السلجوقي * ولا ادري ما العلة لهذا والسبب * ومن اين هذا الاعياء
والتعب * سوف عدم الاتفاق * والتفاء الاتساق * وعلى كل حال
فانا اولى بكم * واحق بعمل مصالحكم وتهيئة اسبابكم * وان كان
لابد من استيطانكم هذه التخوم * وبقع تلك البلاد الفسيحة بمضايق
ممالك الروم * فلا اقل من ان تكونوا كاسلافكم حكامها * مالكي نواصيها
متبوئين ذرا اعلى سنامها * باعطاء آبائكم اياها قابضين زمامها *

وهل المهم انما يتم اذا كفينا هذه المنازله * وقضينا الارب من هذه
المناضلة * وتمهد لنا الميدان * وارتفع من البين ابن عثمان * فاذا
خلا الجو من المنازع * وصفت لي هذه البلاد المشارع * وظفرت
بهذه الممالك * وسلكت فيها الطرق والمسالك * اعطيت القوس
باريها * وانزلت الدار بانيها * ورددت المياه الى مجاريها *
وجعلتكم ملوك قواصيها وصياصيها * ومدنها وضواحيها * وقررت
كل واحد منكم على قدر استحقاقه فيها * وان رأيتم ان لا تعينوا علينا *
وامكنكم ان تنحازوا الينا * فاغتنموا فرصتكم * وخذوا من انتهازها
حصتكم * فانكم تربحون بها صورة ومعنى * واما الآن فكونوا
بظاهركم مع ابن عثمان وبباطنكم معنا * حتى اذا التقينا امتازوا *
والى عساكرنا انحازوا * ولا زال فحل كلامه ينزو على هجير هجرهم
ولا يفتر * مزخرفا بتمويهات تزري فصاحتها بكلام الاسود بن يعفر *
فما تصافى دردور افكارهم ليردها عن ان تتبع ابن عثمان وتقفره *
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر * حتى خلبهم بهذا المقال *
واستهوتهم في معنى ما قال * واستهواهم حب الرياسة .....

تقفر الاثر واقتفره وتقفره اقتفره وتبعه

استهوته الشياطين ذهبت بهواه وعقله

الملحق رقم "8"

مقطف من رسالة تيمورلنك الى السلطان العثماني بايزيد الأول، قبل معركة أنقرة 1402 م، (عن كتاب، ابن عرب شاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور)

«... * وذكروا أنهما من سطوات مشربه مرّا * وأنهما مادة الفساد *
وبوار البلاد * ودمار العباد * ومنبع الخمول والإدبار * وكفرعون
وهامان في العلو والاستكبار * وأن فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين * وقد صارا من معهما في حيّز ذراكم لاطئين * وأينما حلّوا
حلّت النحاسة والشوم * وحاشا أن يكون مثلهما من المفلوكين تحت
جناح صاحب الروم * فإياكم أن تأووهم بل أخرجوهم * وخذوهم
واحصروهم * واقتلوهم حيث وجدتموهم * وإياكم ومخالفة أمرنا *
فتحل عليكم دائرة قهرنا * فقد سمعتم قضايا مخالفينا وأضرابهم *
وما نزل بهم منّا في حرابهم وضرابهم * وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم *
فلا تكثروا بيننا وبينكم القيل والقال * فضلاً عن جدال وقتال * فقد
بيّنّا لكم البراهين وضربنا لكم الأمثال * ...»

رد السلطان العثماني بايزيد الأول على رسالة تيمورلنك قبل معركة أنقرة 1402، (عن كتاب، ابن عرب شاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور)

* ثم قال أيخوفني بهذه الترهات * ويستفزني بهذه الخزعبلات *
أيحسب أني مثل ملوك الأعجام * أو تتار الدشت الأغنام * أو لي
جمع الجنود * كجيش الهنود * أو جندي في الشقاق * كجمع العراق *
أو ما عندي من غزاة الإسلام * كعساكر الشام * أو أن قفله
المجمع كجندي * أو ما يعلم أن أخباره عندي * وكيف ختل الملوك
وختر * وكيف تولى وكفر * وما صدر عنه وعنهم * وكيف كان
كل وقت يستضعف طائفة منهم * وأنا أفصل جمل هذه الأمور * وأكشف
ما خزنه في التامور * وأما أول أمره فحرامي سفاك الدم * وقاتل

قفل كنصر وضرب قفولا رجع
فهو قافل ج قفال و[القفل]
محركة اسم الجمع ق

المحرم نقاض العهود والذمم * طرف منحرف عن الصواب في الخطا *
فصال وجال وسطا * ثم طال واستطال * واتسع له المجال * وعق
عنه الرجال * ومن حين نبغ * استصبى حتى شابه الشيب بالعيب
فأدركه ما أدركه وما بلغ * فالتهبت فتيلته بعد أن كانت شرارة *
وانتشرت فروع جهته فصارت غرارة * أما ملوك العجم فإنه
استنزلهم بدخله ودخله * ثم استفزهم بخيله ورجله * وبادر إلى قتلهم
بعد أن أمكنتهم فرصة قتله * وأما توقتاميش خان * فإن غالب
عسكره خان * ومن أين للتتار الطغام * الضرب بالبتار الحسام * وما لهم
سوى رشق السهام * بخلاف ضراغم الأروام * وأما جنود الهنود
فإنه خذلهم في أمرهم * ورد كيدهم في نحرهم * فوهت أركانهم * لا سيما
وقد مات سلطانهم * وأما عساكر الشام * فأمرهم مشهور * وما جرى
عليهم فظاهر غير مستور * ولما مات سلطانهم * وتضعضعت أركانهم *
وانفض أمرهم وانتقض * وبغى بعضهم على بعض * فقطعت منهم الرؤوس
الكبار * ولم يبق فيهم إلا رؤوس صغار * فنثر الزمان نظامهم *
وسام التبدد ملكهم وشامهم * مع أنهم في الصور ربيع وفي المعاني

حمادى * يرمون بواحدة وهى انهم يبيتون جميعا ويقومون مثنى

وفرادى * لا جرم تفرقت ايادى سبا احزاب تلك الزمر * فاشتغل

جيشه فيها بالمحرم فباض لما علا له الجو وصفر * ولو كان بينهم اتفاق

لفتقوه فتقا * وبددوا شمله وبتوه بتا * ولكنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم

شتى * ومع اتساق نظامهم * وتسديد سهامهم * وقوة نطاحهم *

وشدة كفاحهم * وشدة رماحهم * وكونهم ظهر الحاج * واسود

الهياج * انى لهم نظام عساكرنا * وقوة القيام بتظافرنا وتناصرنا *

وكم فرق بين من تكفل بامر الحفاة العراة * وبين من تحمل امر

الكماة الغزاة * فان الحرب دابنا * والضرب طلابنا * والجهاد صنعتنا *

وشرعة الغزاة فى سبيل الله تعالى شرعتنا * ان قاتل احد تكالبا

على الدنيا * فنحن المقاتلون لتكون كلمة الله هى العليا * رجال لنا باعوا

انفسهم واموالهم من الله بان لهم الجنة * وكم لضرباتهم فى آذان

الكفار من طنة * ولسيوفهم فى قلانس القوانس من رنة * ولنون قسيهم

فى خياشيم بنى الصليب من غنة * لو سمناهم خوض البحار خاضوها *

وكلفناهم افاضة دماء الكفار افاضوها * قد اطلوا من صياصيهم

على تلع تلاع الكفار واخنوا عليها * وامسكوا بعنان افراسهم فكلما سمعوا
هيعة طاروا اليها * لا يقولون لمليكهم اذا غمرهم في البلاء والابتلاء *
انا ههنا قاعدون فاذهب انت وربك فقاتلا * ومعنا من الغزاة مشاه *
افرس من فوارس الكماه * ابصارهم باتره * واظفارهم ظافره *
كالاسود الكاسره * والنمور الجاسره * والذئاب الهاصره * قلوبهم
بوداد ديننا عامره * لا تخامر بواطنهم علينا مخامره * بل وجوههم
في الحرب ناضره * الى ربها ناظره * وحاصل الامر ان كل اشغالنا *
وجل احوالنا وافعالنا * حتم الكفار ولم الاسرى وضم الغنائم * فنحن
المجاهدون في سبيل الله الذين لا يخافون لومة لائم * وانا اعلم ان
هذا الكلام يبعثك الى بلادنا انبعاثا * فان لم تأت تكن زوجاتك طوالق
ثلاثا * وان قصدت بلادي وفررت عنك ولم اتأتلك البته * فزوجاتي
اذ ذاك طوالق ثلاثا بته *


البيبليوغرافيا

01 – قائمة المصادر

أ- العربية

1. إبراهيم بن عامر العبيدي المالكي، قلائد العقيان في مفاخرة دولة آل عثمان، د.ن.ط، 1326ه .
2. ابن بطوطة أبو عبد الله ابن محمد اللاواتي، **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الآثار**،ج1 ، ط1، المطبعة الخيرية، 1322ه/ 1986م.
3. ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحي، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق كامل ديسلمان الجبوري ومهدي نجم، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2010م .
4. أبو السرور البكري الصّديقي، **المنح الرّحمانية في تاريخ الدّولة العثمانية**، عدد الأوراق 102، رقم المخطوط 1105، المكتبة، Ū.Ist A Y ، د.ن، د.خ.ش.م، د.ن.م، غ.م.
5. أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج08 ،المطبعة الأميرية،القاهرة 1333ه/1915م.
6. أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدّمشقي القرماني، **أخبار الدّول وآثار الأول**، مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"،د.خ.ش، د.ن.م.
7. أحمد بن عرب شاه شهاب الدين، **عجائب المقدور في أخبار تيمور**، د.ن،د.م.ن،د.خ.ش.
8. بن إياس محمد بن أحمد الحنفي، **بدائع الزّهور في وقائع الدّهور**، ج 1،مطابع الشّعب، القاهرة، 1960م.
9. بن تغري جمال الدين أبو المحاسن بردي، **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، تقديم محمد حسين شمس الدين ج 12، ط 1، القاهرة ، 1975، د.ش.
10. تقي الدين أبي العباس احمد بن علي عبد القادر العبيدي المقريزي، **السلوك لمعرفة الملوك**، ج 6، 802ه/822ه، د.ن، د.م.ن.
11. زين الدين عبد الباسط بن خليل ابن شاهين الظاهري الحنفي (844-960ه) **نيل الأمل في ذيل الدّول**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ج1 ، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 1422ه /2002 م.

12. سليمان أفندي خليل الجاويش، **التّحفة السّنية في تاريخ القسطنطينية**، دار المعارف، بيروت، 1872م.

13. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، م 2، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

14. طاشكبري زاده، **الشقائق النّعمانية في علماء الدولة العثمانية**، (مخطوط بخط مصطفى بن محمد 1043هـ)، د.ن، د.م.ن، غ.م.

15. عبد الرحمان بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ج7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1421هـ/ 2000م .

16. محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، ج1، ط1 ، دار ابن الكثير، دمشق، بيروت 1427هـ/2006م.

17. محمود حمزة، **البرهان على بقاء ملك آل عثمان إلى آخر الزّمان**، مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة، تموز 1207هـ، العدد 440.

18. منجم باشي أحمدبن لطف اللّه، **جامع الدّول (التاريخ العثماني 1299 – 1481م)**، حقّقه وعلّق عليه وترجمه إلى التّركية أحمد اغير اقجه، إنسان يانلري، اسطنبول 1995م.

ب – المعرّبة

1. البدليسي شرف خان شمس الدين، **شرفنامة في تاريخ الدّولة العثمانية**، ترجمة محمّد علي العوني، ج1،ط2،دار الزّمان للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، 2006م.

2. نيقولو باربارو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية(يوميات الحصار العثماني 1453م)**، دراسة وترجمة وتعليق حاتم عبد الرّحمان الطّحاوي، ط1،عين الدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، جمهورية مصر العربية 2002م.

02 – قائمة المراجع بالعربية

أ/ الرسائل الجامعية

1. إلهام عبد القادر حمودي الطائي، **الدولة العثمانية في عهد بايزيد الثاني** (1481-1512م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة ، تحت إشراف د. إبراهيم خليل العلاف، جامعة الموصل، العراق، 2005م.
2. رائد سامي حميد موسى الدّوري، **الدّولة العثمانية في عهد السّلطان مراد الأوّل (760 – 791هـ /1359–1389م)**، جزء من متطلبات نيل شهادة الدّكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث،غير منشورة، جامعة الكويت، 1432هـ/2011م.
3. زرقوق محمد، **مملكة أرمينيا الصّغرى، بين المغول والمماليك بين سنتي 623هـ–776هـ/1226–1375م**، تحت إشراف د. بشاري، جامعة الجزائر، الموسم الدراسي 2011م/ 2012م.
4. فائقة محمد حمزة عبد الصّمد بحري، **أثر الدّولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا**، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث،غير منشورة، ، جامعة أمّ القرى، مكة المكرمة، 1409 هـ /1989 م.
5. محمد أحمد محمد الثقفي، **زواج السلاطين العثمانيين من الأجنبيات وأثره في إضعاف الدّولة العثمانية** رسالة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف د. يوسف علي رابع الثقفي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1431هـ/1432هـ.
6. متعب حسين القتامي ، **آسيا الصغرى خلال العهد المغولي** (641-736هـ/1273-1336م)، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة 2005م.
7. مريم محمد عوض بن لادن، **دور ابن تيمية في الجهاد ضد المغول الإيلخانيين من 661هـ إلى 728هـ**، بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي،غير منشور، تحت إشراف د. إبراهيم علي شموط، 1983م/1403هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

ب/ **المقالات التاريخية**

1. إيرينا بيتروسيان، **الانكشاريون في الإمبراطورية العثمانية العثمانية،** معهد الدّراسات الشرقية، العلمي الروسي، فرع سان بطرس برغ، تقديم ومراجعة ،قسم الدراسات و النشر بالمركز، مركز جمعة الماجدة للثقافة والتراث العربي دبي2006م.
2. طالب محيبس حسن الوائلي، **هزيمة العثمانيين في أنقرة 1402م،دراسات في مقدمات الصدام التتاري العثماني ومجريات الحرب،** مجلة كلية التربية، ع4، جامعة واسط،العراق ،د،خ،ش.
3. عبد الرحمان بن علي العريني، **قيام الدولة العثمانية وحملات التحالف الصليبي ضدّها،** مجلة الدرعية، السنة الثالثة، ع10، يوليو 2000م، ربيع الثاني1421هـ، تاريخ الإضافة 21أفريل2010م.
4. محمد السيد الدّغيم، بحث : **"تاريخ البحرية العثمانية حتى نهاية عهد الخليفة العثماني سليم الثاني بن سليمان القانوني بن سليم الأول 1574م"**، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية، الحضارة الإسلامية وعالم البحار،(بحوث ودراسات)منشورات أبجاد المؤرخين العرب في القاهرة 1414هـ/1994م.
5. مؤسسة أتاتورك العليل للثقافة واللّغة والتاريخ، **دراسات حول الكيان التركي في بلغاريا،** من نشريات، جمعية التاريخ التركي، مطبعة جمعية التاريخ التركي، أنقرة 1987م.
6. نعمان ترك أوغلو، **الوقف العثماني، حضارة واقتصاد،** مجلة حراء، مؤسسة الأوقاف والاقتصاد العثماني، الأوقاف و الخدمات، ع 31 ،يوليو، أغسطس 2012 م .

ج/ **المراجع بالعربية.**

1. إبراهيم بك حليم، **تاريخ الدّولة العثمانية العلية (التّحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية)** ، ط1، مؤسسة الكتب الثّقافية بيروت، لبنان ، 1408 /هـ 1988م.
2. أحمد سالم، **إستراتيجية الفتح العثماني**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012م ،د.ن.م.

3. أحمد عبد الرّحيم مصطفى، **في أصول التاريخ العثماني**، ط2، دار الشروق، بيروت، 1993م.
4. أحمد فؤاد متولي وهويدا محمّد فهمي، **تاريخ الدّولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذّهبي**، ط1،انتراك للنّشر والتّوزيع، القاهرة،2002م .
5. ....، **الفتح العثماني لمصر والشام**، ط1 الزّهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1414هـ /1995م.
6. أحمد مختار العبادي ، إبراهيم محمد علي مرجونة، **المغول والحضارة الإسلامية** ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،2010م.
7. إسماعيل ياغي، **تاريخ الدّولة العثمانية في التاريخ الحديث**،ط2 مكتبة العبيدات، 198م .
8. حسّان حلّاق، **مدن وشعوب إسلامية**، الكتاب الرّابع، دار الرّاتب الجامعية، سوفنير، بيروت، لبنان، د.خ.ش.
9. حسن الضيقة، **السلطة والثقافة والمجتمع في الدولة العثمانية**، ط1 دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان 1417هـ/1997م .
10. خالد زيادة، **إكتشاف التّقدم الأوروبي**، ط1، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، حزيران1981 م .
11. زبيدة عطا، **بلاد الترك في العصور الوسطى (بيزنطا، سلاجقة الروم والعثمانيون)**، دار الفكر العربي، الكويت،د.خ.ش.
12. سونيا محمد سعيد البنا، **فرقة الانكشارية نشأتها ودورها في الدّولة العثمانية من خلال المصادر التّركية**، إيتراك للطّباعة والنّشر، 2006 م .
13. شعبان طرطور، **الدّولة الجلائرية**، دار الهداية للطّباعة والنّشر والتّوزيع،1407 هـ/1987م.
14. عباس إسماعيل الصّباغ، **تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية**،ط2 دار النّفائس، بيروت، لبنان، 1432 هـ/ 2011م.
15. عبد السلام عبد العزيز فهمي، **تاريخ الدّولة المغولية في إيران**، دار المعارف، القاهرة، 1981م .

16. عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج1، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة 1980م.

17. عبد العزيز سليمان نوار، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة ،د.خ.ش.

18. عبد الفتاح حسن أبو علية، **الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير** ،دار المريخ للنّشر، الجيزة، مصر 1429هـ /2008م.

19. عبد اللّطيف بوجلخة، **الدولة العثمانية**، دار المعرفة، د.م.ن، د.خ.ش.

20. عمر كمال توفيق، **تاريخ الدّولة البيزنطية**، تقديم محمد سعيد رضوان، دار المعرفة الإسلامية للطّبع والنّشر والتّوزيع ، الإسكندرية، د.خ.ش.

21. فاضل البيات، **الدّولة العثمانية في المجال العربي**،ط1 ،مركز الدّراسات الوحدة العربية، بيروت، أفريل 2007 م.

22. محمد جميل بهسم ، **فلسفة التاريخ العثماني** ،(أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية و زوالها، صدر سنة 1373هـ/1954م ،دن،دن م.

23. محمد حرب، **العثمانيون في التّاريخ والحضارة**، المركز المصري للدّراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة 1414هـ/ 1994م.

24. محمد سهيل طقوش،**تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ،ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 1418 هـ/ 1997م.

25. ....، **تاريخ العثمانيين من قيام الدّولة إلى الانقلاب على الخلافة**،ط2دار النفائس للطباعة و النّشر، 1429 هـ/ 2008 م .

26. محمد سيار الجميل، **تكوين العرب الحديث**، ط1،دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان، 1997م.

27. محمد شاكر، **التاريخ الإسلامي** ، ج8 (التاريخ العثماني) ، ط4 ،المكتب الإسلامي، بيروت،1421هـ /2000م.

28. محمّد عبد اللّطيف هويدي، **الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا** ، ط01، دار الصّحوة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1408 هـ/ 1987م .

29. محمود محمد الحويري، **تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى**،ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2002 م .

د – المراجع المعرّبة

1. . أحمد آق كوندز وسعيد أوزوتوك، **الدولة العثمانية المجهولة (303سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية**) وقف البحوث العثمانية، اسطمبول 2008م، ص90.
2. أكرم كيدو، **مؤسسة شيخ الإسلام في الدّولة العثمانية**، ترجمة هاشم الايوبي،ط1 منشورات جروس برس، طرابلس (لبنان) 1992
3. أكمل الدّين أحسان اوغلي، **الدّولة العثمانية، تاريخ وحضارة**، ترجمة صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية باسطنبول (إرسيكا)1999م.
4. أورهان صادق جانبولات، **قوانين الدّولة العثمانية وصلتها بالمذهب الحنفي**، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا، و. م . أ، مكتب التّوزيع في العالم العربي بيروت، لبنان، 1433هـ /2012م
5. برنارد لويس، **اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية**، تعريب وتعليق سيد رضوان علي، ط2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1402 هـ/ 1982م.
6. بيتر شوجر، **أوروبا العثمانية**، ترجمة عاصم الدّسوقي، ط1 ،دار الثّقافة الجديدة، القاهرة مصر، 1998م .
7. ثوريا فاروقي وآخرون ، **التّاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدّولة العثمانية**، مج 1، (1300م-1600م)، ترجمة قاسم عبده قاسم، ط01دار المدار الإسلامي، يونيو2007م .
8. ....، **الدولة العثمانية والعالم المحيط بها**، ترجمة حاتم الطّحاوي، ط1، دار المدار الإسلامي 2008 م.
9. ....، **حجاج وسلاطين**، ترجمة أبو بكر احمد باقادر ط1، منشورات دار الجمل بغداد، 2010 م.
10. جوزيف داهموس، **سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى**، ترجمة محمد فتحي الشاعر ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1992م.

11. حضرة عزّتلو يوسف بك أصاف، **تاريخ سلاطين بني عثمان منذ نشأتهم حتى الآن**، تقديم محمد زينهم محمد عزب، ط1 مكتبة مدبولي، القاهرة، 1415 هـ / 1995م.

12. خليل إينالجيك ، **تاريخ الدّولة العثمانية من النّشوء إلى الانحدار**، ترجمة محمد الأرنؤوط، ط1 ،دار المدار الإسلامي، 2002 م.

13. روبيرت مونتران، **تاريخ الدّولة العثمانية**، ج1، ترجمة بشير السّباعي،ط1 ، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، القاهرة 1993م.

14. كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط05، دار العلم للملايين، بيروت 1968م.

15. كي لسترنج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط2، مؤسسة الرّسالة، بيروت 1985م.

16. محمد الأمين مكّي، **خدمات العثمانيين في الحرمين الشّريفين ومناسك الحجّ**، ترجمه عن التركية ماجدة مخلوف،ط01، الشركة الدّولية للطّباعة، القاهرة 1426 هـ /2005 م.

17. محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط1،دار النفائس، بيروت لبنان، ا1401هـ / 1988م

18. محمد فؤاد كوبرلي، **قيام الدولة العثمانية**، ترجمة احمد سعيد سليمان، تقديم أحمد عزّت عبد الكريم، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر، د.خ.ش.

19. مراد صاريجك، **نقابة الأشراف في الدّولة العثمانية**، ترجمه عن التّركية سهيل صابان،ط1، دار القاهرة، 2006م.

20. الميلاري إسماعيل سرهنك، **تاريخ الدّولة العثمانية**، تقديم ومراجعة حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر 1408هـ/ 1988م

21. نيقولاي ايفانوف، **الفتح العثماني للأقطار العربية 1516– 1574م**، ترجمة يوسف عطا الله، ط01، دار الفرابي، بيروت، 1988م.

22. هاملتون جب وهارولد بون، **المجتمع الإسلامي والغرب**، ترجمة عبد الرّحيم مصطفى، ج1،ط1، دار المعارف بمصر 1971 م.

23. وجيه كوثراني، **السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام**، ط01، بيروت، أكتوبر 1988 م

24. يلماز أوزوتونا، **المدخل إلى التّاريخ التّركي**، ترجمة أرشد الهرمزي، ط 1 ،الدّار العربية للموسوعات ،بيروت، 1426 هـ/ 2005 م.

25. ....، **تاريخ الدّولة العثمانية** ، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح، محمد الأنصاري، مج1،ط1 ،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل،تركيا، اسطنبول، 1988م/1402هـ

قائمة المراجع باللغة الأجنبية

1- A. *de lamartine*, ***Histoire de la Turquie***, T 2, librairie du Constitutionnel, Paris 1831.
2- A. *de lamartine,* ***Les grandes de l'orient (Mahomet Tamerlan, le sultan Zizim)***, Paris, librairie internationale, A.lacroix , Verboekhoven et Gle, éditeurs, 1865.
3- ***B****ertier* A*nnie*, ***Vers l'orient***, bibliothèque nationale de France, imprimerie union à Paris, 1983.
4- ***C****hevallier* H. *et Todier. L,* ***Précis d'histoire de l'Europe(1270 -1610)*****,** Imprimerie et librairie classiques, paris ,1874 .
5- J. *Hammer*, ***Histoire de l'empire ottoman depuis son origine jusqu'à nos jours*** ,traduit de l'Allemand par J.JHelert, T01(1300-1400), imprimerie de Renri dupuy, Paris.S.D.
6- *Laffont Robert*, ***Histoire du développement culturel et scientifique de l'humanité, volume 4 (1300 – 1775)***, T 1 , imprimé et relie en Italie sur les presse de vaccarie à Milan, UNESCO 1968
7- L*eVte.de la joquiere*, ***Histoire de l'Empire ottoman depuis les origines jusqu'à nos jours ,in Histoire universelle***, publiée par société de professeurs et de savants, sous la direction de M .V. Duruy, T1, imprimerie La hure, rue de fleurus, PARIS, 1914.
8- L*orgeoux Jeanny*, ***Histoire Universelle, volume 5 (la renaissance et l'âge classique)***, librairie Hachette1967, Biblio club de France hachette et Cie 1982.
9- M.*Grassi*, ***la charte turque***, T01,librerie universelle, 1825.
10- M.*Ju.Me.Jouanine et M.Jules Vangaver*, **L'Univers ou** ***Histoire et description de tout les peuples , la Turquie*** **.** Firmin didot freres,éditeures ,Paris,.s.d.
11- N. *Iorga*, ***Histoire des états Balkaniques jusqu'à1924***, Librairie universitaire, J. Gamber ,éditeur, Paris1925.
12- S*haw Standford*, **History** ***of the Ottoman empire and modern Turkey***, volume 1 (1280- 1808) Cambridge University, press 1976, reprinted and band bound by Vaile-Ballou , Press Inc, Binghamton , New York

13- *Théophile Lavallée*, ***Histoire de l'empire ottoman*** , Garnier frères libraires éditeurs , Paris , 1855.

Revues Historiques

01- Failler Albert, « ***les émirs Turcs à la conquête de l'Anatolie au début du 14e siècle*** »,in Revue des études Byzantines, v 52, année 1994,.

02- **G**autier Paule , « ***Action de Grace pour l'anniversaire de la bataille d'Ankara (18 juillet 1402 »,***in Revue des Etudes Byzantines, N°19 ,Année 1961.

03– Irène Beldiceanu, shteinherr ,« ***Terres patrimoniales en Anatolie centrale (fin du 15° et début du 16° siècle)*** », in Revue *du monde_musulman et de la méditerranée*, N° 79, 80, 1997.

04- **M**antrant Robert, « ***l'Empire ottoman : une conception pragmatique du pouvoir»,*** in *séances de l'académie des inscriptions et belles lettres*, Année 1993 , v 137, N° 3 .

05- **P**anzac Daniel , « ***Editoriale: Balkans, l'empreinte ottoman »,*** in *revue monde musulman et de la méditerranée*, N° 66, volume 66.

06- **y**erasinos,Stephane « ***L'église Orthodoxe pépinière des états balkaniques ».*** in Revue du monde musulman et de la méditerranée, №66, 1992.

07–R. Loernetz, ***"pour l'histoire de Péloponeze au 14°siecle(1382-1404)",*** in Etudes byzantines ,T1, 1943, pp 152-196.

08-R.Janine ,« ***Les sanctuaires de Byzance sous la domination latin****e* », in *Revue des* Etudes Byzantines, T 2, 1944.

03 – الموسوعات و المعاجم

أ/ العربية

1. أ. ي. فننك، **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، ط01، مطبعة مصر،1353هـ/ 1934م .

2. خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م.

3. سهيل صابات، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مكتبة فهد الوطنية، الرياض،1421هـ / 2000م.

4. مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996 م.

5. مصطفى بركات،**الألقاب والوظائف العثمانية**، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة .

6. حسين محمد نصار، **الموسوعة العربية الميسرة**، مجموعة من العلماء العرب والمختصين في مختلف المجلات،ط 3، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان،1431هـ /2010 م.

ب/ الأجنبية

1. ***Le grand dictionnaire Encyclopédique***, T6 , imprimé en France, Imprimerie Jean Dider, Lizy-sier ourcq, librairie internationale Larousse,1985.

2.Leiden E.jBrill, ***Encyclopedie de l'Islame***, T1, par une comite de rédaction composé de H.A.R.Gib, J. H Krame, E.Levi provençale , J.Schacht, sous le patronage de l'union académique internationnale, Paris édition, G.p, maison neuve, Larose 1975.

3. ***Standart sozluk , Arapca Turkce***, baski ve, ayhane matbaasi,ekim2011


الفهارس

فهرس الأعلام

" أ "

"ب "

" ت "

"ج "

" ح "

" د "

"س"

فهرس الأماكن

" ب "

" ر "

" س "

" ص "

" ط "

" ع "

" غ "

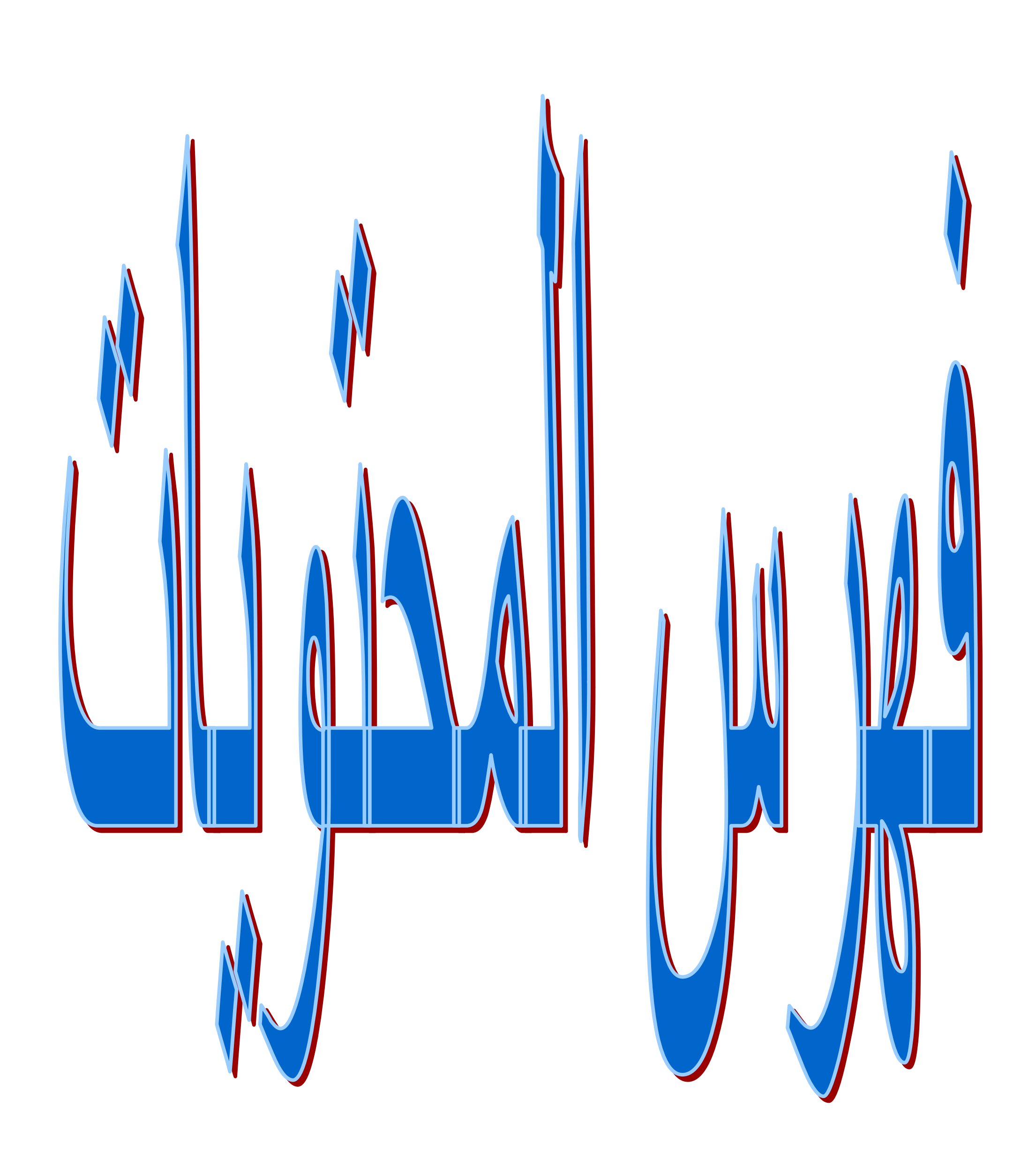
" ف "

" ق "

" ه "

" و "

" ي "


فهرس المحتويات

المحتويات